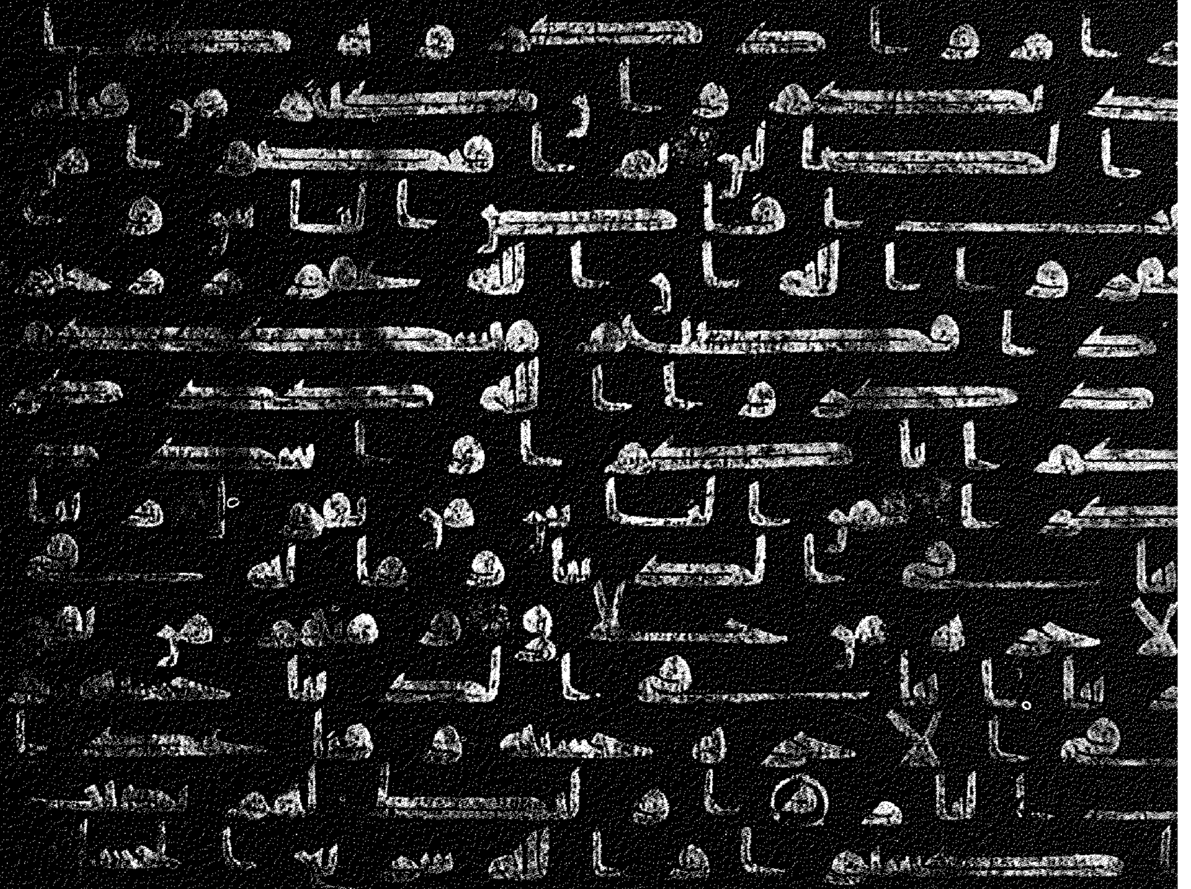
تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة السابعة • العددان ٨٣ – ٨٤ أيلول (سبتمبر) – تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٨٥م – الموافق ذو الحجة – محرم ١٤٠٦هـ





□ كتابة قرآنية كوفية، كتبت بأحرف ذهبية على رقٍ أزرق وتعود للقرن التاسع.

من كتاب: The Moors, Islam in the West. Michael Brett and Werner Forman.



□ قطعة من الحرير، زُيّنت برسوم دقيقة ومختلفة، تعود، إلى الأرجح، لمدينة غرناطة، في القرن الثالث أو الرابع عشر.

من كتاب:

The Moors, Islam in the West. Michael Brett and Werner Forman.

تاريخ العرب والعالم

العددان ٨٤/٨٣ ــ أيلول ــ تشرين الأول ١٩٨٥

تصدر عن دار النشر العربية للدراسات والتوثيق في منتصف كل شهر

صاحبها ورئيس تحريرها : فاروق البربير

المستشار : د. أنيس صايغ   المدير المسؤول : محمد مشموشي

قسم التوثيق والأبحاث : شذا عدرة

قسم التوزيع والاشتراكات : علي عبدالساتر

المخرج الفني : سالم زين العابدين

الانتاج: مطبعة المتوسط ش.م.م.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات.

ثمن النسخة

لبنان	١٢ ل.ل.	سوريا	١٢ ل.س.
العراق	١ دينار	تونس	١,٥ دينار
السعودية	١٠ ريال	الكويت	١ دينار
الأردن	٨٠٠ فلس	الامارات	١٠ درهم
البحرين	١ دينار	قطر	١٠ ريال
مسقط	١٠٠٠ بيزة	بريطانيا	١,٥ جنيه
صنعاء	١٠ ريال	ليبيا	١ دينار
		مصر	١ جنيه

الاشتراكات

(بما فيها أجور البريد الجوي)

- في لبنان: للأفراد ١٠٠ ل.ل.
- للمؤسسات والدوائر الحكومية ٢٥٠ ل.ل.
- في الوطن العربي: للأفراد ٣٥ دولاراً
- للمؤسسات والدوائر الحكومية ٧٥ دولاراً.
- خارج الوطن العربي: للأفراد ٥٠ دولاراً
- للمؤسسات والدوائر الحكومية ١٠٠ دولاراً.
- اشتراك تشجيعي ٥٠٠ ل.ل.
- تدفع قيمة الإشتراك مقدماً نقداً أو حوالة مصرفية

ص.ب ٥٩٠٥ ــ بيروت، لبنان ● بناية أبو هليل
شقة ١١ ● شارع السادات ــ تلفون: ٨٠٠٧٨٣

HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

EDITED BY FARUK BARBIR
PERIODICAL ILLUSTRATED
MAGAZINE PUBLISHED FROM SADATE ST.
ABOU HILEIL BLG. P.O.B. 5905 TEL. 800783
BEIRUT . LEBANON

Vol. 7 — No. 83/84 — SEP — OCT 1985

ANNUAL SUBSCRIPTION : $100 (INCLUDING $25 FOR ADDITIONAL AIR MAIL CHARGES)
MAIL ALL COMMUNICATIONS,
INCLUDING SUBSCRIPTIONS TO:
«HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD»

في هذا العدد

■ المقالات الواردة توزّع حسب التبويب الفني للمجلة، ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب. مع حفظ المكانة الإجتماعية للكتاب، تراعى في الالقاب الصفات العلمية فقط ■

المجلات الثقافية والمجتمع المصري المعاصر

د. فؤاد زكريا

سوف تنصب معالجتي لموضوع المجلات الثقافية، أساساً، على المجلات المصرية في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وذلك لسببين، أحدهما خاص، وهو أن تجربة الكاتب الشخصية كانت ترتبط في المحل الأول بالجو الثقافي السائد في البلد الذي ينتمي إليه، والثاني عام، وهو أن الثقافة المصرية كانت، طوال الجزء الأكبر من هذه الفترة، تقوم بدور رائد على صعيد الوطن العربي كله، وكانت مظاهر نشاطها تشكل مقياساً للتنوير الفكري في هذه الفترة من تاريخ الأمة العربية.

الواقع أن عقول جيل كامل من المثقفين العرب الذين لا زال الكثير منهم أحياء، قد تفتحت على مجلات ثقافية مصرية كالثقافة والرسالة. ولقد استخدمنا عمداً تعبير «المثقفين العرب»، ولم نقل «المثقفين المصريين» لأن هذه المجلات كانت تقوم بدور ضخم في إرساء دعائم نوع من الوحدة الثقافية بين الأقطار العربية، وربما كان تأثيرها في تحقيق هذه الوحدة أقوى بكثير من تأثير عدد كبير من المشروعات الطنانة الرنانة التي تقوم بها مؤسسات كبرى في وقتنا الراهن، على الرغم من أنها كانت تؤدي رسالتها في صمت، وبأقل الامكانات. ومن الملفت للنظر أن القائمين على أمور هذه المجلات لم يتعمدوا اداء هذا الدور التوحيدي، وإنما تحقق هذا الهدف على نحو تلقائي. فلم تكن لدى هؤلاء فكرة واضحة عن الدور التثقيفي الذي تقوم به مجلاتهم على مستوى البلاد العربية جمعاء، ومع ذلك فإن أجيالا من الشباب العربي، بلا تفرقة بين قطر وآخر، كانت تسمي هؤلاء الكتّاب «أدباءنا» أو «مفكرينا». وهكذا فرضت فكرة الوحدة الثقافية نفسها على الواقع العربي في الوقت الذي كانت فيه الوحدة السياسية ما تزال بعيدة عن الأذهان، باستثناء فئات قليلة من المفكرين النظريين.

ومن الملفت للنظر أن المجلات الثقافية في تلك الفترة لم تكن تمثل تيارات كاملة، بقدر ما كانت تمثل أشخاصا. فقد كان اسم مجلة «الرسالة»، مثلا، يرتبط مباشرة باسم «أحمد حسن الزيات»، و «الثقافة» ترتبط بشخص أحمد امين، كما أن اسم «الكاتب المصري» يبعث إلى الذهن مباشرة اسم طه حسين. وليس معنى ذلك أن كلاًّ من هذه المجلات كانت تقوم على جهد فرد واحد، إذ أنها، على العكس من ذلك، كانت تفتح أبوابها لكتّاب



□ بعد الحرب العالمية الثانية، ظهر مفهوم آخر مغايراً للأول، تمثل في عدد من المجلات الثقافية

● ألقيت هذه المحاضرة في ندوة نظمتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بعنوان «العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الأجنبية» (٢١ ــ ٢٦ شباط ١٩٨١).

كثيرين، وكانت في حالات كثيرة أول منبر سُمع من خلاله صوت عدد غير قليل من المفكرين والأدباء الذين أصبح لهم فيما بعد شأن كبير. ولكن شخصية صاحب المجلة كانت تطبعها كلها بطابعه الخاص، وما يكتبه فيها كان هو السبب الرئيسي لاختيار قرائها لها. وهكذا كانت المجلة عندئذ متمركزة حول شخصية كبرى، ولم تكن تمثل «مؤسسة»، بالمعنى الاجتماعي للكلمة. وهذا فارق هام ينبغي أن ننتبه إليه عندما نقارن بين الوضع الحالي للمجلات الثقافية وبين ما كانت عليه في النصف الأول من القرن العشرين.

وخلال الحرب العالمية الثانية ظهرت أولى محاولات «الغزو الثقافي»، كما أصبح يُعرف فيما بعد. ولم يكن هذا الغزو يتمثل في تغلغل أفكار دخيلة في ثنايا إنتاج ثقافي يقوم به مفكرون أو أدباء محليون، بل إنه ظهر بصورة سافرة في شكل مجلات تصدرها مباشرة جهات تتطلع إلى السيطرة على المنطقة العربية من خلال تشكيل عقول أبنائها على طريقتها الخاصة. ففي سنوات الحرب ظهرت مجلة «المختار»، التي كانت تمثل فكرة جديدة لم تعرفها المنطقة العربية، وأعني بها إصدار نسخة عربية، أو بالأحرى صيغة عربية، لمجلة أميركية هي «ريدرز دايجست». وقد سبقت ظهور هذه المجلة حملة دعائية هائلة (في وقت كانت فيه الدعاية الملحة والمكثفة شيئا غير مألوف في بلادنا)، وجُندت للاشراف عليها أقلام عربية مشهورة، وصدرت المجلة بألوان زاهية وورق مصقول وإغراءات عديدة على شكل مسابقات وجوائز...الخ، ولكن الأهم من هذا كله هو أن مقالاتها كانت بالفعل «مختارة» لكي تصوغ العقل العربي في القالب الأميركي: إذ تدعو كلها إلى قيم الحياة الأميركية، وتمتدح بلاد الفرص السانحة وآفاق الربح التي لا تنتهي، وتجعل من العصاميين الذين أصبحوا من أصحاب الملايين أبطالا يتخذهم الشباب مثلا أعلى، وتمجد التاريخ الأميركي والفكر الأميركي والأدب الأميركي. وقد لقيت المجلة رواجا هائلا كان في واقع الأمر أول مظهر من مظاهر السيطرة الثقافية لأجهزة الاعلام ذات الامكانات الهائلة، كما نعرفها في أيامنا هذه.

وانه لمن السذاجة أن ينظر المرء إلى ظهور هذه المجلة وانتشارها على انه ظاهرة ثقافية خالصة. فقد كان ظهور المجلة أيام احتدام معارك الحرب العالمية الثانية، يدل بوضوح على أن أميركا كانت قد اتخذت بالفعل قرارا بأن تلعب بعد الحرب دورا يختلف عن دورها المنعزل، شبه المنغلق، في الفترة السابقة عليها. كانت لدى أميركا تطلعات إلى الانتشار والحلول محل دول الاستعمار القديم بأسلوب جديد، وكان أول مظاهر هذه التطلعات هو الاقتحام المباشر للعقول. وهكذا تُقدم هذه الحالة مثلا مبكرا يثبت أن السيطرة الثقافية، في نظر من يخططون للمدى البعيد، هي المقدمة الأولى والتمهيد الضروري الذي ينبغي أن يسبق السيطرة السياسية أو العسكرية. وكان هذا يشكل فارقا أساسيا بين الاستعماريين الجديد والقديم: إذ كان القديم يغزو أولا بالجيوش، ثم يسيطر على الاقتصاد ويصبغ الثقافة بصبغته الخاصة، أما الجديد فيبدأ بالثقافة، وبعد ذلك يأتي دور البنوك أو الجنود، وتصبح عملية السيطرة المادية، بشتى أشكالها، أيسر بكثير... هذا، كما قلنا، نموذج مبكر لظاهرة سوف نراها تتكرر فيما بعد، بمزيد من الصراحة والوضوح، في عهد أقرب إلينا بكثير.

ولو شئنا أن نعدد الموضوعات التي كانت تعالجها المجلات الثقافية في تلك الفترة، لوجدنا تنوعا هائلا في المعالجة. ومع ذلك فإن في استطاعة المرء أن يحدد أهم المحاور التي كانت تدور حولها كتابات تلك الفترة. إذ أن الاهتمام كان ينصب أساسا على الآداب والعلوم والموضوعات الفكرية والدينية. واذا كانت هذه المحاور قاسما مشتركا بين المجلات الثقافية في أي عصر، فإننا نستطيع أن نلحظ هنا تراجعا ملحوظا، وأحيانا اختفاء، للمسائل السياسية والأيديولوجية. ويرجع ذلك إلى أسباب متعددة:

— ١ —

فقد كانت هذه المجلات الرائدة تفتح أبوابا جديدة، وكان هدفها الأكبر هو تقديم ثقافة عامة متنوعة إلى القراء الذين كانت تلك المجلات بالنسبة إلى الكثيرين منهم هي النافذة الكبرى،

وربما الوحيدة، للاطلال على عالم المعرفة. وهكذا كانت تأخذ على عاتقها مهمة «التعريف»، وكانت المادة التي تقدمها جديدة بالنسبة إلى جمهور كبير من القراء الذين لم يكونوا قد وصلوا بعد إلى مستوى الخوض في المسائل الخلافية.

— ٢ —

كذلك كانت تلك المرحلة، من الوجهة التاريخية، هي مرحلة السعي إلى تحقيق الاستقلال الوطني. كان العالم، في نظر العرب كافة، ينقسم إلى مستعمِر ومستعمَر، وكان هدف الاستقلال الوطني واضحا لا يحتاج إلى تنظير او تحليل، ومن هنا لم تكن المشكلة السياسية مطروحة بقدر كبير من التعقيد — كما أصبحت فيما بعد — على العقل العربي. كانت المواقف واضحة، والأهداف معروفة، والوسائل محددة ومباشرة. ولم يكن الانقسام الأيديولوجي للعالم قد تبلور، وجلب معه ذلك القدر الهائل من الفكر النظري والتطبيقي الذي فرض نفسه على العالم بدءا من الخمسينات والستينات. فقد كانت الدولة الاشتراكية الوحيدة (الاتحاد السوفييتي) لا تمثل معسكرا، وإنما قوة منفردة، وكانت منغلقة على نفسها تبني تجربتها الجديدة من الداخل، ولا تقدم نموذجا واضح المعالم أمام بلاد العالم الساعية إلى التحرر والاستقلال.

— ٣ —

وقد ترتب على هذا العامل أن مشكلة التنمية لم تكن مطروحة بوضوح أمام العقل العربي، الذي كان كل شيء يبدو أمامه مُرْجَأً، وربما ضئيل الأهمية، أمام هدف الاستقلال الوطني. كانت هناك بوادر وعي بالارتباط الضروري بين الاستقلال السياسي والاستقلال الاقتصادي، ولكن هذا الوعي لم يرتفع إلى مستوى البحث الفكري المقصود لذاته، أو التنظير المتعمق.

ولعلنا نستطيع، من خلال استقراء اتجاهات الكتابة في هذه الفترة، أن نتبين سمة أساسية فيها، تميزت بها بالقياس إلى معظم التطورات التالية، وأعني بها هامش الحرية الواسع الذي كان يتمتع به الكتاب في ذلك الحين. فحين كانت المسائل العلمية تناقش، كانت تُعرض بلا أدنى قدر من الحرج، وكان الكتّاب يعالجونها بوصفها بحثا موضوعيا عن الحقيقة، ولا يترددون في تقديم أشد نتائجها جراة. ومثل هذا يقال، إلى حد بعيد، من المناقشات التي كانت تدور حول المسائل الدينية. فقد كانت الآراء المختلفة تُعرض، وربما احتد حولها النقاش، ولكن حالات قليلة هي التي كانت تصل إلى حد الاتهام المتبادل بالكفر أو المروق، وحتى في هذه الحالات لم يكن ذلك الاتهام يصل إلى حد استعداء السلطات، أو التحريض السافر على حياة الكاتب، كما يحدث كثيرا في جو الحياة الثقافية الراهنة في الوطن العربي.

* * *

ولننتقل في بحثنا إلى مرحلة أخرى حدثت فيها اختلافات نوعية عظيمة الأهمية بالقياس إلى المرحلة السابقة، وأعني بها مرحلة الستينات. ذلك لأن الوضع السابق ظل على ما هو عليه، إلى حد بعيد، حتى نهاية الأربعينات، أما الخمسينات فلم تشهد تطورا هاما في الميدان الذي نعالجه. ولعل السبب الأهم لذلك هو أن الخمسينات كانت في معظمها فترة التجارب الأولى، الشديدة التقلب، لثورة ٢٣ يوليو في مصر، مثلما كانت فترة غليان سياسي حاد في معظم الاقطار العربية الأخرى. ولقد كانت ثورة يوليو، خلال هذه الفترة، تمارس قمعا فكريا قاسيا، قد يرى البعض انه كان ضروريا لمواجهة المصاعب التي اعترضتها ولتنفيذ البرنامج الذي اختطته لنفسها، وقد يرى البعض الآخر أنه تجاوز حدود المعقول لأن مشاركة الفكر الحر أمر يساعد على مواجهة التحديات ولا يعترض طريق هذه المواجهة بأي حال من الاحوال — هذه على اية حال تقييمات لا مجال لها في بحث كهذا. وإنما الذي يعنينا هنا هو أن الرقابة الفكرية المشددة كانت حقيقة قائمة، وأن الأصوات التي كانت تستطيع التعبير عن نفسها هي تلك التي كانت تمتدح وتبرر وتمجد، لا تلك التي تحلل وتنقد.

وكانت النتيجة التي ترتبت على ذلك هي أن كثيرا من الأصوات التي كانت تحتل موقع الصدارة على صفحات المجلات الثقافية العربية، كالعقاد وطه حسين وأحمد أمين والزيات وفريد

ابو حديد، الخ... قد ظلت صامتة خلال الجزء الأكبر من هذه الفترة، وحين كانت تتكلم من حين لآخر، جاء كلامها محسوبا، يفتقر إلى روح الانطلاق والجدال الحي المتدفق التي كانت تشيع في كتاباتها خلال العقدين السابقين. وقد يقول قائل إن خفوت هذه الأصوات كان يرجع إلى أن الظروف التي ازدهرت في ظلها قد طرأ عليها تغير جذري، وانها أصبحت تجد نفسها في جو مختلف كل الاختلاف عن ذلك الذي اعتادته من قبل. قد يكون هذا التعليل معقولا إلى حد ما، ولكن يظل من الصحيح أن أهم عناصر ذلك التغيير الذي اعاق تدفقها السابق هو جو الانضباط الشديد، الذي فرضه الوضع السياسي المصري في الخمسينات، والذي جعل من «التأييد الشامل» معيارا أساسيا لكل ما هو مقبول في المجال الثقافي.

وكما قلت من قبل، فإن التغيير النوعي الحقيقي هو ذلك الذي حدث في الستينات. ويمكننا أن نجد لهذا التغيير أسبابا متعددة: فمن الجائز أن ثورة ٢٣ يوليو كانت قد اجتازت مرحلة التجارب والتقلبات العنيفة واستقر بها المطاف اخيرا على وضع محدد. ومن الجائز أنها أصبحت أكثر ثقة بنفسها بعد أن تمكنت من التغلب على معظم خصومها في الداخل ووطدت مكانتها في الخارج، فأصبحت لها مكانة عربية ودولية مرموقة. وربما كان بحث الثورة المصرية عن طريق جديد، على المستوى الاجتماعي، والاقتصادي، قد اقتضى دعما وتنظيرا موازيا على المستوى الثقافي. وعلى أية حال فقد بدأت في ذلك الحين تجربة في مجال إصدار المجلات الثقافية اتسمت بطابع مميز، هو أنها كانت تجربة صادرة عن الدولة ذاتها.

وينبغي أن نتنبه إلى هذه الصفة، لأنها كانت شيئا جديدا بالنسبة إلى مصر، وإلى كثير من الأقطار العربية الأخرى، فقبل ذلك كانت المجلات الثقافية تصدر بجهود أفراد أو جماعات معينة، وكان تمويلها يعتمد على موارد خاصة. وكانت الفلسفة التي يرتكز عليها أصحاب هذا الاتجاه هي أن إشراف الدولة على الثقافة ودعمها لها لا بد أن يؤدي إلى تدخلها في شؤونها وتسخيرها من أجل خدمة أهدافها. على أن التجربة الاشتراكية بأكملها — تلك التجربة التي خاضتها بلاد أخرى منذ أوائل القرن العشرين، وازدادت انتشارا بعد الحرب العالمية الثانية — كانت ترتكز على فلسفة أخرى مغايرة، هي أن الثقافة ضرورة من ضرورات الحياة، وهي أثمن من أن تُترك في أيدي أفراد ربما سيطرت عليهم المصالح الشخصية، ومن ثم وجب أن ترعاها الدولة مثلما ترعى صحة مواطنيها وتعليمهم. ولا شك في أن هناك نواتج ثقافية رفيعة تحتاج إلى نفقات كبيرة، ولا تلقى إقبالا جماهيرياً واسعا نظرا إلى عمقها أو مخاطبتها لجمهور خاص. مثل هذه النواتج الرفيعة لن يكون لها حظ من الرعاية لو ظل أمر الثقافة متروكا للجهود الفردية، بل إن دعم الدولة هو وحده الذي يستطيع تجاوز مستوى الكسب والخسارة وتقديم هذه النواتج تبعا لقيمتها الذاتية، وبوصفها خدمة جماهيرية.

وهكذا ظهرت مجموعة متألقة من المجلات الثقافية:

(١) «تراث الانسانية» (فصلية)، وكانت تعرض لأمهات الكتب التي كان لها دور هام في تشكيل عقل الانسان، شرقا وغربا، عن طريق تقديم عرض شامل للكتاب، وتعريف موسع بمؤلفه، وترجمة — أو اختيار — نصوص ذات دلالة خاصة منه.

(٢) «المجلة» (شهرية)، وكانت تختص بميدان الأدب، عرضا ونقدا، ونشرا للانتاج الجديد.

(٣) «الفكر المعاصر» (شهرية) وكان يغلب عليها الطابع الفلسفي، وإن كانت قد عالجت موضوعات فكرية تنتمي إلى ميادين الآداب والفنون والتراث الشعبي.

(٤) «الكتاب العربي» (فصلية)، وكانت تقدم عرضا نقديا لأهم الكتب الجديدة التي أُلفت أو ترجمت بالعربية، كما كانت تقدم بصفة دورية قوائم بيبليوجرافية عربية موسعة في فرع من فروع المعرفة.

(٥) «الكاتب» (شهرية)، وكان يغلب عليها الطابع السياسي، وإن اشتملت على دراسات عديدة في الآداب والنقد.

وقد أضيفت إلى هذه القائمة، في وقت من الأوقات، مجلة «الفنون الشعبية»، ومجلة «المسرح» ومجلة «السينما»، كما عادت إلى

□ خلال الحرب العالمية الثانية، ظهرت أولى محاولات «الغزو الثقافي» على شكل مجلات، «كالمختار» وهي نسخة عربية لمجلة «ريدرز دايجست» الأميركية.

مايو (ايار) ١٩٨٤ ـ شعبان ١٤٠٤

المختار



من ريدرز دايجست

٦ مبادئ للنجاح في الحياة
(ص ٥١)

امراض ا...
(ص ٢٤)

...بادئ لسعادة الزوجية
(ص ٤٠)

...اماً؟

□ فرانكلين روزفلت (١٨٨٢ ـ ١٩٤٥)

لبنان ٢٠٠ق ـ سورية ٧٠٠ق ـ الاردن ٧٠٠ف ـ الكويت ٧٠٠ف ـ الامارات العربية المتحدة ٩د ـ قطر ٨ر ـ البحرين ٨٠٠ف ـ السعودية ١٠ر ـ مصر ٥٠٠م ـ السودان ١ج ـ ليبيا ٧٠٠د ـ اليمن ٨ر ـ مسقط ٨٠٠ب ـ العراق ٨٠٠ف ـ تونس ٦٠٠م ـ المغرب ٥د ـ الجزائر ٧د ـ فرنسا ١٠ف ـ انكلترا ١ج ـ اليونان ١٢٠د ـ كندا وامريكا الشمالية ٢،٢٥د.

AL MUKHTAR min Reader's Digest May 84 No 66

الصدور مجلة «الثقافة»، ولكن في ثوب جديد، وفي ظل الدعم الحكومي.

والحق أن هناك الكثير مما يمكن أن يقال لصالح هذه التجربة الخصبة، لا سيما وإن كاتب هذه السطور قد شارك في هذه التجربة بصورة مباشرة من خلال إشرافه على مجلتي «الفكر المعاصر» و «تراث الانسانية» في أواخر الستينات وأوائل السبعينات. فقد كانت المجلات، كما قلت، صادرة عن وزارة الثقافة المصرية، ولا يمكن القول ــ تبعا لذلك ــ ان الحرية كانت مكفولة لمعالجة أي موضوع فيها بلا قيود. ومع ذلك فقد كان هامش الحرية القائم بالفعل يسمح باستغلاله بذكاء، إذا استطاع الكاتب ذلك. وكان مما يساعد على هذا أن الرقابة الحكومية التي تُفرض على مجلات تخاطب المثقفين ــ وهم قلة في كل المجتمعات، وخاصة مجتمعات العالم الثالث ــ لا يمكن أن تعادل في صرامتها تلك التي تُفرض على صحف يومية تخاطب الجماهير الواسعة. وفضلا عن ذلك فإن الموضوعات الثقافية بطبيعتها تستطيع أن تتجنب المواجهة المباشرة للمشكلات الشديدة الحساسية، أو تعالجها، إذا شاءت، في إطار غير ملفت للانظار. كذلك فإن كثيرا من الكتاب تعلموا فن الكتابة المراوغة للرقابة، بحيث يقولون ما يشاءون ولكن بطريقة في العرض لا تترك مجالا للمحاسبة المباشرة. وأخيرا، وليس آخرا، فإن وجود مسؤول على مستوى عال، يهتم بالثقافة اهتماما حقيقيا، يمكن أن يكون من عوامل ضمان قدر كبير من الحرية للعاملين في هذا الميدان(*).

ولو تأملنا طبيعة الموضوعات التي كانت تطرح في هذه المجلات، لوجدنا فيها نصيبا غير قليل للدراسات الثقافية ذات الطابع الأكاديمي المتعمق. ولكن السمة البارزة فيها هي الحضور المكثف للمشكلات الأيديولوجية. وكما قلنا من قبل، فإن هذا الحضور هو ما يميز مجلات الستينات عن نظائرها في الأربعينات. ذلك لأن الستينات كانت فترة صراع أيديولوجي حادّ بين المعسكرين الغربي والشرقي على الصعيد العالمي، كما كانت البدائل الأيديولوجية المتباينة مطروحة على الأقطار العربية، التي بدأت بالفعل تتلمس طريقها وسط الصراعات العقائدية العالمية. ويمكن القول بوجه عام إن لهجة المجلات الثقافية في هذه الفترة كانت تغلب عليها المسحة التقدمية. وهذا لا يعني على الاطلاق أن اليساريين كانوا هم المسيطرين عليها، كما قيل فيما بعد، وكل ما في الأمر هو أن الجو العام عندئذ كان يسمح بعرض وجهة النظر اليسارية والدفاع عنها. وفي الوقت نفسه لم تكن الاتجاهات اليمينية قد اختفت على الاطلاق، بل انها كانت موجودة بقوة، وكانت تدافع عن نفسها بكل ما تملك من قدرات. ويمكن القول أن السياسة الرسمية للدولة في ذلك الحين لم تكن تعارض قيام هذا الحوار، الذي كان أحيانا يصل إلى حد الصراع بين التيارين.

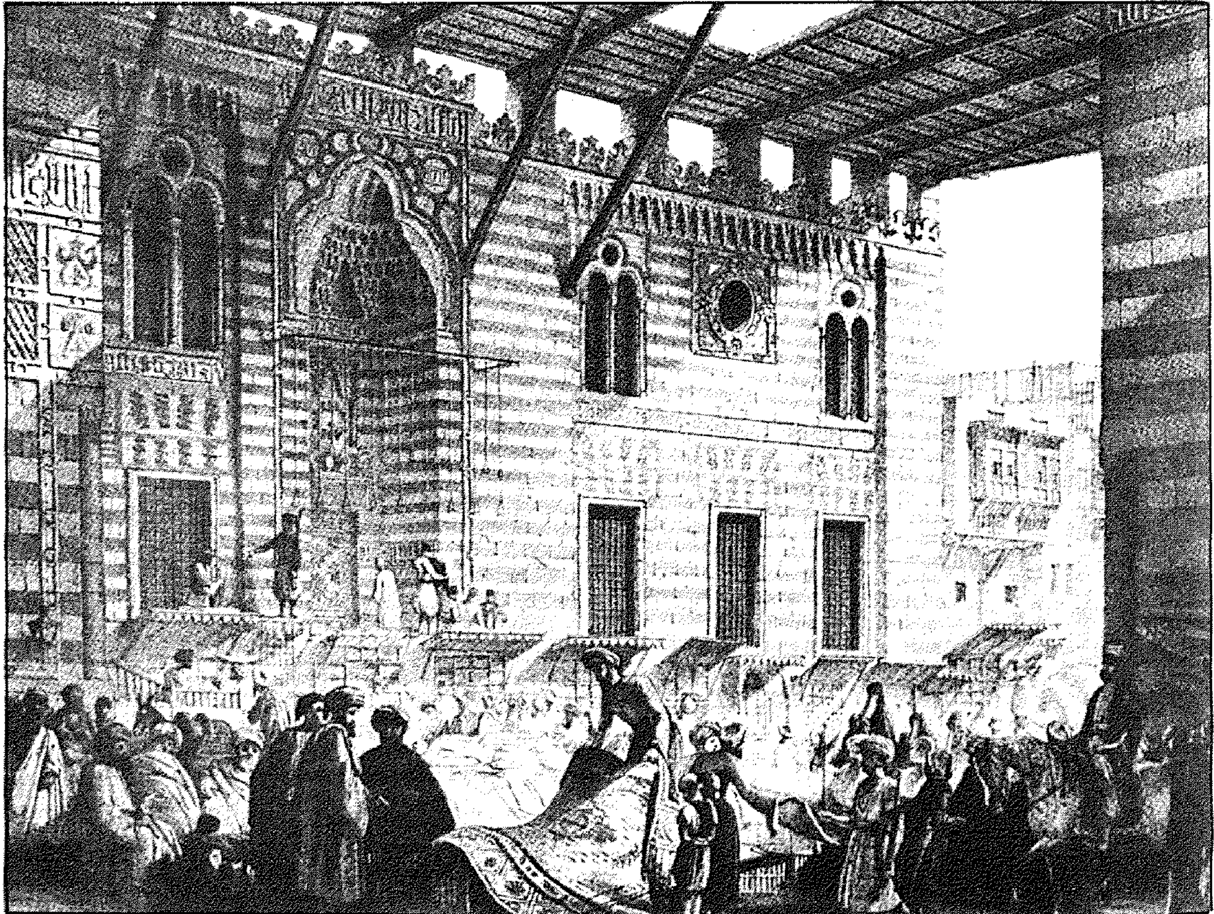
غير أن مجرد السماح لتيار فيه مسحة يسارية بالتعبير عن نفسه إلى جانب التيارات الأخرى، كان في نظر الكثيرين جريمة لا تغتفر، وظل هؤلاء يتحينون الفرص للانقضاض على هذه التجربة، إلى أن سنحت لهم الفرصة أخيرا عندما استتب الأمر للعهد الساداتي في أواخر عام ١٩٧١. ولو شئنا أن نصدر على هذه التجربة حكما موضوعيا، من الوجهة الأيديولوجية، لقلنا ان أي صراع ثقافي بين القوى التي يطلق عليها بوجه عام قوى اليسار، اعني دعاة التغيير، وتلك التي تسمى يمينية، اعني المحافظين، يؤدي، في ظروف العالم الثالث، إلى انتصار الأولى في معظم الأحيان. بل إن الثقافة كانت، في أغلب الحالات، أميل إلى الرفض، والاحتجاج، والدعوة إلى تغيير الأوضاع. ولو شئت الدقة في التعبير لقلت ان في كل مثقف حقيقي قدرا من النزوع إلى اليسار، بأوسع معاني الكلمة. ولقد كان العهد الناصري ذكيا عندما استعان، في السنوات الأخيرة من حكمه،

(*) أود أن أشير هنا إلى حديث خاص دار منذ سنوات قليلة بين الدكتور ثروت عكاشة، الذي كان له دور كبير في إنجاز المشروعات الثقافية المصرية خلال الستينات، وبين كاتب هذه السطور، ذكر فيه الدكتور ثروت عكاشة انه كان خلال توليه وزارة الثقافة يصدّ هجمات كثيرة كانت توجه إلى العاملين في الحقل الثقافي ــ ومنها مجلة «الفكر المعاصر» اثناء رئاستي لتحريرها ــ دون أن يعلم هؤلاء العاملون بما كان يمكن ان يتعرضوا له نتيجة لما كانوا يكتبونه.

بقوى اليسار في ميدان الثقافة بالذات، على الرغم من أنه لم يستعن بهذه القوى ذاتها في ميادين اخرى حيوية، كميدان الاقتصاد والتعليم والسياسة الخارجية، إلا في أضيق الحدود. ويخيل إليّ أن الفكرة التي كانت تكمن من وراء هذا الالتجاء إلى اليسار في الميدان الثقافي، هو أن الثقافة تستطيع، بانتشارها داخل البلاد وخارجها على نطاق واسع، أن تضفي على النظام وجها براقا، يثير خيال الأجيال الجديدة التي طال حنينها إلى التغيير، ويستجيب لرغبات جميع الفئات المتطلعة إلى تجاوز التخلف وكسر الجمود والثورة على التقاليد الراسخة. ومع ذلك فإن الأبواب لم تغلق، كما قلنا من قبل، أمام التيارات المحافظة، وكل ما في الأمر أنها حين خاضت معركة ثقافية مع قوى التغيير والتقدم في ظروف شبه متكافئة، كان لا بد أن تنهزم. وما زال من الممكن أن يقال حتى اليوم، إن القوى التقدمية لو أتيحت لها فرص متكافئة، أو حتى قريبة من التكافؤ، في صراعها الفكري والثقافي مع القوى المحافظة، لا بد أن تخرج من هذا الصراع منتصرة، لأنها لا زالت هي الأقوى والأعمق والأوسع أفقا في الميدان الثقافي على وجه التحديد.



□ عباس محمود العقاد.



□ رسم قديم لأحد الأسواق في القاهرة.

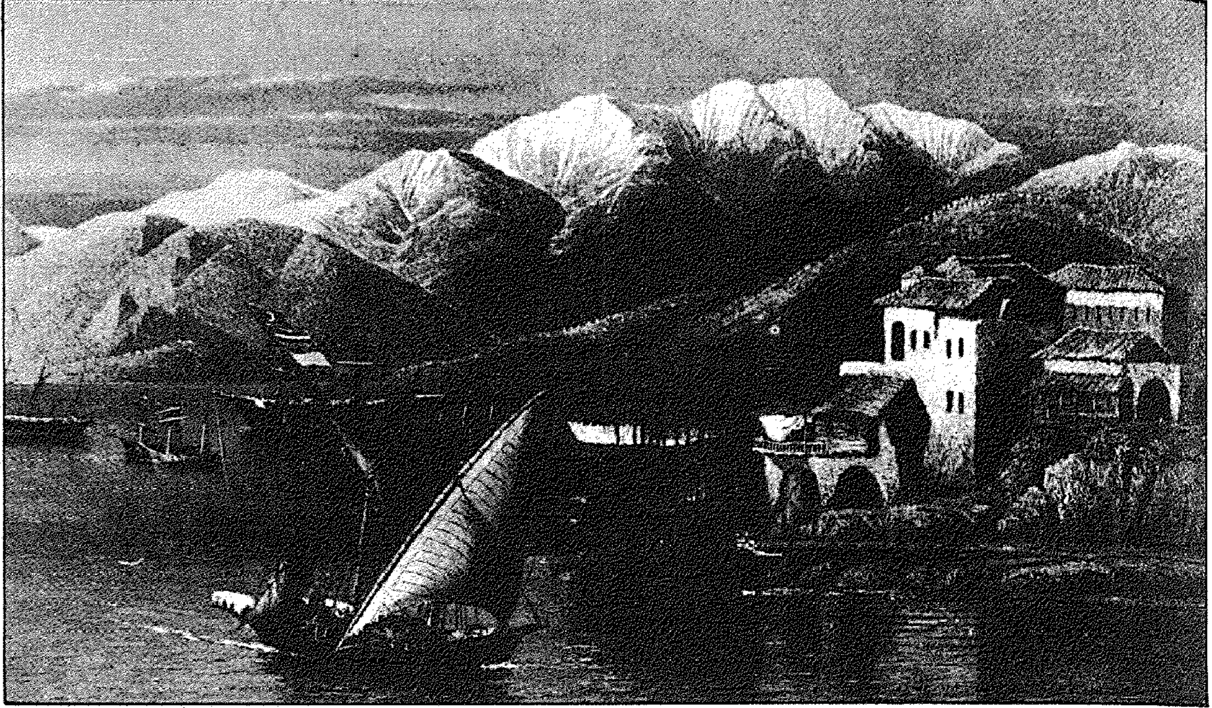
وهكذا فإن التحول الحاسم الذي حدث في أوائل السبعينات ضد تجربة المجلات الثقافية الجادة في مصر، حدث بما يشبه الانقلاب. ففي أواخر عام ١٩٧١، بدأت التحرشات ضد هذه المجلات، ووجهت إليها انتقادات ملفقة، ثم صدر أمر من وزير الثقافة الجديد ـ عبدالقادر حاتم ـ بإلغاء مجلات وزارة الثقافة دفعة واحدة.

ومن الضروري، في هذا الصدد، أن نتنبه جيدا إلى الظروف التي تم فيها هذا الالغاء لأنها تلقي ضوءا واضحا، وتقدم درسا هاما، في موضوع العلاقة بين الثقافة والسياسية، أو بين الثقافة وأنظمة الحكم. فقد أذاعت وزارة الثقافة في ذلك الحين بيانات كاذبة تدّعي فيها أن هذه المجلات لا توزع، وأن نسبة عالية منها (قيل انها تصل إلى ٧٠ ٪) تظل في المخازن. ولم يكن هناك أبعد عن الحقيقة من هذا الادعاء. فقد كان من الأمور المألوفة، أيام ازدهار هذه المجلات، أن تتلقى كلّ منها سيلا من الرسائل من كافة الأقطار العربية، تشكو كلها من أن الكمية التي تصل إليها غير كافية، وتطالب بالمزيد ـ وكان من الأمثلة الفريدة في هذا الصدد أن عددا خاصا اصدرته مجلة «الفكر المعاصر» عن «هيجل»، وهو كما نعلم من أشد الفلاسفة غموضا وتجريدا، قد نفد في الأسواق المصرية فور صدوره، وأصبح بعد أيام قليلة يباع في السوق السوداء. ومن جهة أخرى فقد كانت النفقات التي تتكلفها الدولة زهيدة جدا، نظير عمل ثقافي لا تقدر قيمته بمال. ومع ذلك فقد أشاع أعداء الثقافة، الذين تولوا أمورها من أجل القضاء عليها، أن المجلات كاسدة، وأن تكاليفها باهظة، وأنها ـ بمقياس الكسب والخسارة ـ ينبغي أن توقف.

غير أن توقيت هذا الانقلاب، أو «الثورة الثقافية المضادة» ـ إن جاز أن نستعير هذا التعبير ـ كانت له دلالة أعمق. فقد حدث الالغاء في أواخر عام ١٩٧١، أي بعد شهور قلائل مما كان يسمى «بحركة التصحيح» (مايو ١٩٧١)، التي قضى فيها السادات على الأجنحة المناوئة له، والتي كانت تنافسه في إطار النظام الناصري، وخلا له الجو لكي يقود السفينة على طريقته الخاصة. على أن السادات كان حاكما شديد الحذر، فلم يسفر عن وجهه الحقيقي إلا بعد وقت طويل، وبعد خطوات شديدة التدرج. فهو لم يعلن عداءه للسوفيت إلا في يوليو ١٩٧٢، عندما طرد خبراءهم، وحتى في ذلك الحين كان يدعو إلى «وقفة جديدة مع الصديق». وهو لم يجهر بسياسته الاقتصادية الجديدة ـ سياسة الانفتاح ـ إلا منذ عام ١٩٧٥، وكانت هذه السياسة تطبق في البداية على استحياء، وبخطوات حذرة. أما الاتجاه إلى التفاوض المباشر ثم الصلح مع إسرائيل، كما برز في عام ١٩٧٧، فكان لا بد من التمهيد له باتفاقيتين لفض الاشتباك. وأخيرا فإن سياسته الموالية لأميركا لم تظهر إلى العلن إلا بعد عام ١٩٧٤.

هكذا كان العهد الجديد في مصر متدرجا في كل الأمور الأساسية، يمهد للتغيرات الحاسمة التي أدخلها على اتجاهات السياسة والاقتصاد بخطوات بطيئة تتجنب أسلوب التحول المفاجىء. ولكن الميدان الوحيد الذي كان يشذ عن هذه القاعدة هو الميدان الثقافي: فقد ضرب العهد الجديد ضربته، على الصعيد الثقافي، بمجرد أن استتب له أمر البلاد. فما دلالة هذا التعجل في ميدان [illegible] بالذات؟ نستطيع أن نتصور افتراضات مختلفة: فمن الجائز أن التحول المرسوم كان ينبغي أن يبدأ بتغيير العقول قبل تغيير السياسات والممارسات، ومن هنا كان الانقلاب في ميدان الثقافة هو الذي ينبغي أن تكون له الأولوية على غيره. ومن الجائز أن الاحساس بخطر الثقافة وأهميتها كان له دوره في تنبيه «الانقلابيين» إلى ضرورة التصرف بسرعة. ومن الجائز أن العامل الحاسم كان هو ذلك الذي أشرنا إليه من قبل، وأعني به أن درجة «التقدمية» في الميدان الثقافي كانت تفوق درجتها في كافة الميادين الأخرى، ومن ثم وجب البدء بإسكات صوت الثقافة قبل غيرها.

وأياً كان الأمر، فإن قرارا سلطويا غاشما قد الغي، بصورة مفاجئة، وجها مشرقا للثقافة المصرية، وأوجد فراغا عقليا هائلا، لا في داخل مصر وحدها، بل في كثير من الأقطار العربية التي لا زال مثقفوها يذكرون تلك المجلات الثقافية

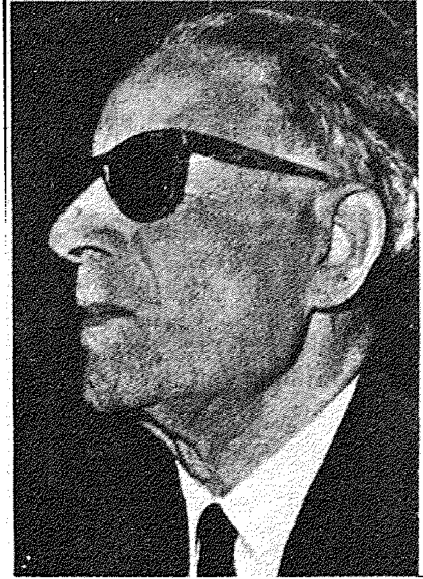


□ عين المريسة (أوائل القرن التاسع عشر)

باعتزاز. وكان ذلك أول سلوك علني للعهد الساداتي ينم عن اتجاهاته الجديدة، ولم تظهر بقية الممارسات التي أكملت صورة ذلك العهد وحددت قسماته إلا بعد وقت طويل.

فكيف عمل ذلك العهد على ملء الفراغ، في ميدان المجلات الثقافية؟ أصدر مجلة أطلق عليها اسم «الجديد»، وأخرى استعار لها اسما له تاريخ طويل، هو «الثقافة»، وجند لخدمتهما شخصيات بُعثت من قبور النسيان، وأخذت المجلتان تحتضنان كل ما عفا عليه الزمان من الأفكار. وسرعان ما تقلص عدد كتّابها بحيث أصبحت نفس الأسماء تتكرر في كل عدد، وكأنها قد استولت على مساحة ثابتة في المجلة «بوضع اليد». وأخذ هؤلاء الكتاب يتبنون أكثر المواقف رجعية، ويفتعلون خصومات مع أعداء من صنع خيالهم، ويصولون ويجولون وحدهم في الميدان، بعد أن أسكتت الدولة، من أجلهم، أصوات جميع المثقفين الشرفاء. وظهرت في ذلك الحين مجموعة الاتهامات التقليدية: الشيوعية، العمالة، الالحاد، موجهة إلى كل من كانوا يسهمون في الحياة الفكرية والأدبية خلال العقد السابق. وكما يحدث دائما في حالة الفاشلين، فقد أذاعوا أسطورة مؤداها أنهم كانوا ممنوعين من الكتابة من قبل لأن الدولة كانت تحارب الايمان والتقاليد الاسلامية والعربية الأصيلة وتفتح الأبواب لعملاء موسكو وحدهم... مع أن حقيقة الأمر هي أن الأبواب كانت مفتوحة لهم من قبل على مصراعيها، وكل ما هنالك هو أنهم لم يصمدوا في المنافسة، وانصرفت الجماهير عنهم وتحمست للاتجاهات المستنيرة، بحيث لم يكن في استطاعتهم أن يثبتوا حضورهم إلا بعد أن تضمن الدولة لهم أنهم أصبحوا هم الوحيدون في الساحة.

هذه التفاصيل كان لا بد منها لكي أقدم دليلا آخر على القضية التي طرحتها من قبل، وهي أن الثقافة الحقيقية، في ظروف العالم الثالث، لا بد أن يكون فيها شيء من «اليسار»، بمعنى واسع هو الدعوة إلى التغيير، والتقدم، ورفض التقاليد الجامدة. وعلى أية حال فقد أثبتت التجربة نفسها صحة هذه القضية، إذ كانت هذه المجلات البديلة مفلسة جماهيريا منذ أيامها الأولى، ولم تكن توزع إلا بأوامر حكومية على مؤسسات تابعة للحكومة أو لتنظيمها السياسي. ولم يمض وقت طويل حتى سقطت الأوراق الجافة الذابلة، وذهب الزّبد جفاء، والأهم من ذلك أن التجربة الفاشلة بدأت وانتهت دون أن تحرّك عقلا أو تثير



□ طه حسين



□ احمد امين

خيالا أو تترك أثرا في ذاكرة الناس.

ولكن النتيجة الفعلية الوحيدة التي أسفرت عنها هذه التجربة، هي فقدان مصر لمكانتها الثقافية في العالم العربي. فعلى حين أن المجلات الثقافية في عهودها السابقة كانت تقوم بمهمة جليلة في التوحيد الثقافي بين العرب، كما أشرنا من قبل، كانت مجلات السبعينات تقوم بتفريق الصفوف وخلق الخلافات بين مصر وبقية العرب، تأكيدا للسياسة الرسمية التي ارتكزت على إذكاء هذه الخلافات. والأهم من ذلك أن القراء في كافة أرجاء العالم العربي قد انصرفوا عنها لضعف مستواها، ولم يعد يأتيهم من مصر زاد ثقافي يوازي ما كانوا يتلقونه منها قبل ذلك أو يقترب منه، فكان من الطبيعي أن يبحثوا عن هذا الزاد في عواصم أخرى.

ولا يمكن القول ان دور بيروت، بوصفها مركزا رئيسيا للاشعاع الثقافي في العالم العربي، قد ازدهر في هذه الفترة وحدها. فقد كانت بيروت تقوم بدور بارز في ميدان نشر الثقافة وإبداعها، سواء عن طريق الكتب أو المجلات، منذ عشرات السنين. غير أن الأمر المؤكد هو الانتكاسة الثقافية التي حدثت لمصر في السبعينات كانت عاملا هاما في توجه أعداد كبيرة من القراء العرب، وضمنهم المصريون، صوب بيروت، التماسا لمزيد من المعرفة والتنوير الفكري. ولم تخيب بيروت ظنهم. بل اننا إذا تذكرنا أن النصف الثاني من السبعينات، وكل ما مضى من الثمانينات، كان يمثل فترة حرب داخلية طاحنة في لبنان، أذركنا أن استمرار بيروت في تقديم العطاء الثقافي، والارتفاع الدائم في مستوى إنتاجها الفكري، وظهور مجلات ثقافية فيها تتميز بالعمق ومتابعة أحدث الاتجاهات العالمية ــ كل هذا يمثل ظاهرة فريدة بحق في تاريخ الثقافة العربية. ولا يمكن أن نغفل في هذا الصدد عاملا هاما، هو ان مجلات بيروت أصبحت مركزا لاستقطاب الكتّاب من شتى الأقطار العربية، وضمنها مصر، بعد أن أُغلقت الأبواب في وجه الغالبية منهم داخل بلادهم، وهاجر الكثير منهم إلى خارج مصر، أو عاشوا في داخلها حياة المهاجرين.

ولو شئنا أن نعرض لآخر معالم هذه الصورة التي نحاول فيها أن نربط بين أوضاع المجلات الثقافية والتحولات التي طرأت على المجتمع المصري المعاصر، لقلنا أن هناك بوادر أكثر إيجابية في السنوات القلائل الأخيرة. ولا ترجع هذه البوادر إلى حدوث تغيير أساسي في التوجه الاجتماعي والسياسي المصري، وإنما ترجع إلى ذلك الهامش المحدود من الحرية، الذي أتيح للمثقفين المصريين بعد اختفاء السادات. في ظل هذا الهامش المحدود ظهر عدد قليل من المجلات الجادة، ربما كان أهمها حتى الآن مجلة «فصول»، التي هي أقرب إلى الطابع الأكاديمي

□ الدكتور احمد
ثروت عكاشة



منها إلى الطابع الثقافي العام، ويبدو أن هناك محاولات أخرى إيجابية في الطريق.

ولكن أهم المسارات التي تتخذها الكتابة الثقافية في مصر، خلال السنوات الأخيرة، هي في رأيي تلك النشرات التي تتحايل على قوانين المطبوعات الغاشمة عن طريق الصدور بصورة غير دورية، وتتغلب على مشكلات ضيق الموارد المالية بأن تستخدم أردأ أنواع الورق وأبسط أشكال الطباعة. ففي هذه النشرات ذات المظهر الشاحب والجسم الهزيل، ظل العقل المصري يقول كلمته ويعلن مقاومته لقوانين القمع ويؤكد ذاته في وجه كل المحاولات التي تهدف إلى طمس معالمه. وفي ضوء هذه الظاهرة أصبحت في مصر ثقافتان: ثقافة رسمية تقدّم إليها كل التسهيلات ولكنها تعجز عن مخاطبة أحد سوى صانعيها، وثقافة نابعة من جهود ذاتية لأبناء الشعب، ضئيلة الامكانات ولكنها ضخمة الانجازات. فأيهما هي التي يمكن أن تعد، بحق، ثقافة أصيلة، وأيهما الهامشية؟

* * *

لقد أثيرت في هذا البحث، بطريقة صريحة حينا وضمنية حينا آخر، مجموعة من القضايا التي ربما كان من المفيد أن نلخصها في نهاية بحثنا.

وأهم هذه القضايا هي:

(١) المجلة الثقافية من حيث هي عامل من عوامل التوحيد في الوطن العربي.

(٢) الفرق بين المجلة الثقافية القائمة على جهود شخصية فكرية وأدبية واحدة، وتلك التي تمثل «تيارا» أو «اتجاها».

(٣) محاولات التغلغل الأجنبي في تفكيرنا من خلال المجلات الثقافية، والحد الفاصل بين التغلغل الثقافي والتفاعل بين الثقافات.

(٤) أهمية دور الايديولوجيا في المجلة الثقافية المعاصرة، وحدود هذا الدور.

(٥) تراجع هامش الحرية المتاح للتعبير عن الرأي من خلال المجلات الثقافية في معظم الأقطار العربية، ومحاولات الكتّاب في التحايل على قيود الرقابة.

(٦) دور الدولة، في مقابل النشاط الخاص، في إصدار المجلات الثقافية، والايجابيات والسلبيات الممكنة لهذا الدور.

(٧) الوزن النسبي للفكر المحافظ والفكر التقدمي في المجلات الثقافية المعاصرة.

(٨) الدور النسبي للقضايا الأدبية والقضايا الفكرية في المجلات الثقافية.

(٩) المجلة الثقافية من حيث هي وسيلة لمقاومة تيارات الاستسلام السياسي وفقدان الهوية الحضارية.

هذه بعض الموضوعات التي أثيرت في هذا البحث، والتي لا يمكن القول أن بحثا كهذا يستطيع أن يقدم إجابة حاسمة عن أيّ منها. وكل ما حاول هذا البحث القيام به هو أن يطرح هذه الأسئلة الحيوية في إطار التجربة المصرية خلال العقود الأخيرة، ويفتح الباب لحوار أخصب وأعمق حول هذه المسائل التي تمس صميم حياتنا الثقافية المعاصرة.



المدرسة عبر التاريخ

■ د. نقولا زيادة

عناية العرب والمسلمين، أيام ازدهار الحضارة العربية الاسلامية، بمعاهد العلم لم تعد من الأمور المجهولة. وهذه الخلاصة هنا تبين الخط العام لتطور معاهد التعليم من المدرسة الاسلامية الأولى إلى الجامعة عبر المدرسة النظامية.

المدرسة الإسلامية الأولى



كانت دارُ العلمِ في مقدمةِ الأمورِ التي عُنِيَ بها المسلمون، وكان المسجدُ أولَ مكانٍ اتُخِذَ لتعليمِ القرآنِ الكريمِ والحديثِ الشريفِ، فكانَ أولَ دارِ علمٍ في الإسلام. والحديثُ عن دور العلمِ في الإسلامِ حديثٌ طريفٌ لا أطمعُ في أكثرِ من إجمالِه الآن. وكلي أملٌ في أن أثيرَ رغبةَ القراء إلى تقصي أخبارِ هذه المؤسساتِ.

وليسَ من السهلِ أن يجمِلَ المرءُ أخبارَ المدارس التي انتشرت، في مدى ستةِ قرونٍ أو أكثر، من الهندِ إلى البرانيس، ومن طوروسَ إلى عدن، في مثلِ هذه الصفحاتِ القليلة. هذه المدارسُ التي كانت مناراً يُهتدَى به في ظلماتِ الجهلِ الحالكةِ، التي كانت تكتنفُ العالمَ الخارجَ عن نطاقِ الدولِ الإسلاميةِ في القرونِ الوسطى.

بدأتْ دورُ العلمِ في الإسلامِ في المشرقِ بالعنايةِ بالقرآنِ وعلومِ الشريعةِ واللغةِ. فلما تعرفَ العربُ إلى علمِ اليونانِ وفلسفتِهم ومنطقِهم نقلوا عنهم، وعرَّبوا ما أخذوه، فصار جزءاً من حياتهم الفكرية، إنْ تعليماً وإنْ كتابة. فصارت دورُ العلم تعنى بالرياضياتِ والطب والفلكِ عنايتَها باللغة. فلما طغى الأتراكُ وغيرُهم على المشرقِ منذ القرن الخامس الهجري، اتخذوا من بعضِ دورِ العلمِ وسيلةً للدعايةِ السياسيةِ والتقرب من الجماهير. فضعفت الحياةُ العلميةُ في دورِ العلم، وغلبَ عليها لونٌ من التعليمِ الديني والسياسي. أما في الأندلس، التي لم تتعرضْ لمثلِ هذا المؤثر، فقد بقيتْ دورُ العلمِ فيها مراكزَللبحثِ الخالصِ إلى آخرِ عهدِ العربِ في تلك البلاد، بل قد استمرتْ التقاليدُ العلميةُ التي أورثَتْها جامعاتُ تلك البلاد حيةً هناك قروناً عديدة، بعد زوال الملك العربي.

وقد تركزت دورُ العلمِ في عواصمِ الإسلامِ الكبرى في بغداد والقاهرة وقرطبة، وفي عواصمِ الأقاليمِ والدويلاتِ التي نشأت في ظلالِ الخلافةِ العباسيةِ مثل نيسابور ودمشق والقدس والقيروان وغرناطة وإشبيلية.

كانت علومُ الدينِ واللغةِ تشمَلُ، بالاضافةِ إلى ما يتبادرُ إلى الذهن مباشرةً، التشريعَ والتاريخَ والمسائلَ المالية، لأنّ كلَّ هذه كانت جزءاً اساسيا لازما لفهم القرآن الكريم وأحكامِه في الادارةِ والجزيةِ والزكاة. وكانت العلومُ الأخرى، التي سُمِّيَتْ العلومُ المنقولةُ، تشملُ الرياضيات والطبَّ والفلك. وهذانِ العلمان كانا يدرسان دراسةً علميةً عمليةً في البيمارستانات أي المستشفيات وفي المراصد.

كان المسجدُ أولَ دارٍ للعلم كما قلنا قبلاً. لكن ذلك لم يطل. فقد لوحظ أن المناقشة قد تُؤدِّي إلى الخروج عن الأدب الذي تجبُ مراعاتُه لبيتِ الله، فخرج الناسُ إلى غيرِه لمثلِ هذه الحالات. وكان ذلك في القرن الرابع الهجري. وفي زمنِ نظامِ الملكِ الوزيرِ السلجوقي، أي في القرنِ الخامسِ الهجري، بنيت المدارسُ الرسمية. لكنَّ قبلَ ذلك كان الخلفاء والأمراء قد بنوا دوراً للعلم والحكمة. كانت تحوي كلٌّ منها مكتبةً تفتحُ لطلابِ العلمِ وأهلِه، وبعضُها تُجْرَى فيها أرزاقٌ على المشتغلين بالعلم، وبعضُها كانت مراكزَ للنقلِ والترجمة. ونلاحظ أنه منذ أواخرِ القرنِ الرابعِ الهجري كان بكلِّ جامعٍ كبيرٍ مكتبة. وكانت هذه المكتبةُ يَغْلُبُ أن تسمى «خزانةَ الحكمة». ثم زيدَ التعليمُ على هذه الخزائن. فمن ذلك ما رواه ياقوتُ في الارشادِ أن أبا القاسمِ الفقيهَ الموصلي، أسَّس داراً للعلم في بلده وجعلَ فيها خِزانةَ كتبٍ من جميعِ العلوم، ووقفَها على طلابِ العلمِ، فلم يُمْنَعْ أحدٌ من دخولِها. وإذا جاءَها غريبٌ يطلبُ الأدبَ، وكان من المُعسرين، أعطاه وَرَقا وَوَرِقا. وكان أبو القاسمِ نفسُه يجلسُ فيها، ويجتمعُ إليه الناسُ فيملي عليهم شعرَه وشعرَ غيره وحكاياتٍ وطرفا من الفقه.

وتلا فترةَ خزائنِ الحكمةِ هذه عصرٌ زهت فيه دورُ العلمِ التي كانت مراكزَ للبحث. وفي مقدمتِها بيتُ الحكمةِ البغدادي ودارُ العلمِ القاهرية. أما الأولُ فقد أنشأه الرشيد وعَظُمَ شأنُه في زمنِ المأمون، ثم تضاءل بعدَه. وقد استخرج المرحوم خليل طوطح أن الفلسفةَ والعلمَ كانا الموضوعين الرئيسيين في برامج دروسه. على أن رسالةَ بيتِ الحكمةِ الأساسيةِ كانت ترجمةَ الكتبِ اليونانيةِ إلى العربيةِ على يد ابن ماسويه وابن اسحق. وقد كان سَلْمُ خازنَ بيتِ الحكمةِ في زمن المأمون. وممن حاضَرَ فيه الخوارزمي.

وأما دارُ العلمِ القاهريةُ فقد أنشئت في زمنِ الحاكمِ بأمرِ الله سنة ٣٩٥هـ. وأمَرَ فحملت إليها الكتبُ من خزائنِ القصورِ المعمورة «ودخلَ سائرُ الناس إليها يقرأون وينسَخُون؛ وأقيمَ لها خُزَّانٌ وبوابون ورُتِّبَ فيها قومٌ يدرِّسون للناس العلوم». وقدروى المقريزي أخبارَ دارِ العلمِ هذه. ومن طريفِ ما وصلَ إلينا على يديه ميزانيتُها. فقد كان يُنْفَقُ عليها مائتان وسبعة وخمسون ديناراً (أي نحو مئتين وخمسين دولارا) في العام الواحدِ: منها تسعون ديناراً ثمنُ الورق وثمانيةٌ وأربعون ديناراً أجرةُ الخازن وخمسةَ عشرَ ديناراً للفراشين والباقي للحبر والأقلام ولَمَرَمَّةِ الكتبِ والأستارِ والطنافسِ في الشتاء وثمنِ الماء.

أما المدارسُ التي عرفها الشرقُ الاسلاميُ فيما بعدُ فأهمُّها النظاميةُ في بغداد التي أنشأها نظام الملك السلجوقي. وكان الغرضُ منها نشرَ المذهب الشافعي، ولذلك كان اتجاهُها دينياً فقهيا قبل أيِّ شيءٍ آخر. وتمثِّلُ النظاميةُ دورا جديدا في المدرسةِ الاسلاميةِ من حيث اشرافُ الدولةِ عليها إشرافاً تاما. فقد كانت نفقاتُها من الخِزانةِ الرسمية كما كان اختيارُ اساتذتِها ومدرسيها بيدِ الخليفة. ومن كبار من دَرَّسَ فيها الغزاليُّ وبهاءُ الدين صاحبُ كتاب المحاسنِ اليوسفيةِ في حياةِ صلاحِ الدين الأيوبي.

المدرسة النظامية

في منتصفِ القرنِ الخامسِ الهجري (الحادي عشر للميلاد) طرأت على المدرسةِ في الاسلامِ تطوراتٌ هامةٌ من حيث وظيفتُها وبرامجُها وتنظيمُها. والرجلُ الذي قام بذلك هو نظامُ الملك وزيرُ آل سلجوق، الذي أنشأ المدرسةَ النظاميةَ ببغداد سنة ٤٥٩هـ أي سنة (١٠٦٧م). ثم أنشأ مثلَها في أمهات المدنِ الفارسيةِ والعراقية. وهذه المدارسُ انتشرت غرباً إلى ديار الشامِ ومصرَ والمغرب العربي. وقد عُرِفَتْ بالمدارسِ النظاميةِ نسبةً إليه.

«إن نظامَ الملك كان أولَّ من جعلَ إنشاءَ المدرسةِ من عملِ الدولة. وقد أصبح هذا تقليداً متبعاً في كافةِ الدولِ الاسلاميةِ في العصور التالية. وهيأ لها هذا من الحياةِ المنتظمةِ والمواردِ الغنيةِ الدائمةِ والتنظيماتِ الاداريةِ ما مكنها من اداء واجبها التعليمي بشكل لم يكن معروفاً من

قبل. وبذلك كان نظامُ الملك أولَ من جمعَ شَتاتَ التعليم على المذاهب السنية، والمذهب الشافعي بشكل خاص، فأصبح ذلك أمراً رسميَّاً تقومُ به الدولة. وبقيام المدارس النظامية تحتَ رعايةِ الدولة أتيحَ لها أن تتجهَ نحوَ الاكتمال».

وقد كانت المدارسُ النظاميةُ تقتصرُ أول الأمر على أستاذ واحد أو شيخ واحد، شأنَ المدارس التي سبقتْها. ثمَّ أخذتْ الدولةُ تتجهُ نحوَ تعيين شيوخ لمواضيعَ مختلفة. فجاء، مثلاً، دورُ الأدبَ إذ تولَّى تدريسَه في النظامية أمثالُ الخطيبِ التبريزي والجواليقي.

وعندنا صورة حيّة للمدرسةِ النظاميةِ في بغداد من قلم الرحالة ابنِ جبيرِ الذي زارها في القرنِ السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ووصفَ الدرسَ الذي حَضَرهُ فيها بقوله:

«فأولُ من شاهدْنا مجلسَه من فقهاءِ بغدادِ الشيخ الامامُ رضيالدين القزويني رئيسُ الشافعيةِ وفقيهُ المدرسةِ النظامية..

«حضرنا مجلسَه بالمدرسةِ المذكورةِ إثرَ صلاة العصر من يوم الجمعة.. فصعدَ المنبرَ وأخذ القراءُ أمامه في القراءة على كراسي موضوعة.. ثم اندفع الشيخُ الامامُ المذكورُ فخطب خُطبةَ سكونٍ ووقارٍ وتصرَّفَ في أفانينَ من العلوم من تفسيرِ كتابِ اللّه عزَّ وجَلَّ وإيرادِ حديثِ رسولِ اللهَ (ص) والتكلّم على معانيه. ثم رشقتْه شآبيبُ من المسائل من كلِّ جانب. فأجابَ وما قصَّر، وتقدَّم وما تأخر. ودُفعَتْ إليه عدةُ رقاعٍ فيها مسائلُ فجمعَها جملةً في يدِه وجعلَ يجاوبُ على كلٍّ واحدةٍ منها وينبذُ بها، إلى أن فَرغَ منها وحانَ المساء، فنزلَ وافترقَ الجمع. فكان مجلسُه مجلسَ وعظٍ وإرشاد».

وعندنا مثلٌ من هذه المدارس النظامية في المدرسةِ المعرضيةِ بتونس التي أنشأها أبو زكريا الحفصيُّ سنة ٦٨٣هـ(١٢٨٤م) وحبس عليها مالاً كثيراً، وزودها بمكتبةٍ غنيّة. وقد وردَ عنها للزركشي ما يلي:

«وكان بإزاءِ دارِ الغَوْري فندقٌ يسكنه أهلُ السرف، فبلغه أي الحفصي المذكور ذلك، فأمرَ أن يبني المكان مدرسة للعلم. فبنى مدرسةَ المَعْرض وحبسَ عليها رَبْعاً كثيراً اشتراه بمالِه، مع كتب نفيسةٍ في كلِّ فنٍّ من فنون العلم. ولما كمل بناؤها جلسَ فيها المدرسُ الشريفُ أبو العباس أحمدُ الغرناطي صاحبُ كتاب «المشرق في علماء المغرب والمشرق.

«ووجهَ للمدرِّس قرطاسين بذهب وفضة.. وكان يحضر [أبو زكريا] مجلسةَ للوعظ يوم الاثنين والجمعة فيُطْلَقُ العنبر والعودُ ما دام المجلس.

«وأجري على المدرِّسِ رزقاً كثيراً قدره عشرة دنانيرَ في الشهر».

ومثل ذلك يمكن أن يقال عن المدارسِ الكثيرة التي عرفتها أقطارُ الغربِ الاسلامي في مدنِها المختلفة. وبنو مرينٍ لهم في ذلك سجلٌ حافل. ومن أمثلةِ ذلك المدرسةُ العظمى التي بناها أبو سعيد المريني سنة ٧٢٣ للهجرة (١٣٢٣ للميلاد). وهي المعروفة اليوم بمدرسة العطارين. وقد قامَ على بنائِها الشيخُ محمدُ عبدُالله بنُ قاسم المزوار. روى صاحب الاستقصا عن هذه المدرسة ما يلي:

«فجاءت هذه المدرسةُ من أعجب مصانعِ الدول، بحيث لم يَبْنِ ملكٌ قبلَه مثلَها، وأجرى بها ماءً معيناً من بعضِ العيونِ هنالك، وشحنها بالطلبة. ورتّب فيها إماماً ومؤذنين وقَومَةً يقومون بأمرها، ورتَّبَ فيها الفقهاءَ لتدريس العلم، وأجرى على الكلِّ المرتباتِ والمؤنَ فوقَ الكفاية. واشترى عدةَ أملاكٍ ووقفها عليها احتساباً لله تعالى».

والمدرسةُ في الاسلام، على اختلافِ أنواعِها وتباعدِ ديارها وتباينِ نظراتِ القائمين عليها، كانت حريصةً على أن تكونَ العلاقةُ بين المعلمِ والتلميذِ أو الشيخِ والطالبِ علاقةَ توادٍّ وتعاطف. وقد تَدَبَّرنا آراءَ الكثيرين ممن عَمِلوا في التعليم وكتبوا فيه، فرأينا أنَّ نظراتِ الامامِ الغزالي في هذه القضيةِ حريةٌ بإمعانِ النظرِ فأجملناها فيما يلي:

«إن نظرةَ الامامِ الغزالي في هذه المسألةِ هي التي يَجبُ أن تكونَ شعارَ الذين يشرفون على تربيةِ النشء وتقويمِه. ذلك لأن هذا الامامَ كان يرى أنَّ التلاميذَ بالنسبةِ إلى المعلم أبناؤه. فعليه أنْ يُجْرِيَهم مجراهم. فإذا صحَ ذلك فليس يجوزُ للمعلمِ أن يدعَ من نصحِ المتعلمِ شيئاً. وعليه أن يتأكد من اتقانه العلومَ الجليةَ قبل الانتقالِ إلى العلوم الخَفيّةِ. فإذا تعرض المتعلمُ لسوءِ الأخلاق كان زجرُه بطريقِ التعريضِ والرحمةِ

لا يُصْرَخ فيه ولا يُوَبَّخ. وقد خشي الغزاليُّ أن يعمدَ المتكفل ببعضِ العلوم إلى تقبيح العلوم الأخـرى فنهى عن ذلك. وكان الغـزاليُّ يكرهُ القائلين دون أن يعملوا بالقول، فأوصى المعلمين بوجوب موافقةِ القول للعمل فلا يُكَذِّبُ القولَ الفعلُ. وكان هذا الرجلُ شديدَ العنايةِ بأن يُنَشَّأ الصغارُ من الطلاب خاصة تنشئة صحيحة فأوجب على معلميهم أن يمنعوهم من التنعم والزينـة وأن يعودوهم الخشـونةَ في المفـرش والملبس والمطعم».

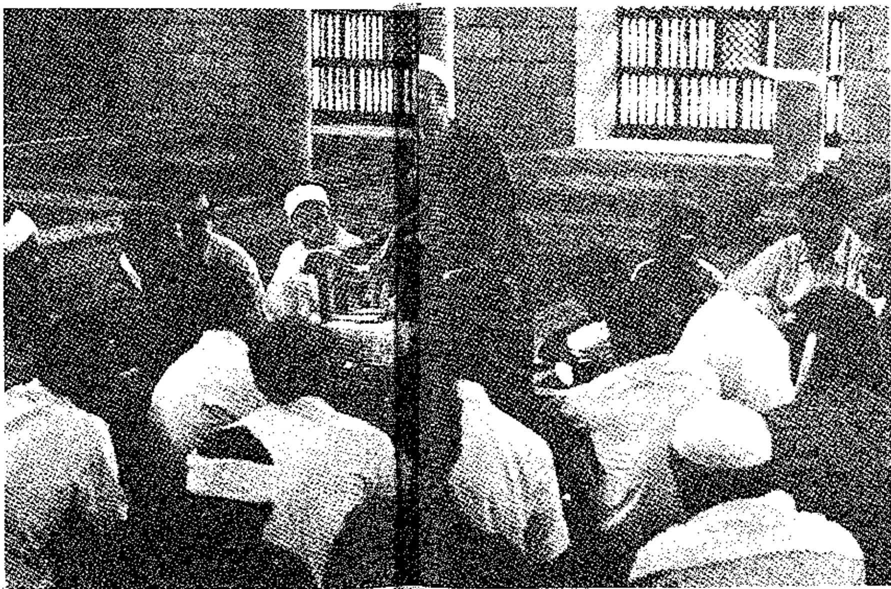
الجامعة في الاسلام الأزهر والزيتونة والقرويين

الأزهر والزيتونة والقرويين هي معاهدُ ثلاثةٌ متعاصرة في النشأة والتطور، وهي التي تُمَثِّلُ الانتقـال الذي شهِدَه العـالمُ الاسـلاميُّ من المدرسة إلى الجامعةِ. والمعاهدُ الثلاثةُ نَيَّفَتْ عن الألفِ من السنين عمراً. ومع أنه قد يكونُ من المفيدِ أن نعرِضَ لتاريخِها، لكننا سنقتصر على دورِها الثقافي التعليميِ الجـامعيِ في عصورِ ازدهارِها السـابقة، أي لـمـا صارتْ جـامعات. والأزهـر عرف هـذا الدورَ في عصرِ السلاطين المماليك، والزيتونة عَـرَفَه في أيـام بني حفص وأوائلِ العصور الحديثةِ، والقرويين عرفه بشكل خاص في أيام بني مرين.

ففي عصرِ السلاطين وخاصـةً منذ القـرن الثامنِ الهجري أي الرابعَ عشرَ الميلادي، كانت للأزهرِ مكانتُه الخاصة. «يعاونه في ذلك اتساعُ حلقاتِه وأروقتِه، وتنوعُ دراساتِه، وهيبتُه القديمةُ، ومـا يلاقيه الطلابُ من أسبـاب التيسـير في الدراسةِ وأحياناً في الاقامة. وقد غدا الأزهرُ منذ أواخرِ القرن السابع أي مذ عفت معاهدُ بغداد وقرطبةُ، كعبةَ الأساتذةِ والطلابِ من سائر أنحاء الشـرق الاسلامي، وغـدا من أعظم المـراكـز للدراساتِ الاسلاميةِ العامة».

«ومنذ القرن الثامن الهجري يتبوأ الأزهرُ في مصرَ وفي العالمِ الاسلاميِ نوعاً من الزعامةِ الفكريةِ والثقافيةِ. وفي أنباءِ هذا القرنِ ما يدلُّ على أنَّ الأزهرَ كان يتمتع في ظل دولةِ السلاطين برعايةٍ خاصة، وكان الأكابرُ من علمائه يتمتعونَ بالجاهِ والنفوذ، ويشغلون وظائفَ القضاء العليا، ويستأثرون بمراكزِ التوجيهِ والارشاد. وكان هذا النفوذُ يصل أحياناً في هذا العصر، إلى التأثيرِ في سيـاسة الدولة العليـا، وأحيانـاً في مصـايـر السلطان».

«ومما تجب ملاحظتُه أنَّ الأزهرَ كان في تلك الفترة، جامعةً حقةً، تغلبُ فيه الصفةُ الدراسيةُ على أيةِ صفةٍ أخرى. بيدَ أنه بالرغم من هذه الصفةِ العلميةِ الحرة، كان ما يزالُ دائماً، وقبلَ كل شيء، جامعةً إسلامية، تغلبُ الصفةُ الدينيةُ على برامجِه وحلقاتِه. وليسَ في تاريخِ الأزهر في تلك الفترة، ما يدل على أنَّه، ما خلا علومَ اللغة، كانت تُدَرَّسُ فيه علومٌ مدنية ذات شأن، سوى المنطق وقليل من العلوم الرياضية».



□ درس في الشريعة في الجامع الأزهر في القاهرة

ولئن كان جامع الزيتونة يضمُّ بين جدرانِه تاريخَ ستةِ قرونٍ من فن المعمارِ والزخرف، فإن هذا الصرحَ يمثِّل تاريخاً أطولَ من ذلك بكثيرٍ للحياةِ العلميةِ في مدينةِ تونس. فقد أخرج حسنٌ حسني عبدالوهاب أنَّ تداولَ التعليم بالزيتونةِ يرجع إلى أوائلِ القرنِ الثالثِ الهجري (التاسع الميلادي)، وأن أولَ من سُمِعَ منه هناك كان زيدَ بنَ بشر الأزدي. على اننا لا نستطيع أن نتصورَ تونس، وجامعَ الزيتونة فيها، دون قُراءٍ ومحدثين وعلمـاء حتى قبل ذلك. صحيـح أنَّ القيروانَ نالَها من شرف خدمةِ العلْم الشيءُ الكثيرُ في القرون الاسلاميةِ الأربعةِ الأولى لكنَّ لا بدَّ أنه كانَ في الزيتونةِ من يُقرِىءُ النـاسَ ويفسرُ لهم ويحدثُهم ويروي لهم الأدبَ والتاريخَ ويشرحُ لهم شـؤونَ اللغة وأساليبَ البلاغة.

في عهـدِ الحفصيين، أي بـدءاً من القـرن السابعِ الهجري (الثالث عشر الميلادي)، رحل عدد كبير من أهلِ العلمِ في الأندلس إلى تونس، واستقرَّ التعليمُ العالي في جامع الزيتونة بتونس. ولعل أهمَ من ذلك كلِه أن موادَ التعليم ضُمَّت إلى بعضِها البعض، وأصبح جامعُ الزيتونةَ مقرَّها ومستقرَّها. فكـان يـدرسُ فيـه الدينُ والطبُ والهندسةُ والحسابُ، وما إلى ذلك. ولعله ليس من قَبيلِ المصادفةِ أن يُنْتِجَ العصرُ الحفصي عدداً كبيراً من الموسوعات، فإلى هذه الفترة يعود تاريخُ ابنِ خلدون ومقدمتُه، ولسان العرب لابن منظور، وسُرورُ النفس للتيفاشي، وهو موسوعة كاملة في ممـالك الطبيعـة الثـلاث: الجمـاد، والنبـات، والحيوان.

وفي أواخرِ العهدِ الحفصي كان القطرُ التونسي يعـاني مشاكلَ سياسيـةً واقتصاديـة كثيرةً، ويتعرَّضُ لهجماتٍ أوروبية. وقد جـاء احتلال الأتراك لتونس سنة ٩٨١هـ (١٥٧٤م) فوضع حداً للمطامـع الاوروبية. وفي سنـة ١١١٧هـ (١٧٠٥م) قامت الأسرة الحسينيـة في تونس. ونحن إذا أخذنا زمنَ الولاةِ العثمانيين والحكامِ المراديين وجدنا أن ثلاثةَ أمور هامة أثَّرتْ في الحياةِ العلميةِ في تونس بشكل خـاص، ولعل جامعَ الزيتونة كان له في ذلك نصيبٌ كبير. وأول هذه الأمور هو ازديادُ الهجرةِ الأندلسيـةِ إلى تـونس. والثاني رحلةُ عـددٍ كبيرٍ من الطلابِ التونسيين إلى المشرق. والأمرُ الثالثُ إنتاجُ طبيٌّ وفقهيٌ كثير. ولعله من المناسب أن نذكرَ هنا أنه على إثْـرِ الاحتلالِ التـركي حاولَ الأتـراكُ إدخالَ التركيةِ كلغة تعليم بالزيتـونة، وتـرجيحَ كفَّـةِ المذهبِ الحنفي على المذهب المالكي، ولكنَّ المحاولةَ لم تنجح وانتهى الأمر بجامع الزيتونة أن يعود سيرتَه الأولى، فيظل المركزَ الأول للتعليم.

ويلفت نظرنا المرحوم «عثمـان الكعاك» إلى الفروق في الدورِ العلمي الذي قام به جامـع الزيتـونة بـين أيـام الحفصيـين وبـين العصر الحسيني الأول الذي يمتد من سنة ١١١٧ ــ ١٢٣٠هـ (١٧٠٥ ــ ١٨١٥م)، ويجمـل هـذه الفروق فيما يلي:

أولاً: كان التعليمُ الزيتونيُ الحفصيُ يشملُ التعليم الاسـلامي الأدبـي والديني والفلسفةَ والعلومَ العقلية عامة، والطبَّ والفلكَ والحسابَ خصوصاً. أما في العصرِ الحسيني فقد نقصت هذه العلومُ العقلية، لم يبقَ منها إلاَّ الميقات وشيء من الطب.



□ جامع الزيتونة في تونس

ثانياً: يبدو أن التعليمَ الحفصيّ كان يقوم على الكتب التونسية أصلاً. فكما كان الفقهُ في عهد الأغالبة يعتمد على مدونة «سحنون»، وفي عهد الفاطميين كان يرتكز على كتاب دعائم الاسلام، فقد اعتمد العهد الحفصي على الرسالة لابن أبي زيد والشروح التي وضعها لها علماء من تونس. أما في العصر الحسيني فقد كان الكثيرون من الأساتذة بالزيتونة قد درسوا في مصر، فكان من الطبيعي أن يزودوا أنفسهم بكتب الفقه المصرية. ومثل هذا يقال في المواد الأدبية.

ثالثاً: ان التعليم الزيتوني على العهد الحسيني الذي أنقص منه التعليم الرياضي قُوِّيت فيه النواحي الأخرى من دينية وأدبية وفرضية وميقاتية وزاد التعمق فيها.

يبدو ان بني مرين أصحابَ المغرب، لم يخصوا جامعَ القرويين باحتكار التعليم. من المؤكدِ أن أكثرَ المدارس بنيت حولَ هذا الجامع، مما يدلُّ على واحدٍ من أمرين: إما أنَّ الجامع كانت له منزلةٌ خاصةٌ، وإما أن بني مرين أرادوا أن يُسْبِغُوا عليهِ مثلَ هذا التميز. إلا أنَّ بناءَ مدرستين توأمين على مقربة من جامعِ الأندلسِ يشيرِ إلى وجودِ مركزٍ مزدهرٍ للعلم هناك أيضاً.

كان الأساتذةُ يكونون هيئةً من العلماءِ صار لها تدريجياً دورٌ متزايدُ الأهميةِ في الحياةِ الفكريةِ والروحيةِ والسياسيةِ لا في فاس وحدَها ولكن في المغرب بأكملِه. إنَّه من المؤسفِ أنه يستحيلُ تكوينُ أيةِ فكرةٍ عن عددِ هؤلاءِ الأساتذة أو عن الأسلوبِ الذي كان ينتظمُهم. ومن المحتملِ انه قد كان لهم فيما بينهم سُلَّم أدبي وإن لم يكن لهم سُلَّم مهني ينظِّمُ أمورَهم. وعلى كل حال فقد كان ضمُّ أساتذة جددٍ يقومُ على أساسٍ من الاختيار، إذ أن القاضي كان يأذن لقوم بالتعليمِ بعد أن يستشيرَ العلماءَ أنفسَهم.

كانت موضوعاتُ التدريس دينيةً في طبيعتها. فكانت تشمل التفسيرَ والحديثَ والتوحيدَ وخاصة الفقه، وهو الموضوع الذي زادت منزلتُه تدريجياً، وكان يشملُ العبادات. وكان يضاف إلى هذه المجالاتِ العلميةِ الكبرى النحوُ والبلاغةُ والعروضُ والمنطقُ، ومبادىء الرياضياتِ والفلكِ إذ كانا يستعملان في التوقيتِ الديني وتقسيمِ المواريث. ولعلَّه من الممكنِ أن التاريخ الاسلامي والجغرافية وشيئاً من الكيمياء كانت أيضاً تعلم في فاس في هذه الفترة. وعلى كل فالعلوم الطبيعية والاجتماعية لم تكن، على ما يظهر، تحتل مكاناً كبيراً في المناهج المدرسية في فاس، مع انه كان بين كُتَّابِ أبي الحسن رجلٌ اسمه أبو العباس أحمد بنَ شعيب الذي كان طبيباً وعالماً بمفردات النبات.

من الضروريِ أن نُبْرِزَ المحورَ الأساسي الذي كان يدورُ حولَه هذا النظامُ التعليمي. لقد كان تعليماً أساسُه نقلُ التراث من جيلٍ إلى جيل، وكان من الواضحِ أن طابعَه المحافظة. وكان الواجبُ الأصلي الملقى على عاتقِ علماءِ فاس، شأنَهم في ذلك شأنَ زملائهم في العالم الاسلامي وفي أوروبة في العصورِ الوسطى، ينتظمُ نقلَ الحقيقةِ: لا الحقيقةَ التي تَنْتُجُ عن التجربةِ الانسانيةِ والتي يُكلِّفُ الحصولُ عليها الكثيرَ من العناء، بل الحقيقةَ الالهيةَ التي أوحى بها الله إلى النبي الكريم والتي شرحها نبهاء أهل العلم من المسلمين. وكان واجبُهم الأول أن ينقلوا إلى خلفائهم هذه الحقيقةَ كاملةً غيرَ منقوصةٍ ولا مزيدٍ فيها — ومن هنا جاءت صفةُ المحافظة في تعليمِهم. ولذلك كانت الخصالُ التي عُنُوا بتنميتِها في طلابهم، قبلَ كل شيء، هي الحفظ والأمانةُ التي لا هوادة فيها: فقد كان الأساتذةُ يضعون بين أيديهم وديعةً مقدسة كان عليهم، بدورِهم، أن يسلِّموها إلى خلفائهم دون تزييفٍ أو فساد. ●

● لو قامت الحرب فلن يكون فيها منتصر!

(ايزنهاور)

● اذا انتخبت رئيسا للجمهورية.. فلن أرسل طائراتنا للتجسس على الاتحاد السوفياتي!

(جون كنيدي)



المسار التاريخي العام للامارة الشهابية: تقييم واستنتاج

■ العميد الركن
د. ياسين سويد

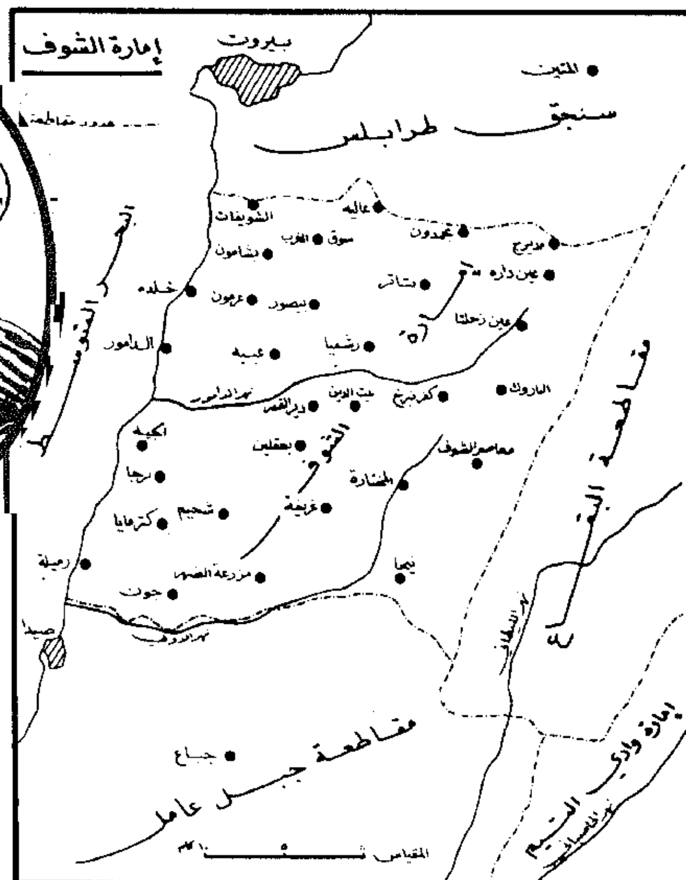
أولاً — تقييم



لم يكن المعنيون، أمراء الشوف بحاجة إلى أن يقتطعوا لأنفسهم، إقطاعات خاصة بهم، فكل الامارة إقطاعة لهم، ذلك أنهم كانوا من أسرة متجذرة في الامارة أصيلة فيها، فمنذ عهد الأمير فخرالدين المعني الأول وحتى عهد حفيده الشهير فخرالدين المعني الثاني الكبير، تمكن هؤلاء الأمراء من السيطرة على الامارة سيطرة تامة، ومن تحجيم الحزب «اليمني» المنافس لهم، بل أنهم تمكنوا، في عهد ابرزهم وأشهرهم، فخرالدين الثاني، من بسط نفوذهم بشكل تام على بقعة أكبر بكثير من تلك التي كانت تقع ضمن حدود إمارتهم، ورغم تبدل موازين القوى بعد فخرالدين الثاني، ظل الأمراء المعنيون في إمارة الشوف أسياداً على الامارة كلها، بلا منافس، وقد سبق وفصلنا ذلك كله في الجزء الأول «الامارة المعنية».

وإذا كان الأمراء المعنيون قد اضطروا، وخاصة فخرالدين الثاني منهم، وبسبب خصومتهم مع الباب العالي، إلى إقامة تحالفات داخلية وخارجية مع قوى متعددة، ومتباينة بعض الأحيان، فإنهم ظلوا محتفظين بخصوصية إمارتهم المعنية، بل إنهم، في مغالاتهم بهذه الخصوصية، منحوها شكلاً خاصاً متميزاً عن مختلف الامارات والمقاطعات التي عرفت في بلاد الشام في ذلك الحين.

ولكن الأمر لم يكن على هذه الحال في العهد الشهابي، بل كان على نقيضه تماما، فالأمراء الشهابيون، خلفاء المعنيين في إمارة الشوف، قد أُتي بهم من بلاد بعيدة «من وادي التيم» ليتأمّروا على شعب ليس بشعبهم، وفي إمارة لم تكن لهم أصلاً، وإذا افترضنا جدلاً أن علاقة



الجزء الثاني من كتاب العميد الركن د. ياسين سويد «التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية في عهد الامارتين، الإمارة الشهابية»(*) يعتبر بحق أسلوبا جديداً وغير مألوف في كتابة التاريخ اللبناني، إذ لم نعرف، على وجه التحديد، مؤرخاً نهج هذا المنهج في كتابة التاريخ اللبناني.

فخلافاً لكل ما كتبه المؤرخون اللبنانيون المحدثون، ينظر الدكتور سويد إلى كتابة التاريخ اللبناني من زاوية تختلف عنهم تماماً، ويدعو إلى التأمل بها ونقدها وتجليها، كما يدعو إلى إعادة كتابة تاريخ لبنان على هذا الأساس، وبشكل علمي دقيق.

فهو، مثلاً، يرى أن لبنان، كياناً ودولة، لم يكن قبل عام ١٩٢٠، وأن المتصرفية والقائمقاميتين كيانان طائفيان فرضتهما ظروف طائفية معينة، وإرادات اجنبية، وإنهما لا يجسدان، على الاطلاق، فكرة الكيان اللبناني. اما الامارتان المعنية والشهابية، فهما إمارتا «الدروز» ولم يكونا يوما إمارتين لبنانيتين. وهو، مع ذلك، لا ينسى أن يحكم على الصيغة اللبنانية الحالية الطائفية بالسقوط والفشل، وأن اية محاولة لترميمها، تحمل في طياتها «بذور حرب طائفية جديدة مدمرة، سوف يكون أبناؤنا وأحفادنا وقوداً لها».

وننشر، فيما يلي، من كتاب العميد سويد، خاتمته «المسار التاريخي العام للامارة الشهابية، تقييم واستنتاج» التي تلخص، إلى حد كبير، نظرته الجديدة إلى تاريخ لبنان في هذه الحقبة «الحقبة الشهابية».

(*) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ... والوثائق التاريخية.

النسب بينهم وبين أسلافهم المعنيين هي التي قادتهم إلى الحكم في هذه الامارة فإن هذه العلاقة لم تكن لتوفر لهم القاعدة الشعبية الضرورية للنجاح[١].

من هنا، بدأ الأمراء الشهابيون يسعون لاتخاذ تدابير تؤمن لهم استقرار الحكم وديمومته كما تؤمن لهم سيطرة تامة على الامارة التي انتدبوا لحكمها. وللوصول إلى ذلك، سلك هؤلاء الأمراء سبلا ثلاثة:

١ ــ القيام بضربة عسكرية قاضية لخصومهم مما يؤمن لهم السيطرة على الامارة سيطرة تامة.

٢ ــ إجراء تعديلات جذرية في هيكلية الحكم وفي إدارة الاقطاعات في الامارة مما يؤمن لهم الحماية والاستقرار في الحكم.

٣ ــ التطلع إلى سند قوي يعضدهم ويشد أزرهم ويؤمن لهم، بالتحالف معه، ديمومة الحكم في الامارة.

وهكذا لم يتردد الأمير حيدر، ثاني الأمراء الشهابيين (١٧٠٦ ــ ١٧٢٩) من أن يحسم الأمر مع خصومه اليمنيين (وكان الشهابيون قيسيين) حسماً نهائيا، في وقعة عيندارة (عام ١٧١١) فيقضي على الحزب اليمني المناوىء قضاء مبرماً، الأمر الذي أتاح له تحقيق السيطرة العسكرية التامة على الامارة (وعلى ما هو أبعد من حدود الامارة كما سبق وشرحنا في حينه)[٢]. وإجراء التغييرات الجذرية اللازمة في هيكلية الحكم وفي إدارة الاقطاعات الواقعة تحت سلطته، وذلك بتركيز حلفائه الموثوقين في هذه الاقطاعات، إلا أنه، رغم كل ثقته بهؤلاء الحلفاء، آثر أن يحتفظ لنفسه بإقطاعة تكون تابعة له شخصياً وتشكل له حماية مباشرة من الخصم والحليف معاً، وذلك بخلاف ما جرى عليه الأمر عند أسلافه المعنيين[٣].

لقد كانت وقعة عيندارة حدا فاصلا ومصيريا في تاريخ الامارة الشهابية، فهي التي حققت لهذه الامارة، في أول عهدها، ونتيجة الحسم العسكري الذي حققته، والتغييرات الجذرية التي نتجت عنها، مطلبين أساسين كان لا بد منهما لتركيز الحكم الشهابي وهما: السيطرة التامة على الامارة، وحماية الحكم واستقراره. بقي المطلب الأخير والأهم للأمراء الشهابيين، وهو ديمومة الحكم في الامارة، وقد رأى الشهابيون في أهل جبل لبنان (جبة بشرى وكسروان) الحليف الذي يمكن أن يحقق لهم هذه الغاية ويؤمن لهم هذا المطلب، خاصة إذا كان الخصوم من داخل الامارة نفسها، فاختاروا التقرب من أهل هذا الجبل وممالآتهم والتحالف معهم، وغالوا في ذلك إلى حد أن أخذوا يقربونهم إليهم ويدخلونهم في حاشيتهم ويختارون مدبريهم وأمناء سرهم من بينهم، كما فعل أولهم الأمير بشير الأول (١٦٩٨ ــ ١٧٠٦) وجرى مجراه من خلفه من الأمراء الشهابيين[٤]، ثم صاروا يلجأون إليهم كلما ألمت بهم هزيمة في عقر دارهم، في الشوف.

إلا أن الحدث الأهم والأكثر تأثيراً في المسار التاريخي العام للامارة الشهابية هو تنصر الشهابيين أمراء الشوف[٥].

بدأ تنصر الشهابيين أمراء الشوف في مطلع العهد الشهابي، بتنصر أرملة الأمير بشير الأول مع ابنها وابنتيها عام ١٧٠٧ على يد «أبوناصيف» مدبر الأمير، واستمر في العهود المتتالية بمن خلفه من الأمراء الشهابيين حتى عهد الأمير بشير الثاني الكبير، الذي كان يشجع خفية، تنصر غير المسيحيين، إلى درجة أن محمد علي باشا، حليفه، أثار هذا الأمر في رسالة منه إلى أحد أعوانه في بلاد الشام معتبراً أنه أمرٌ «خطير يجب تلافيه» مما اضطر الأمير بشيراً إلى التنصل من ذلك وتبرئة نفسه منه[٦].

ولكن أبرز ما في عملية التنصر هذه هو أنها كانت تحولاً من مذهب السنة (مذهب الأسرة الشهابية)، إلى مذهب الموارنة، وأن هذا المذهب سوف يصبح بعد ستة عقود من الزمن (١٧٠٧ ــ ١٧٧١)، ومنذ عهد الأمير يوسف، مذهب الأسرة الحاكمة في إمارة الشوف ومن ثم مذهب الأسر الحاكمة في الجمهورية اللبنانية، وسيظل كذلك حتى يومنا هذا. ففي العام ١٧٥٤ تنصر أبناء الأمير ملحم وكان أهمهم الأمير يوسف الذي تسلم حكم إمارة الشوف عام ١٧٧١ فكان أول أمير ماروني من أصل سني يحكم إمارة درزية، ولأسباب سبق وشرحناها[٧] كان هذا الأمير ذا أثر فعال وحاسم في توطيد حكم الموارنة في كل من الشوف وبلاد



□ الأمير بشير الثاني الكبير.

جبيل (حيث كان يحكم قبل تسلمه إمارة الشوف) حتى أنه قاد، في أول عام لحكمه هذه الامارة أي عام ١٧٧١، جيشاً من الموارنة، للقضاء على الشيعة الحمادية في كسروان وبلاد جبيل، حيث أخرجهم منها وأورث إقطاعهم وأملاكهم للاقطاعيين الموارنة[٨].

لقد استطاع الأمير يوسف، بدهائه وحنكته وطموحه، أن يجمع تحت حكمه، كلا من الدروز سكان جبل الشوف، والموارنة سكان جبل لبنان دون أن يوحدهما، وذلك قبل أن تتمكن الدول الكبرى من جمعهما، بعد الأحداث الطائفية عام ١٨٦٠، فيما سمي يومذاك بمتصرفية جبل لبنان.

وإذا كان الأمير بشير الثاني الكبير الذي خلف الأمير يوسف عام ١٧٨٨، لم يتمكن من اجتذاب مشاعر أبناء طائفته الموارنة[٩] من أهل جبل لبنان، بسبب طغيانه ومكائده ومؤامراته من جهة، وبسبب تحالفه المصيري مع محمد علي باشا من جهة أخرى، فإنه كذلك، وللأسباب عينها، لم يتمكن من اجتذاب مشاعر الدروز من رعاياه في الشوف، فهو قد حارب زعيمهم الشيخ بشير جنبلاط (١٨٢٤ ـــ ١٨٢٥) وهزمه وقضى عليه وعلى أنصاره وحلفائه في حرب مدمرة حاسمة، ثم عاد فحاربهم إلى جانب حلفائه المصريين مرارا في خلال الحكم المصري لبلاد الشام (١٨٣١ ـــ ١٨٤٠) كما أنه لم يتوان عن تحريض الطائفتين إحداهما على الأخرى[١٠] تركيزاً لسلطته وخدمة لمصلحته الشخصية، فكان أن خسر الدروز دون أن يربح الموارنة. إلا أن أهم ما اقترفه من جرّاء سياسته هذه، هو أنه أسهم، بعد سلفه الأمير يوسف، في إقامة شرخ كبير بين الطائفتين الكبريين في جبلي الدروز ولبنان، ما لبث أن انفجر صراعاً دامياً في عهد خلفه الأمير بشير الثالث[١١] (١٨٤٠ ـــ ١٨٤٢) وقد أدى هذا الصراع إلى إنشاء أول كيانين طائفيين هما القائمقاميتان الدرزية والنصرانية.

ثانياً ـــ استنتاج

كان الأمير منصور (١٧٦٣ ـــ ١٧٧١) آخر الأمراء المسلمين لجبل لشوف، فقد اعتزل هذا الأمير الحكم لعجزه وكبر سنه، فولي الامارة بدلاً منه ابن أخيه الأمير يوسف، ومنذ ذلك الحين انتقلت الامارة إلى يد الموارنة بانتقالها إلى الأمير يوسف، الذي سوف يلقى، طيلة مدة إمارته، دعماً وتأييداً كبيرين من الاكليروس الماروني، كما أن انتقال الامارة من أمير مسلم إلى أمير ماروني سوف يعتبره الكثيرون «انعطافا في تطور لبنان». وسيكون هذا الحدث تاريخياً ومصيراً وحاسماً في تاريخ المنطقة كلها[١٢]، فرغم العلاقة الوثيقة التي كانت قائمة بين المعنيين أمراء الشوف، وخاصة الأمير فخرالدين الثاني المعني، وبين الموارنة في جبل لبنان، فإن التمايز بين الجبلين ظل واضحاً وصريحاً طيلة حكم هؤلاء الأمراء ومن خلفهم من الشهابيين المسلمين، ولكن ما أن تسلم الأمير يوسف الحكم حتى زالت الحدود بينهما، ورغم القطيعة الكاملة بينهما طيلة عهد القائمقاميتين (١٨٤٢ ـــ ١٨٦٠) فقد عادا ليجمتعا في ظل المتصرفية كما قدمنا.

يتبين من مجمل البحث، ومن سياق الأحداث التي جرت طيلة حكم الأمراء الشهابيين الموارنة في الشوف، أن هناك خطاً واحداً تبعه المسار التاريخي العام للامارة الشهابية، بدءاً بحركة تنصير الشهابيين في إمارة الشوف وفق المذهب



□ محمد علي باشا.



□ الأمير بشير الثالث.

الماروني، منذ عام ١٧٠٧، مروراً ببدء الحكم الماروني لهذه الامارة مع الأمير يوسف الشهابي عام ١٧٧١، فالأمير بشير الثاني الكبير عام ١٧٨٨. فالأمير بشير الثالث آخر الأمراء الشهابيين عام ١٨٤٠.

ويبدو أن الخط الذي اتبعه هذا المسار التاريخي لم يتغير ولم يتوقف عند سقوط الامارة الشهابية عام ١٨٤٢، بل استمر بعدها متخبطاً ومهتزاً عبر صيغ كيانية طائفية ظهرت تارة تقسيمية وطوراً توحيدية، إلا أنها فشلت جميعها، وبسبب ذلك أنها قامت على أسس طائفية لا يمكن أن تؤدي إلا إلى الفشل، وهذه الصيغ هي:

— الأولى، تقسيمية، وقد فشلت نهائياً، وهي صيغة القائمقاميتين، الدرزية والنصرانية عام ١٨٤٢.

— والثانية، توحيدية، وقد فشلت نهائياً كذلك، وهي صيغة المتصرفية عام ١٨٦١.

— والثالثة، توحيدية أيضاً، وهي صيغة دولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠، ثم الجمهورية اللبنانية المستقلة منذ عام ١٩٤٣، وقد أظهرت هذه الصيغة عجزها التام عن استيعاب المتغيرات الفكرية والديموغرافية والاجتماعية في المجتمع اللبناني الحديث، وهي متغيرات مصيرية وحاسمةومتقدمة على الصيغة نفسها، أقل ما فيها أنها ترفض النظم الطائفية ولا ترضى بأقل من مبادىء الديموقراطية والعدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص بديلاً عنها، بحيث تحل المساواة في المواطنة محل امتيازات الطوائف، لذا لا بد من أن تنهار هذه الصيغة بدورها، كما انهارت سابقاتها، إذ برهنت أنها غير قادرة على استيعاب هذه المتغيرات ووعيها والعمل بموجبها وفقاً لنواميس العصر الحديث.

إن الظروف الدولية التي فرضت هذه الصيغ الثلاث ظلت مقصرة عن فهم مدى التطور الاجتماعي والسياسي ومدى الاحساس بمبادىء العدالة والمساواة ومفاهيم الديموقراطية لدى الطوائف التي احتوتها هذه الصيغ، لذا سرعان ما منيت هذه الصيغ بالفشل، وتفجرت كياناتها، من الداخل تفجراً دموياً مريعاً.

وإذا كانت الصيغة الأخيرة التي ضمت المقاطعات الخمس (إمارة الشوف وإمارة البقاع وإمارة وادي التيم ومقاطعة جبل عامل وسنجقية طرابلس) والتي شكلت بمجموعها الوطن اللبناني الذي دعي «الوطن الفسيفساء» كما دعي تجاوزاً «سويسرا الشرق»؛ إذا كانت هذه الصيغة تمر

اليوم في امتحان عسير، فذلك لأن النظام الطائفي الذي قامت عليه يحمل في أحشائه بذور خرابه وتفتيته وتدميره، وإذا كانت تركيبة هذا الوطن قد قامت على أسس التعايش بين الطوائف، فإن هذه الطوائف لم تقدّم، بممارساتها المتمادية، أي دليل على أن الصيغة التي اخترعها كل من مارك سـايكس وفرانسـوا جورج بيكـو، هي صيغة ناجحة.

وفي اعتقادنا، إذا كان هناك من خلل في هذه الصيغة سوف يؤدي حتماً إلى فشلها وإسقاطها، فمما لا جدال فيه، أن الخلل الأكبر هو في تلك النفوس المريضة التي لم تدرك بعد أن وطناً يبنى على التمايز الطائفي هو جرح قابل للنزف في كل حـين، وأن الوطن القادر القـوي، هـو الوطن الديموقراطي العلماني، الذي به نحلم، وإليه نتطلع. ●

حواشي الخاتمة

(١) انظر رأينا في أسباب اختيار الشهابيين لخلافة المعنيين في إمارة الشوف، والنتائج السياسية والاجتماعية لهذا الاختيار، في الفصل الرابع من الباب الأول (التطور الجغراسياسي للامارة الشهابية في عهد الأمير يوسف).

(٢) بعد وقعة عيندارة استقر الحكم في الامارة للأمير حيدر كما أقرت ولايته على جبل عامل وكسروان، انظر الفصل الأول من الباب الأول (النتائج السياسية لوقعة عيندارة).

(٣) أبقى الأمير حيدر تحت حكمه المباشر إقطاعة تضم بعقلين ونيحا وعماطور وبتلون وعيندارة (م.ن).

(٤) انظر الفصل الرابع من الباب الأول (التطورالجغراسياسي للامارة الشهابية في عهد الأمير يوسف) حيث نبين التأثير الكبير لمدبري الأمراء الشهابيين على القرارات التي كان هؤلاء الأمراء يتخذونها، كما نعدد أسماء أبرز المدبرين في العهد الشهابـي.

(٥) سبق وبينا في فصل سابق أسباب تنصر الشهابيين، أمراء الشوف، دون سواهم من أمراء المقاطعات في بلاد الشام، والنتائج السياسية والاجتماعية لهذا التنصر (الفصل الرابع من الباب الأول: التطور الجغراسياسي للامارة الشهابية في عهد الأمير يوسف)، كما سبق وتحدثنا، في فصل آخر، عن تنصر الشهابيين أمراء الشوف (الفصل الثاني من الباب الأول: أهم الأحداث الاجتماعية في عهد الأمير ملحم).

(٦) انظر تحليلاً لهذا الموقف في الفصل الثامن من الباب الثاني (مجتمع الامارة الشهابية في عهد الأمير بشير الثاني الكبير: التحولات الطائفية ذات التأثير السياسي).

(٧) انظر الفصل الرابع من الباب الأول (التطور الجغراسياسي للامارة الشهابية في عهد الأمير يوسف).

(٨) م.ن.

(٩) ولد الأمير بشير الثاني الكبير مارونياً إذ كان والده الأمير قاسم عمر قد تنصر عام ١٧٦٤.

(١٠) انظر الفصل الثامن من الباب الثاني (مجتمع الامارة الشهابية في عهد الأمير بشير الثاني الكبير: التحولات الطائفية ذات التأثير السياسي). وخاصة خطابه إلى «عساكر العيسوية» الذي يحرضهم فيه على أقرانهم من الطائفة الدرزية.

(١١) ولد الأمير بشير الثالث مارونياً إذ كان والده الأمير قاسم ملحم قد تنصر عام ١٧٥٤.

(١٢) انظر الفصل الثاني من الباب الأول (أهم الأحداث الاجتماعية في عهد الأمير ملحم: تنصر الشهابيين أمراء الشوف).



عبر التاريخ

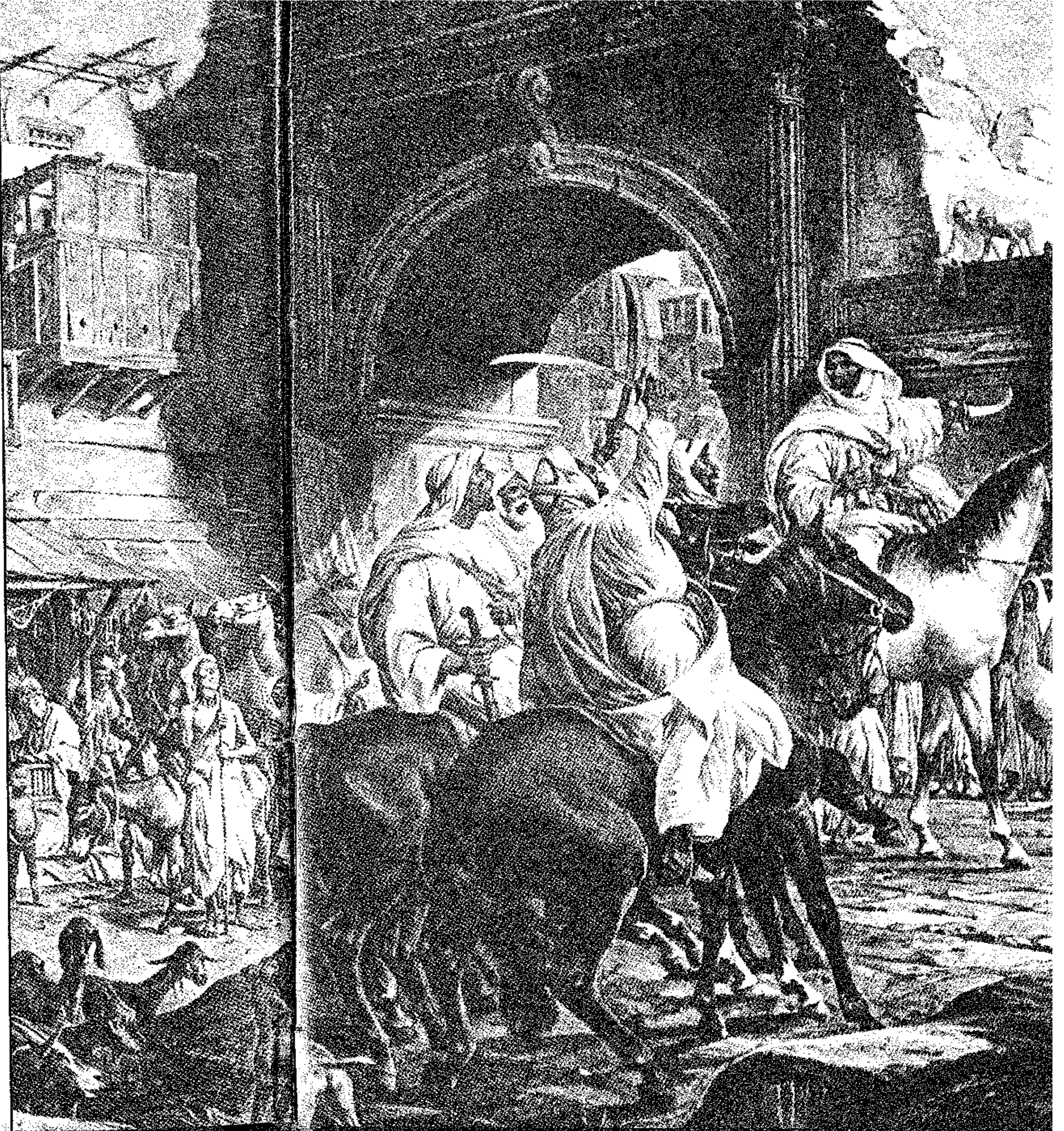
● سئل الدكتور شارلز بيرد المؤرخ الأميركي، هل يستطيع أن يلخص عِبَـر التاريخ في كتاب موجز فردَّ بالكلمات الأربع التالية:

١ ــ إذا أراد الله أن يهلك رجالا سلط عليهم الجنون بالسلطان.
٢ ــ إن رحى القدر تطحن في بطء ولكن طحنها دقيق ناعم.
٣ ــ النحل يلقح الزهر الذي يسلبه أريجه.
٤ ــ إذا اشتد الظلام رأيت النجوم.

الدكتور آرثر سيكورد
جامعة متشجن

ضرار بن الازور

■ د. انطوانيت أديب باسيلي



في مدار البحث والتفتيش بين الصفحات الصفراء، العتيقة عتق التاريخ، وجدنا في زاوية من مراحل الفتح العربي، الجندي المجهول، رجل طمس غبار السنين معالم نضاله وإقدامه، وتُرك للزمن لعل يأتيه بكشاف أدبي، ليزيل عن أخباره وشخصيته لثام العدم، ويعيده إلى مصاف ومراتب الأبطال، بين رمي القنا وضرب السيوف، ويظهر لنا شاراته الرفيعة من جراحات تتراوح ما بين سطحية وعميقة، تلقاها في جسده، للذود عن دينه ودنياه.

هذا الرجل هو «ضرار بن الازور» بهذا الاسم عرف، وبالرجل العاري اشتهر. أما نسبه الكامل فهناك اختلاف بسيط فيه. فالواقدي في كتابه فتوح الشام[1] يسميه ضرار بن الازور بن طارق، وعند آخر[2] يسمى ضرار بن مالك الأزور الأسدي، مات أبوه وجده في عهد الرسول (صلعم) وهما يقاتلان بين يديه، فشب ضرار شجاعاً مقداماً كسلفه، وحارب بين يدي الخليفة أبي بكر الصديق ضد أهل الردة فيمن حارب معه من بني أسد (من قبائل كندا) ورافق ضرار القائد خالد بن الوليد في فتوحات الشام ومصر، التي كانت السبب في شهرته وإظهار شجاعته وفنونه القتالية.

يبدأ مشوار ضرار العسكري مع خطوات خالد بن الوليد، فقد كان ضرار بن الأزور من أهم رجال خالد الأشداء، فمن العراق إلى دمشق التي دخلها مع خالد، ونزل معه بالدير المعروف بدير خالد (أو دير صليبا) الواقع خارج أسوار مدينة دمشق والمقابل لباب الفراديس في الجهة الشمالية من دمشق على نهر بردى[٣] والذي اتخذه خالد مقراً لقيادته العسكرية في شن هجومه على مدينة دمشق.

ومعركة دمشق من أولى معارك ضرار بن الأزور، التي شهدت له بالبطولة والفروسية، فقد انفرد ضرار بنمط معين من القتال، حتى نال إعجاب خالد بن الوليد، الذي وصفه قائلاً: «انه رجل لا يخاف الموت، خبير بلقاء الرجال»[٤].

من هنا جاء تقيمنا لضرار بحسب رأي خالد بن الوليد به، وهو رأي له وزنه العسكري لأنه صادر عن علم من أعلام الحرب.

١ ــ ضرار الذي لا يخاف الموت

امتزجت الشجاعة عند ضرار بالقوة البدنية والقلب الحاضر، مثله مثل أبطال الفتوحات، الذين باعوا أنفسهم للجنة في سبيل إعلاء كلمة الاسلام ونشره في البلدان.

إلا أن ضرار انفرد عن غيره من الأبطال بالفكر العسكري، الذي نماه وغذاه، حتى بات مرادفاً لشجاعته.

عرف ضرار بن الأزور بفطرته أن الحرب خدعة، لذلك تمكن من وضع الخطط العسكرية في عقله والتي تتراوح بحسب متطلبات الحدث، ما بين المراوغة والمباغتة والكر والفر.

(أ) المراوغة عند ضرار

استعمل ضرار هذه الملكة ضد خصمه في حصار المدن ذات الأسوار والأبراج، فقد كان يتسلل على جواده وحيداً حتى الأسوار، ويأخذ بمناداة خصمه الذي ما أن يشاهده حتى يوهمه ضرار بأنه خائف، فيفر من تحت الأسوار طمعاً بالنزول إليه واللحاق به.

وقد أثمرت هذه الخطة في حصار مدينة دمشق، إذ استطاع ضرار بأسلوب المراوغة هذا، أن يستنفز أهلها الروم، ودفعهم إلى فتح أبوابها والخروج إليه بعسكرهم، بغية أسره، فأنساب ضرار أمامهم حتى أبعدهم عن أصحابهم ثم لوى عنق جواده، وحمل على ميمنتهم فقتل منهم خمسة وعلى الميسرة فقتل مثلهم ثم كر مرة ثانية عليهم فقتل منهم ستة، واشتبكت طلائع المسلمين المرافقين لضرار مع كراديس الروم في معركة تحت أسوار مدينة دمشق، انتهت بأن تمكن ضرار من أسر البطريقين كلوس وعزازير وهما من شجعان الروم وأكابرهم، وعاد بهما إلى معسكر خالد بن الوليد المرابط على باب الفراديس والذي عرض عليهما الاسلام فأبيا، فضرب ضرار بن الأزور عنقيهما.

(ب) المباغتة عند ضرار

ولكون ضرار شجاع لا يخاف الموت فقد اختاره خالد بن الوليد ليقوم بغارة مباغتة على جيوش الروم في أجنادين، وأمره على خمسة آلاف جندي.

وبما أن ضرار لم يستطع أن ينتظر تجهيز الجيش المرافق له، فقد انطلق منفرداً للقاء الروم، فأسرع إلى بيت لهيا (قرية في غوطة دمشق)[٥] وجلس يترقب قدوم الروم، ويضع خطة المباغتة في عقله.

فلما قارب العدو المكان كان ضرار أول من برز لهم وباغتهم بالحملة وهو عاري الجسد متلبساً بسرواله فقط، ممتطياً جواداً عربياً وبيده قناة كاملة الطول، وفاجأهم بالحالة التي وصفناها، فهالهم أمره، لأنهم كانوا مرتدين لامة الحرب، فهم في الحديد مقيدون وبالدروع مستترون.

واخترق ضرار صفوف الروم إلى القلب، طالباً بطريقهم وردان صاحب حمص وفطن وردان لما يريده ضرار فعطف فرسه يريد الهرب، ولحق به ضرار، فأصيب ساعده بسهم رماه به همدان بن وردان، وحمل ضرار رغم إصابته على همدان وطعنه طعنة نجلاء اخترقت شغاف فؤاده، وأردته قتيلاً، وفر وردان من أمام ضرار الذي أقسم على أن يتمكن منه فيما بعد.



□ خالد بن الوليد، سيف الإسلام.

الروم، ويتحول العيد إلى سوق تجاري ومهرجان وطني بهذه المناسبة، فاستغل ضرار هذا الموسم وباغت وأصحابه جموع الروم الغفيرة، واستطاعوا العرب بالرغم من قلتهم أن يقتلوا مقتلة عظيمة من الروم الذين فوجئوا بهذه الغارة المباغتة.

وللمباغتة عند ضرار لزوم في استئصاله شأفة الروم، فما أن انتهى ضرار من همدان بن وردان وعاد إلى معسكر المسلمين بأسلابه حتى تهيء لحملة مباغتة جديدة، فهو ينتقل من معركة إلى معركة، وكأنه لا يستطيع العيش بدون دماء، وانتدبه أيضاً خالد بن الوليد ليقوم بغارة جديدة ومفاجئة على فلول جيش وردان المقيم في أجنادين، عقب المعركة السالفة، لعلمه بأنهم سكارى ونيام لما نالهم من كد وتعب، وتقدم ضرار أمام أصحابه إلى الموقع المعين وهم في أثره، فوجدوا الروم كما توقع خالد نياماً وأسلحتهم عند رؤوسهم، فلم يلبثوا العرب إلا قليلاً حتى فرغوا منهم عن آخرهم، وأخذوا أسلحتهم وزادهم، وغيبوا القتلى حتى لا يأخذ الروم خبراً، وعادوا إلى معسكرهم مع طلوع الفجر وهم فرحين.

واستعمل ضرار مبدأ المباغتة هذا في معركته بطرابلس فقد استغل موسم عيد الشعانين عند نصارى طرابلس واجتماعهم عند دير أبي القدس (يقال له أبي العدس) وهو حصن منيع ما بين طرابلس وعرقا يسكنه حبيس مترهب، يخرج للناس مرة واحدة في السنة، وهو يوم الشعانين ويجتمع إليه أعداد غفيرة من

(ج) الكر والفر عند ضرار

أما في استطلاع أفواج الروم، فكان ضرار يقترب من معسكرهم وحيداً، فإذا ما شاهدوه انسابوا وراءه بقصد أسره، عندها يفر ضرار من أمامهم كأنه المنهزم، ويبعدهم عن أصحابهم، وبعدها ينعكف بفرسه نحوهم ويصوب سنان رمحه على من يتقدم منهم، ويكر على من تبقى واحداً واحد، حتى يصرع كل من تسول له نفسه بتعقبه، ويأخذ أسلاب قتلاه، وقد صرع في أحد استطلاعاته على معسكر الروم في أجنادين تسعة عشر فارساً رومياً، وكثيراً ما كان يوصيه خالد بن الوليد بأن لا يحمل نفسه فوق ما لا تطيق، وان لا يغرر بها، إلا أن ما يجري في عروقه من دم وحماس الشباب واعتزازه بدينه كانوا يحرضونه على القتال لاعلاء كلمة الاسلام أو الشهادة في سبيلها.

٢ ــ ضرار الخبير بلقاء الرجال

لضرار خبرة عسكرية عظيمة بلقائه لأبطال الروم، استخدم بها ضرار قوته البدنية إلى جانب فكره العسكري المحصور هذه المرة في استدراج الخصم إلى مجال يصلح لجري الخيل ولتبادل

□ فارس عربي

الطعان، وبالتالي يمكنه من رأس عدوه، فقد كان قطع الرؤوس صفة من صفات ضرار القتالية، ولعل سبب هذا الاصرار على قطع الرؤوس يعود لحالة نفسية تنتاب ضرار وهو ينازل الأبطال إما بقصد قطع شافتهم واستئصال جذورهم وإما بقصد إزلال وتحقير عدوه.

وهذه اللقاءات عديدة نوردها على سبيل المثال لا الحصر.

(أ) ضرار / بولص وبطرس

ما أن انتهى ضرار من كلوس بن حنا بطريق من بطارقة هرقل، وعزازير بطريق دمشق[٦] حتى شفعها بمعركة أخرى ضد بولص بطريق دمشق الذي حل مكان عزازير، وكان فارساً مغواراً وداهية من دهاة الحرب والخديعة، الذي استغل توجه جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد إلى اجنادين وهجم على ما تبق من الجيش بقيادة أبي عبيدة عند باب الجابية وأسر بعض النساء وأرسلهم مع أخيه بطرس إلى حمص، وعندما علم خالد بما وقع للمسلمين وللنساء عاد بجيوشه إلى أرض المعركة، وبرفقته ضرار، الذي هجم على بولص محاولاً قتله فراوغ بولص من ضربة ضرار ولقبه بالشيطان، وظل ضرار في أثره حتى أسره، ولحق ضرار وأصحابه ببطرس وبالنساء الأسيرات ومن ضمنهن أخته خولة بنت الأزور، وعندما شاهد بطرس الرايات المحمدية خفق قلبه وارتعدت فرائصه وولى يطلب الهرب، فلحق به خالد وضرار من جهة وخولة بنت الأزور شقيقة ضرار من جهة أخرى، وكانت الأقرب إليه، فضربت قوائم فرسه، فكبا على وجهه، عندها أسرع ضرار وطعنه في خاصرته فجند له صريعاً، ونزل ضرار فاحتز رأسه، وعاد به وبالأسيرات إلى معسكرهم، ثم دعا خالد بولص الأسير عنده، ورمى ضرار برأس أخيه بطرس أمامه، فلما رآه بكى، وعرض عليه الاسلام فأبى، فضرب ضرار عنقه أيضاً[٧].

(ب) ضرار وبطريق طبرية

ما أن انتهى ضرار من قتل بطرس وبولس في معركة دمشق حتى توجه بأمر من خالد بن الوليد إلى أجنادين، ولم يخرج في هذه المرة عارياً

كعادته بل متدرعاً بدرع ومرتدياً جبتان من جلود الفيلة كانوا لبطرس قتيله في معركة دمشق، وما هي إلا ساعة حتى كان قد جندل من الروم عشرين فارساً ونقلها رجاله وكان ينادي بأعلى صوته[٨].

«أنا الموت الأصفر، والبلاء المسلط على من أشرك بالرحمن»، ويطلب الروم للنزال، فعرفه عندئذ الروم بعد أن أخفي عليهم لأنهم اعتادوا رؤيته عارياً، فخرج له بطريق طبرية وجالا ساعة ثم طعنه ضرار في كبده، فأرداه قتيلاً، واحتز رأسه وأخذه معه إلى معسكر المسلمين.

(ج) ضـرار واسطفان

لم يعرف ضرار الراحة، فهو ينتقل من معركة إلى معركة فبعد أن قتل همدان بن وردان في اجنادين تصدى له اسطفان بطريق عمان طلباً لثأر همدان وطمعاً بالزواج من بنت وردان.

ودارت معركة بين ضرار واسطفان فيها من فنون الحرب أبواب كثيرة حتى ضج الناس من قتالهما، وتعب الجوادان من ضربهما، وأراد البطريق أن يملي على ضرار حيلة، فقال له ترجل حتى نتقاتل، فهم ضرار أن يترجل شفقة على جواده، إلا أنه فطن للحيلة بعد أن شاهد غلام البطريق يسوق لخصمه نجيباً آخراً، فصرخ ضرار في جواده قائلاً[٩]: «اجلد معي ساعة وإلا شكوتك إلى رسول الله» واستقبل ضرار غلام البطريق بطعنة قاتلة وأخذ الجواد فركبه بعد أن أطلق جواده نحو العسكر المسلم، وعاد ضرار نحو البطريق الذي ولى هارباً من أمام ضرار، وعندما رأى الروم أن صاحبهم هالك لا محالة خرج كردوس منهم لقتال ضرار بقيادة وردان هذه المرة، وشاهد خالد بن الوليد هذا المشهد فخرج مع عشرة من رجاله والتحم الكردوسان في معركة طاحنة كل واحد بطلب خصمه، وظل ضرار يلاحق عدوه اسطفان حتى رماه أرضاً واحتز رأسه وأخذه معه.

(د) ضـرار ووردان

عقب تخلص ضرار من اسطفان ارتد إلى قلب المعركة ليفاجأ بخالد بن الوليد متشابكاً بالأيدي مع وردان وفوجىء هذا الأخير بضرار فصرخ وردان بخالد، اقتلني أنت بيدك ولا تدع هذا الشيطان يقتلني[١٠]، إلا أن ضرار لم يتوان ولم يرتدع من كلام خالد الذي أمره أن يمهله، فضربه على عاتقه واحتز رأسه وأخذ التاج الذي على رأسه وسيفه، وأدركته سيوف المجاهدين فقطعته إرباً إرباً.

فلما رأى الروم رأس وردان قائدهم ولوا الادبار وركنوا إلى الفرار والمسلمون يتعقبونهم بالقتل والتذبيح وأخذ الأسلاب.

(هـ) ضرار وبطريق طرابلس

ولضرار في معركة طرابلس، موقف، انفرد به عن جميع المسلمين، فقد استدرج بطريق طرابلس إلى موضع يصلح لمجال الخيل وباطشه في الضرب، ونظر ضرار إلى البطريق وعظم خلقته وشدة ضربه، وحسن احترازه فأخذ ضرار منه حذره، واحترز منه البطريق أيضاً، وطلبه أشد الطلب، وكل منهما طامع في صاحبه.

واستمرت المعركة بين ضرار والبطريق في مكان بعيد عن أرض المعركة طوال النهار ما بين ضرب وزوغان حتى ضجر الاثنين، واحتال ضرار على خصمه بأن ضرب عين جواده، فانتكس الجواد على الأرض ووقع البطريق عنه على ظهره، ولم يستطع النهوض لأنه مزرداً في سرجه، فعالجه ضرار قبل وصول غلمانه إليه بضربة على حبل عاتقه، فلم تفلح الضربة، فما كان من ضرار إلا أن استوى على نحره، وكان معه سكينة من صنع اليمن لا تفارقه فاستلها وضرب بها صدر البطريق إلى سرته، فسقط البطريق صريعاً، عندها وثب ضرار وملك جواد البطريق واستوى على سرجه وكان على الجواد الكثير من الذهب والفضة والمجوهرات، التي تساوي ثروة عظيمة، وعاد إلى أرض المعركة الجماعية لمساعدة قومه، فوجدهم قد ملكوا الدير ومحتوياته والأسواق التي بجانبه بجميع أمتعته وآنيته وحيواناته.

ارتاح المسلمون تلك الليلة في حياض طرابلس خارج الأسوار لأن المعركة كانت خارج المدينة وليس بداخلها، ولهم عودة إليها لاستخلاصها من أيدي الروم، وفي الصباح انطلقت الكتائب الاسلامية عائدة إلى معسكرها وقائدها أبي عبيدة على استعداد لمعركة حمص.

٣ ــ ضرار والموقف العسكري

لسقوط مدينة دمشق في أيدي المسلمين روايات كثيرة متناقضة حيناً ومتفقة حيناً آخر، إلا أن الثابت والأكيد في أكثر من مصدر، أن سقوط دمشق تم على أثر خيانة من قبل بعض المقيمين فيها وأن نصفها أخذ صلحاً على يد أبي عبيدة والنصف الآخر أخذ بالسيف على يد خالد بن الوليد، الذي رفض أمان أبو عبيدة، وكادت أن تقع مصادمة بين الفريقين داخل أسواق مدينة دمشق، ولهذا الأمر أسباب ومسببات لا مجال لذكرها هنا.

وما يوجب ذكره، ان ضرار بن الأزور كان من الذين رفضوا إعطاء أهل دمشق الأمان تبعاً لرأي قائده خالد بن الوليد، لذا فقد تعقب ضرار ومن معه فلول الروم الذي شملهم الأمان واختاروا مغادرة دمشق إلى بلاد الروم، فإن لهم أمان مسير ثلاثة أيام.

فبادر ضرار ومن معه والحسرة تأكله لما فاته من قتلهم، فقد كان حقده منصرفاً إلى ثلاثة منهم وهم: البطريق توما وزوجته ابنة الملك هرقل والبطريق هربيس الذي ولاه توما على نصف مدينة دمشق أثناء القتال.

والسبب في حقد ضرار على البطريق توما يعود ان هذا الأخير كان قد قتل ابان بن سعيد بن العاص في معركة دارت بين البطريق توما وشرحبيل بن حسنة على باب توما في دمشق والذي سمي الباب باسمه، وبالرغم من انتقام زوجة ابان له وإصابتها عين قاتل زوجها البطريق توما بسهامها وأصابت العديد من الروم، إلا أن حقد ضرار لم يمت وظل يطلب رأس البطريق توما.

وكان برفقة ضرار في هذه المبادرة يونس بن مرقص قسيس الروم في دمشق الذي جند نفسه دليلاً للعرب في سلوكهم المسالك الوعرة والمختصرة للوصول إلى أولئك الروم قبل انقضاء مهلة الثلاثة أيام ووصولهم إلى بلاد الروم.

وابتسم الحظ لضرار ومرافقيه ودليله يونس بن مرقص الذي وجد لهم الروم في مرج واسع فسيح أخضر اتخذوه مقراً لراحتهم قبل استئناف سيرهم، فهجم المسلمون عليهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وقتل البطريق توما على يد عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق، بينما فر هربيس من المعركة فلحق به خالد بن الوليد وضربه ضربة أردته قتيلاً، بينما ضرار غائص في المعركة حتى أذنيه يفتش عن توما وهربيس ليفرغ حقده بهما، علم بمصيرهما فحزن حزناً شديداً، إلا أن الواقدي يقول[11]: إن أكثر قتلى الروم كانوا من يد ضرار بن الأزور، أما ابنة الملك هرقل زوجة البطريق توما، فقد أطلق خالد بن الوليد أسرها وأعادها إلى أبيها في أحسن حال.

وعاد ضرار مع قائده خالد إلى المعسكر، والتزم ضرار خيمته بحجة أن رمداً أصاب عينه، واعتكف بذلك عن اشتراكه في معارك حمص والجوسية والمعرة والشيزر وقنسرين والعواصم، والذي حز أكثر في قلب ضرار هو عدم مشاهدته ومشاركته في قتال خالد بن الوليد وجبلة بن الأيهم على مشازف قنسرين، إلا أنه اشترك فيما بعد بحصار مدينة بعلبك ومناورة أهلها.

٤ ــ ضرار المنجد

لعب ضرار بن الأزور دور الجندي الاحتياطي المنجد في معركة اليرموك، فقد كان مساعداً لكل مسلم يشعر أنه قد بدأ يفقد قدرته على النزال، فهو قاتل الديرجان البطريق الرومي الذي نازل عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق، وقاتل ملك اللان الذي نازل شرحبيل بن حسنة، فقد أحس ضرار بعدم قدرة شرحبيل على متابعة النزال مع ملك اللان بعد أن تكسرت نصالهما واعتنقا عناقاً شديداً، كادت عظام شرحبيل أن تسحق منه، فقد كان الرومي عظيم الجثة مستتراً بالحديد والزرد وشرحبيل نحيف الجسم، ولم يستطع ضرار الصبر على هذا الأمر، فتسلل على قدميه كالضبية الخمصاء حتى قرب منهما وهما لا يعلمان به، وكان بيده سكينته اليمنية، فضرب بها الرومي من ورائه، فأصابه في قلبه، وسقط قتيلاً وخلص شرحبيل من محنته وعادا معاً إلى صفوف المسلمين.

فلما قتل ضرار ملك اللان غضبت الروم وخرج فارس شجاع من صفوفهم وطلب البراز، وأراد ضرار أن يخرج له، إلا أن خالد بن الوليد


□ جندي في جيش الروم.

أثناه وردعه شفقة عليه ونبهه إلى دوره الأساسي، فخرج له الزبير بن العوام وقتله، ثم خرج ملك الروسية زوج بنت ملك اللان، فخرج له خالد بن الوليد وقتله، وضرار يقف مستعداً لكل طارىء لينجد أصحابه.

وفي صباح اليوم الخامس للمعركة خرج المسلمون والروم إلى القتال، وأخرج الروم للنزال قائدهم جرجير، فبرز له أبو عبيدة وقتله، ثم خرج بطريق من بطارقة السرير يدعى جرجيس وطلب البراز انتقاماً لمقتل جرجير، فخرج له ضرار بن الأزور، وكان يرتدي عدة الحرب من دروع وزرد حديدية كان قد غنمها من أسلاب قتلاه، فاستثقل هذه العدة، وكر راجعاً إلى خيمته ليتخلص منها ويعود إلى عدوه كعهده السابق عارياً إلا من سرواله، فظن المسلمون أنه فر من أرض المعركة، فخرج مالك النخعي، وكان من الرجال الذين إذا ركبوا الجواد تسحب رجلاه على الأرض، وتبارزا طويلاً، وعندما لم يجد مالك لسيفه مكاناً في جسد جرجيس لأنه كان مصفحاً بالحديد، ضرب جواده من تحته فوقع الجواد على الأرض وبقي جرجيس مثبتاً على ظهره لأنه كان مزرداً بزنانير من حديد إلى سرج جواده، عندها عاد ضرار إلى خصمه وضربه بسيفه على هامته فشطرها نصفين، وأخذ سلبه وعرضه على مالك النخعي شريكه في القتيل وسلبه، الذي رفض أخذه، واعتبره ملكاً لضرار.

وحز بداخل ماهان قائد الأرمن فقدانه لجناحيه جرجير وجرجيس، وطلب البراز، وخرج وعلى هامته عدة قدرت بستين ألف دينار، فخرج له مالك النخعي بالاتفاق مع ضرار على أن يكون سلبه لمالك، وتضاربا كثيراً، وتمكن ماهان من تسديد ضربة إلى رأس مالك فشترت عينه، ومن ذلك اليوم سمي بالاشتر، وبادله مالك الضربة بالرغم من جرحه البليغ فلما أحس ماهان بالضربة ولى ودخل في عسكره.

وكان حزن ضرار لا يوصف لأنه كان قد أقسم على قتل ماهان بيده، واختلف المؤرخون في اسم من قتل ماهان فيما بعد، فبعضهم أعزاه إلى النعمان بن جهلة الأزدي، والبعض الآخر رده إلى عاصم بن خوال اليربوعي ومهما يكن من أمر فقد انتصر العرب في تلك المعركة.

٥ ـ ضرار والأسر

بما أن ضرار بن الأزور كان من الأبطال المغاوير الذين لا يهابون الموت ولا يخافون المجهول، فقد تعرض للأسر مراراً وأجهد رفاقه لتخليصه كثيراً.

فعقب موقعة استطلاعه لجيش الروم في اجنادين وقتله لهمدان بن وردان تكاثرت الروم على ضرار وأخذوه أسيراً وسيروه برفقة مائة فارس إلى حمص بغية إرساله فيما بعد إلى الملك هرقل في انطاكية.

وصل خبر أسر ضرار إلى خالد بن الوليد فهب إلى نجدته، وبينما هو متوجهاً إلى بيت لهيا شاهد فارساً على فرس طويل وبيده رمح طويل، ملثماً لا يظهر منه سوى الحدقة، تلوح منه الفروسية

منطلقاً أمام الناس كأنه النار، ووصل إلى جيوش الروم في أول الناس فزعزع كتائبهم وحطم مواكبهم وجال في وسطهم، وقد قتل رجالاً وجندل ابطالاً، ولو لم يكن خالد بين الجيش لظن المسلمين أنه خالد، وخرج الفارس من بين صفوف الروم وقناته تقطر دماً ولحق به فريق من الروم، فانعكف عليهم وجندل منهم، ثم ولى وجهه إلى جيش المسلمين وهو ملطخ بالدماء، ولحق به خالد وطلب منه أن يكشف عن لثامه فحدثه الفارس بصوت انثوي، معلناً عن نفسه باسم خولة بنت الأزور، فإذا هي أخت ضرار بن الأزور الفارس الأسير عند الروم.

وعادت خولة برفقة خالد بن الوليد إلى المعركة ولا هم لها سوى البحث عن أخيها، ولما يئست منه بكت وانشدته ابياتاً شعرية وأقوالاً نثرية، فقد كانت من أفصح النساء لساناً.

وترامى إلى مسمعها ومسمع خالد أن أخيها أخذ إلى حمص لارساله إلى الملك هرقل في انطاكية فأسرعت إلى سلاحها وركبت جوادها وأتت إلى خالد بن الوليد تستأذنه بمرافقة المسلمين الذين يتعقبون أخاها.

وبالفعل فقد استطاع المسلمون فك أسر ضرار والعودة به وبأخته التي فرحت لنجاته إلى معسكر خالد بن الوليد بدير صليبا القريب من سور مدينة دمشق.

ووقع ضرار مرة أخرى بالأسر في يد الروم منذ اليوم الأول لمعركة اليرموك، فقد انتخبه خالد بن الوليد من ضمن الستين رجلاً الذين انتخبهم ليواجه بهم الستين ألفاً من الروم.

ولكون هذا العمل جنوني وانتحاري لا يقبل به المنطق، فقد تواعد الرجال باللقاء عند قبر المصطفى وقدم الستون رجلاً على وداع أهاليهم.

وفي الصباح التحم الستون عربياً مع الستين ألفاً من المتنصرة العرب في حرب طاحنة لا مكان للتكافؤ فيها، ومع انتهاء النهار وإيقاف القتال، تفقد خالد بن الوليد أصحابه الستين، فلم يجد منهم إلا عشرين رجلاً، فجعل يلطم وجهه ويندم على فعله وأقبل يحصي القتلى في أرض المعركة فوجد منهم عشرة من رجاله وخمسة آلاف من المتنصرة العرب، فعلم بأن الثلاثين رجلاً الباقين قد وقعوا بالأسر[١٢].



□ طرابلس القديمة، التي استعمل ضرار مبدأ المباغتة في معركته فيها. من كتاب (تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور للدكتور عمري تدمري

وبإشارة سريعة لعدد القتلى من المتنصرة يتبين بأن عدد من خاض المعركة في ذلك اليوم كان بحدود الستة آلاف رجلاً وليس ستون ألفاً كما ادعى المؤرخون، ولعل الجيش بكامله كان ستين ألفاً.

وهم خالد بأن يتبع فلول الروم لاستخلاص الأسرى وإذ بصوت رجاله يهللون ويكبرون، وأقبل القوم عليه وعلى رأسهم الزبير بن العوام والفضل بن العباس فلما نظر خالد إليهم وجدهم خمسة وعشرون رجلاً فعرف أن هناك خمسة رجال وقعوا بالأسر، وهم ضرار بن الأزور، عاصم بن عمرو، رافع بن عميرة، ربيعة بن عامر ويزيد بن أبي سفيان، فبكاهم الرجال وترامى إلى مسامع المسلمين بأن الأسرى أخذوا إلى انطاكية حيث يقيم الامبراطور هرقل ملك الروم ومساعده ماهان ملك الأرمن، فعظم الأمر على المسلمين وأراد ماهان أن يحصل على خالد بن الوليد ليقتله مع الأسرى الخمسة لديه، فبعث إليه برسول يدعوه لزيارته ومحادثته، ولبى خالد الدعوى برفقة مائة فارس من فرسانه واستقبلهم ماهان وأحسن استقبالهم، وجلس معهم وتحادث وتناقش وتجادل مع خالد بن الوليد بشتى الشؤون ولكن دون جدوى، فقد ظل كل واحد من الاثنين على موقفه.

إلا أنه كان كل منهما معجباً بصاحبه وذكائه وفي النهاية تواعدا على الحرب وأطلق ماهان الأسرى الخمسة لخالد قائلاً له: «أطلقهم كرامة لك وأخلي سبيلهم، فيكونون عوناً لك ولن يعجزونا في الحرب غداً». فرح خالد بذلك وأهدى لماهان قبته الحمراء وعاد بجماعته إلى معسكره استعداد لحرب الغد.

ووقع ضرار بن الأزور مرة ثالثة في معركته في مرج دابق التي تمت ضد المتنصرة العرب أصحاب جبلة بن الايهم والتي تجلت فيها بطولة ضرار بن الأزور القتالية والتي وصفها أحدهم ليوقنا بطريق حلب قائلاً[١٣]: «كان مقدمهم لا يصطلى له بنار، فلقد أباد منا رجالاً وجندل منا أبطالاً،

«ونحن في الفي فارس وهو في مائتان، وكان مقدمهم فينا كالنار المحرقة،

«فقصدنا جواده بالسهام حتى قتلناه ووقع فهجمنا عليه وأخذناه أسيراً».

وحقيقة القول أن أبو عبيدة دعا بضرار بن الأزور وضم إليه مائتي فارس وأمره بأن يشن الغارة على حدود انطاكية، ولم يزل ضرار سائراً هو ومن معه حتى وصلوا إلى مرج دابق، وكان الوقت متأخراً ونزلوا ليرتاحوا بقية يومهم ويريحوا خيولهم، فما شعروا إلا وجبلة ابن الايهم قد كبسهم فلما وقع الصياح ركب ضرار ومائة فارس ممن معه أما المائة الأخرى فقد دهمتهم خيول المتنصرة، وناد ضرار على فرسانه وشجعهم وحضهم وأملهم بالنصر وبالحور العين في الجنة حتى تكاثر عليه المتنصرة ورموا جواده وأسروه وأخذوه مع فرسانه المائتين إلى انطاكية حيث يقيم الملك هرقل.

وتمكن سفينه مولى رسول الله من الفرار والعودة إلى المسلمين وحدث الناس بحديث ضرار ومن معه وصعب الأمر على أبو عبيدة وخالد وخولة بنت الأزور أخت ضرار التي ناجته بأبيات شعرية جميلة بما معناه، يا ابن أمي ليت شعري في السلاسل أوثقوك، أم بالحديد قيدوك، أم في البيداء طرحوك أم بدمائك خضبوك.

واستنفرت النساء العربيات ممن كان لهن أسير مع ضرار عند أخته خولة استعداد للمشاركة في تخليص الأسرى.

وصل جبلة بن الأيهم والبطريق يوقنا إلى حاضرة الملك هرقل الذي خلع عليهما وباركهما وأحضرا بين يديه الأسرى الذين رفضوا السجود أمام الملك، مما أغضب حاشيته وحرضوه على قتل الأسرى، إلا أن يوقنا بمكره استطاع أن يقنع الملك بالبقاء عليهم وتبادل الأسرى بهم، واقترح بطرك انطاكية أن يسجنوا في كنيسة القسان المنيعة، ومن ثم أخذهم يوقنا صاحب أبو عبيدة إلى داره في انطاكية حيث عاشوا حياة كريمة مرفهة، فهم في النهار يشحذون سيوفهم استعداد للمعركة، وفي الليل يصلون ويتضرعون إلى الله.

في هذه الأثناء كانت الرسل بين يوقنا وأبو عبيدة تتوافد وكل منهما يعلم صاحبه بما يجد معه للتنسيق وتحديد موعد المعركة، وابتدأت المعركة من الداخل بقيادة يوقنا والمائتي أسير من ضمنهم ضرار بن الأزور الذي أعطى السيف حقه وأخذ بثأره من الروم، وكلما قتل واحداً صاح «واثارات أسر ضرار بن الأزور». وبينما ضرار يذيق الأعداء شراب الردى وإذ هو بفارس يطحطح الكتائب ويفرق المواكب ويصيح «وأثارات ضرار بن الازور». فتأمله فإذا هو أخته خولة، فتعارفا ولم يكن لديهما الوقت للعناق، فقد استمر كل منهما في معركته، ضرار الخارج من داخل انطاكية، وخولة القادمة مع جنود خالد بن الوليد.

وحمي وطيس المعركة بين الفريقين حتى ولت الروم الادبار وقتل المسلمون منهم مقتلة عظيمة وهرب الملك هرقل عبر الدروس إلى قيسارية حيث ولده قسطنطين، وفتحت انطاكية ومنحت عهد الأمان على أن تدفع جزية معينة في كل سنة.

وتلاق ضرار وأخته خولة والتأم شمل من فرقهم الحرب والأسر ما عدا من استشهد في سبيل الله.

٦ ــ مصير ضرار بن الأزور

أغفل المؤرخون الذين يعتنون بهذا النوع من التاريخ أمثال الطبري وابن الأثير وابن خلدون وسواهم ذكر بطولة وممات ضرار بن الأزور في مؤلفاتهم، إلا أنهم أشاروا بلمحة سريعة، على أن ضرار كان من رجال خالد الأخصاء، وأورد ابن العماد[١٤] ما يفيد أن ضرار كان بالنسبة لخالد ككاتم أسراره وجلاده، فقد أمر خالد بن الوليد ضرار بالاقتصاص من مالك بن نويرة بقطع رأسه أمامه.

وورد عن الطبري وابن الأثير في أحداث سنوات ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٦ و ١٧ و ٢١ أن ضرار بن الأزور كان من أمراء الثغور ومن المشاركين لخالد بن الوليد في جميع معاركه.

بينما انفرد الواقدي[١٥] بتأريخ مسار حياة هذا البطل الصنديد الذي واجه ملوك الروم والفرس والقبط والبربر وكأنه يواجه ملك الموت ويتحداه، وآخر ما تكلم عنه الواقدي في ذكر ضرار هو حصار وفتح مدينة بهنسا المصرية سنة ٢١هـ.

ففي أثناء حصار ضرار بن الأزور لباب الجبل في هذه المدينة قتل من القبط / الروم حوالي مائة وستين رجلاً، حتى تجمد الدم على بدنه العاري وكأنه أكباد الابل، وانه كان في

طليعة القوم الذين تسلقوا جدران المدينة وصعدوا إلى أبراجها وفتحوا أبوابها للمسلمين، وأبوابها هي: باب الجبل، باب البحر (أو الباب الشرقي)، باب توما، وباب قندوس، ودارت معارك عنيفة بين المسلمين وأهل البهنسا وانتهت بمقتل أربعمائة وأزيد من أعيان المسلمين ما عدا العامة.

عند هذا الحد وتختفي أخبار ضرار بن الأزور عند الواقدي الذي انفرد بذكرها، إذ لم يرد اسمه ضمن من وردت أسمائهم من القتلى ولا من الأحياء، وترك ضرار مجهول المصير.

وأغلب الظن، أن ضرار قتل بعد اقتحامه لباب قندوس، ودفن في تلال مدينة بهنسا مع من قتل من المسلمين.

وظل المسلمون في بهنسا شهراً كاملاً حتى أسكنوها أصحابهم بعد أن بنوا بها أربعون رباطاً ومن المساجد ما لا يعد، واختطوا بها الأماكن والشوارع وصبغوها بالطابع العربي. ●

الهوامش

(١) ج ١، ص ٤٢.
(٢) المنجد في اللغة. قسم الآداب والعلوم، ص ٣١٢.
(٣) ياقوت: معجم البلدان. ج ٣، ص ٥١٩ وج ٤، ص ٢٤٢.
(٤) الواقدي: فتوح الشام. ج ١، ص ٤٢.
(٥) ياقوت: معجم البلدان. ج ١، ص ٥٢٢.
(٦) الواقدي: فتوح الشام. ج ١، ص ٣٣.
(٧) المصدر نفسه، ص ٥٤ و ٥٥.
(٨) المصدر نفسه، ص ٥٩.
(٩) الواقدي: فتوح الشام. ج ١، ص ٦٠ و ٦١.
(١٠) المصدر نفسه، ص ٦٦.
(١١) فتوح الشام. ج ١، ص ٩١.
(١٢) الواقدي: فتوح الشام. ج ١، ص ١٧٣.
(١٣) الواقدي: فتوح الشام. ج ١، ص ٢٨٣.
(١٤) الشذرات. ج ١، ص ١٦.
(١٥) فتوح الشام. ج ٢، ص ٢٩٦ و ٣٠٢ و ٣٠٦.

● ● ●

مدن عربية تحت الاحتلال الاسباني

مسيرة خضراء لاسترداد مدينتي سبتة ومليلة

● ألمح الأمين العام لحزب «الاستقلال» المغربي المعارض محمد بوستة (وزير الخارجية السابق) إلى أن المغرب يفكر في تنظيم «مسيرة خضراء» جديدة شبيهة بتلك التي قامت في الصحراء الغربية في ١٩٧٥ من أجل تحرير مدينتي سبتة ومليلة اللتين تحتلهما اسبانيا.

وقال بوستة في مؤتمر صحافي في مدينة نادور المجاورة لمليلة أنه لا يستبعد القيام بمثل هذه المسيرة لاسترداد المدينتين.

وكان السكان العرب في المدينتين قد نظموا طوال شهر مضى سلسلة تظاهرات وإضرابات احتجاجاً على قانون إسباني جديد يعتبرهم من «الأجانب» ويقضي بإبعادهم.

وندد بوستة في تصريحاته بالقمع الذي يتعرض له السكان المغاربة واتهم الحكومة الاسبانية بالرغبة في وضع المغرب أمام الأمر الواقع بسن هذا القانون.

وقال «من المؤسف أن حكومة مدريد التي تريد تحرير اسبانيا من عقلية فرانكو هي نفسها التي تتخذ إجراءات تنطوي على التمييز ضد المغاربة في سبتة ومليلة ساعية إلى محو الطابع المغربي والعروبي والاسلامي من هاتين المدينتين».

ووصف القانون الاسباني الجديد بأنه استفزازي وأعرب عن اعتقاده بأن «هذه الاجراءات لن تجدي في شيء لأننا عبأنا أنفسنا ونعبئها أكثر لتحرير الأراضي المغربية المحتلة».

وعقد بوستة مقارنة بين إسرائيل واسبانيا، فقال إن هناك وجه شبه بينهما حيث أنهما الدولتان الوحيدتان في العالم اللتان تحتلان أجزاء من أراض عربية.

الضحّاك بن قيس



يرتبط اسم الضحاك بن قيس بحادثين حاسمين من أحداث تاريخ الدولة الاسلامية خلال القرن الهجري الأول، هما: موقعة مرج راهط، وانتقال الخلافة من فرع السفيانيين من بني أمية بن حرب إلى فرع آخر منهم هو فرع المروانيين، وهم مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية وأبناؤه من بعده. ولم يكن الضحاك أكبر رجال عصره ولا اقدرهم، ولكنه كان اشهرهم وأبعدهم أثراً في مجرى الحوادث اثناء فترة القلق والأخطار التي اعقبت موت معاوية الثاني بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.

ذلك أن معاوية الثاني عندما حضرته الوفاة في أكتوبر ٦٨٣ (ربيع الأول ٦٤) لم يوصي لأحد من بعده، وكان المرشح الطبيعي للخلافة أخوه خالد بن يزيد، ولكن خالداً كان شاباً صغيراً يقوم بأمره حسان بن مالك بن بجدل شيخ القبائل الكلبية النازلة بالشام.

ولم يكن لهذه القبائل نصيب كبير في قيام الدولة الأموية، أما الذين نصروا معاوية وكسبوا له النصر على علي بن ابي طالب فكانت بطوناً من قيس دخلت الشام واستقرت فيه أثناء فتوح الشام وبعدها وأهمها سليم وعامر (من هوازن) وذبيان (من غطفان)، غير أن يزيد بن معاوية تزوج امرأة من كلب، وكذلك فعل ابنه معاوية الثاني، فارتفع شأن الكلبيين وزادت قواهم واتسع سلطانهم.

فلما مات معاوية الثاني اصبحت الكلبية ورئيسها حسان بن مالك بن بجدل صاحبة الكلمة العليا ولكنها عدمت مرشحاً صالحاً للخلافة. وفي هذه الآونة بايع عبدالله بن الزبير لنفسه في المدينة، وطرد منها رجال بني أمية وعلى رأسهم مروان بن الحكم فاتجهوا إلى الشام، واشتد أمر ابن الزبير فبايع له الناس في العراق والشام ومصر، وبدا أن امر بني أمية قد انتهى.

وكان الضحاك بن قيس شيخ القيسية أميراً على دمشق فبدا له أن يبايع لابن الزبير واتفق مع انصاره على ذلك، فخاف ابن بجدل ومن معه من الكلبية ضياع الأمر من يدهم، فكتب إلى الضحاك يطلب إليه التبرؤ من عبدالله بن الزبير فتردد الضحاك، ووقع الخلاف بين القيسية والكلبية في دمشق واقتتلوا عند بيت قديم كبير يسمى بيت جبرون، ولكن الضحاك استطاع أن يسيطر على الموقف ويثبت على دعوة ابن الزبير إرضاء لقومه القيسيين.

غير أن الضحاك عاد فخاف من مغبة تصرفه فإن القوى التي كانت مع ابن بجدل كانت كبيرة، ثم أن رجال بني أمية كانوا من حوله وهو لا يجرؤ على التخلي عنهم، فاقترح على بني أمية أن يعقد اجتماع كبير في الجابية يحضره ابن بجدل ورجال بني امية والضحاك بن قيس لكي يستقروا على مرشح للخلافة، وفعلاً سارت الأطراف المختلفة نحو الجابية، وكان من بين الذين ساروا مروان بن الحكم وعبيدالله بن زياد بن أبيه، وكان هذا من أخلص الناس لبني أمية، وكان عاملاً لهم على البصرة حتى أخرجه رجال ابن الزبير، فتحدث عبيدالله بن زياد إلى مروان بن الحكم وقال له: انه أصلح الأمويين للخلافة لسنه ومكانته وخبرته، وعندما وصلا إلى الجابية استطاعا إقناع ابن بجدل بذلك، واضطر هذا إلى التخلي عن ابن أخته خالد بن يزيد مؤقتاً لكي ينجو من خطر عبدالله بن الزبير، ولكنه اشترط أن تكون الخلافة بعد مروان بن الحكم لخالد بن يزيد ثم لعمرو بن سعيد بن العاص من بعده.

أما الضحاك فلم يسر مع قومه إلا قليلاً حتى انقلبوا عليه وقالوا له: «دعوتنا لبيعة ابن الزبير وهو رجل هذه الأمة، فلما تابعناك خرجت تابعاً لهذا الاعرابي من كلب (يريدون ابن بجدل) تبايع لابن اخته تابعاً له! فغير الضحاك

رايه، وعاد إلى التمسك بدعوة ابن الزبير وعسكر في مرج راهط قرب دمشق، وهناك توافدت عليه قبائل قيس وأرسل إليه زفر بن الحارث امير قنسرين ونائل بن قيس امير فلسطين امداداً كثيرة وتلقى التأييد من جل أهل دمشق، وبلغ من كانوا معه ثلاثين الفاً.

وعرف مروان بن الحكم أن المعركة ستكون حاسمة، وكان حلفاؤه قد بايعوا له في الجابية في ٢٢ يونيو ٦٨٤ (٢٧ ذي القعدة ٦٤هـ) فسار مع قوات ابن بجدل ورجال عبيدالله بن زياد في سبعة آلاف، والتقى الجمعان في مرج راهط في يوليو ٦٨٤ (ذي الحجة ٦٤هـ) فقتل الضحاك وخيرة رجاله في الأيام الأولى للمعركة، وفي الأيام التالية قتل من انصاره القيسيين ألوف كثيرة، وانتهت معركة المرج بعد أن دامت قرابة العشرين يوماً بهزيمة ساحقة للقيسية وانتصار مروان بن الحكم والكلبية، وبعد ذلك مباشرة دخل مروان بن الحكم دمشق وبايع الناس في يوليو ــ اغسطس ٦٨٤ (محرم ٦٥هـ).

وحياة الضحاك بن قيس تصور لنا حيرة شيوخ القبائل اثناء العصر الأموي أمام المشاكل السياسية الكبرى التي نشأت عن قيام الامبراطورية الاسلامية وعجزهم عن رسم سياسة عليا تستقر عليها الأمور، وهذا هو الذي أتاح لشيخ داهية مسن مثل مروان بن الحكم فرصة الوثوب على الخلافة ونقلها من السفيانيين إلى المروانيين، وقد نقض ابن مروان اتفاقه مع ابن بجدل، فأزاح خالد بن يزيد وعمرو بن سعيد بن العاص عن ولاية العهد، وعقد البيعة من بعده لابنه عبدالملك بن مروان الذي اثبت انه من أعظم خلفاء الاسلام.

وبعد موقعة المرج مباشرة بدأ الصراع العنيف بين كلب وقيس في كل نواحي الدولة الاسلامية وكان هذا الصراع من أسباب زوال ملك بني أمية، وقد بلغ في خراسان والأندلس بصورة خاصة مبلغاً خطراً، وإلى هذا الصراع ترجع اهمية معركة المرج وشهرة الضحاك بن قيس، فقد اعتبرته القيسية رمزاً على ما أصابها على يد بني أمية.

●

معهد «سيبري» لأبحاث السلام

إسرائيل في المرتبة الأولى لانتاج العالم الثالث للأسلحة

قال معهد استوكهولم الدولي لأبحاث السلام (سيبري)، إن دول العالم الثالث ضاعفت إنتاجها من الأسلحة التقليدية ٥٠٠ مرة منذ العام ١٩٥٠، واحتلت إسرائيل المرتبة الأولى في السنوات الأربع الماضية.

وذكر المعهد في كتاب جديد أصدره تحت عنوان «إنتاج الأسلحة في العالم الثالث»، إن إسرائيل والبرازيل بالاضافة إلى الهند وتايوان هي أكبر منتجي الأسلحة وتنافس الآن الدول الكبرى في أسواق السلاح.

اضاف أنه في العام ١٩٥٠ كانت القيمة الاجمالية لانتاج العالم الثالث من الأسلحة الرئيسية توازي سعر دبابة قتالية بأسعار اليوم. أما اليوم فإن هذه القيمة توازي ١,٤٧ مليار دولار.

يذكر أن معهد سيبري هو منظمة لأبحاث الحرب والسلم يمولها البرلمان السويدي.

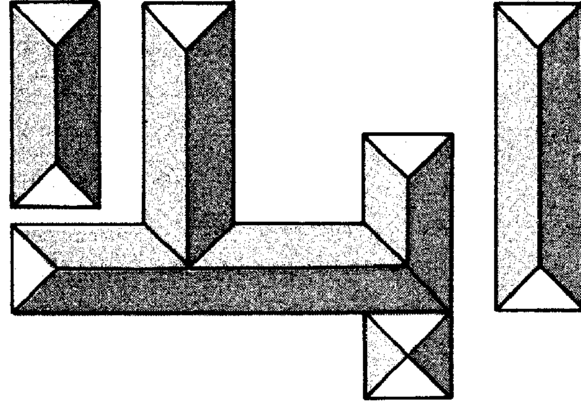
وأشار المعهد إلى أن صادرات العالم الثالث من الأسلحة زادت بثبات من العام ١٩٧٤ إلى العام ١٩٨٤، لكن حصة العالم الثالث من سوق السلاح العالمية تبلغ حوالي ١,٥ بالمئة فقط.

وأوضح المعهد «أن الولايات المتحدة البلد ذو الصناعة العسكرية الأكثر تطوراً في العالم، يمكن أن تبدأ قريباً في إنتاج أسلحة تقليدية صممت وطورت في بلد من العالم الثالث».

وأفاد أن شركات أميركية وبرازيلية تتفاوض حاليا من أجل الحصول على ترخيص بإنتاج طائرة وعربات مدرعة برازيلية. وقال إن الولايات المتحدة اختارت مؤخراً لجيشها طائرات استطلاع إسرائيلية من دون طيار.

(ا. ب. ي. ب)





المدينة البيضاء

أعظم اكتشاف أثري في عصره - لا بل في جيله

■ ترجمة «تاريخ العرب والعالم»

يبدو أن عصر علم الآثار الذهبي في الشرق الأوسط أخذ يشرف على نهايته سنة ١٩٧٥.

فما بين سنتي ١٨٢١ و ١٩٢٨ توصل جان ـ فرانسوا شامبليون إلى حل لغز حجر الروزيتا، وعثر هوارد كارتر على ضريح الملك توت، كما قام كل من پول ـ إميل بوتا، أوستن لايارد، وشارل ليونارد وولي بإثارة الغرب اكتشافهم لبقايا من سومر، أكاد، نينوى، نمرود وبابل؛ كما تم على يدي الماجور رولنسون، وغروتفند سميث اكتشاف لوحات وجدت ما بين الأنقاض والحجارة تضمنت دساتير ترجع إلى العهد القديم خطت بالآشورية.



لمزيد من التثبت فقد قام علماء الآثار فيما بعد بالحفر والتنقيب في أماكن للآثار لا تحصى في الشرق الأوسط ونذكر على سبيل المثال كاثلين كينون الذي كان له اكتشافات مهمة في كل من أريحا وأورشليم في حين أن اكتشافات جيفري بيبي في البحرين كانت سبباً في ربط الخليج العربي بالفرات. وفي العربية السعودية اهتدى الدكتور عبدالله المصري «وهو اليوم مدير دائرة الآثار في المملكة» اهتدى إلى الكشف عن دليل يبين أن للثقافة العبَيْدية في الفرات صلة وطيدة بما يدعى اليوم بثقافات قطاع شرقي المملكة السعودية، لكن أيٍّ من تلك الاكتشافات بما لها من أهمية لا يمكن مقارنتها بما أُعلن في سنة ١٩٧٥ عن أن فريقاً من علماء الآثار الايطاليين عثر على «EBLA» ذلك الاسم الذي يعني «المدينة البيضاء».

ونقيضاً لسلسلة من اكتشافات مثيرة حصلت في منتصف القرن التاسع عشر في الفرات حيث تم العثور على تحف أثرية قيِّمة فإن اكتشاف «EBLA» استغرق اثنتي عشر سنةً من العمل الحثيث في الحفر والتنقيب في تل مرديخ الأثري الذي يقع على بعد أربعين ميلاً إلى الجنوب من حلب في سوريا.

وخلال الخمسة أعوام الأولى وبالتحديد من سنة ١٩٦٣ وحتى ١٩٦٨ لم يتوصل علماء آثار روما إلى أي دليل يكشف عن هوية المكان.

ومن الواضح أن تل مرديخ كان ذات يوم مركزاً حضارياً مهماً كما يستدل من حجمه ومن عدد «القطع الخزفية» التي وجدت فيه وبجواره. فيظهر أن تاريخه كان حافلاً.

ولكن حتى سنة ١٩٦٨ لم يستطع جيوفاني بتيناتو وباولو ماثيـي وهما عالما آثار عُهد إليهما بأمر الحفر في هذا المكان ومعرفة ما إذا كان قد شغل حقبةً في تاريخ شمالي سوريا.

فيما بعد وفي سنة ١٩٦٩ عثر هـؤلاء العلماء عـلى نصب من الحجر الأسـود عليه كتـابات أكادية. وقد ذُكر اسم «EBLA» مرتين في هذه الكتابات، الأمر الذي دعا البروفسور بتيناتو إلى الافتراض بأن تل مرديخ يشبه إلى حدّ بعيد «EBLA» ذلك المكان الذي ذُكر بغموض في وثائق أكادية وآشورية.

لقد كان افتراضاً جريئاً كسواه من نظريات علم الآثار العديدة الأخرى، لكن فيما بعد وفي سنة ١٩٧٥ بالذات حققت نظريته نجاحاً باهراً فقد كشف الفريق عن وجـود ١٥,٠٠٠ لوحة خزفية في قصر «EBLA» الملكي وقد ارتفع عدد هذه اللوحات إلى ١٦,٥٠٠ لوحة.

من خـلال تلك اللوحات استـطاع العلمـاء الاستنتاج بأن إبلا كانت مملكة مزدهرة منذ قرابة ٣٠٠٠ ق.م. ويبـدو أنها كـانت تنافس ولايـات الفرات العـظيمـة الشـأن، سيـاسيـاً واقتصادياً كما وتتعامل تجارياً مع مـدن في الأناضول. فلسطين وإيران الغربية وكانت تعقد معاهدات مع جيرانها ثم استطاعت السيطرة على ولاية مارلي العظمى في الفرات.

ومـا يسترعي الانتباه هو أنـه على ضـوء النظريات السـابقة التي وضعت عن التـاريخ القديم ــ فإن لوحات «إبْلِيّة» كانت قد كتبت بلغة سامية شمـال ــ غربيـة وهي لغة ذات صلة باللغتين العبرية والفينيقية وتُعدّ من أقدم اللغات السامية التي عرفت سابقاً. وقد أرِّخت النصوص في سنة ٢٤٠٠ ق.م.

إن تسجيل وترجمـة ونشر هذه النصـوص يستغرق بالطبع، سنوات عدة ولكن اتضح لنا جلياً بأن التـاريخ القـديم المختص بالشعـوب الناطقة بالسامية في الشرق الأوسط يجدر إعادة النظر فيه وتقييمه من جديد، لأن «EBLA» وعلى أثر مقابلة أجريت حديثاً مع البروفسور «TOR EIGLAND» لم تكن سوى مركزاً ثقافياً للعالم القديم بمعنى أنها كانت بمثّابـة امبراطوريـة مفقودة غنيّة بالوثائق.

* * *

لقد بدأ العالم الخارجي يفد إلى تل مرديخ القديم، وهذه ظاهرة لم يسبق أن حصلت لزمن بعيد أي منذ ٣٠٠٠ سنة؛ فقد وقعت الغزوة الأولى في سنة ١٩٦٣ عندما قدم فريق من علماء الآثار للتنقيب في رابية تدعى تل مـرديخ كي يتثبتوا من مقدرتهم على تسليط بعض الضوء على تاريخ شمالي سوريا إبان العصر القديم.

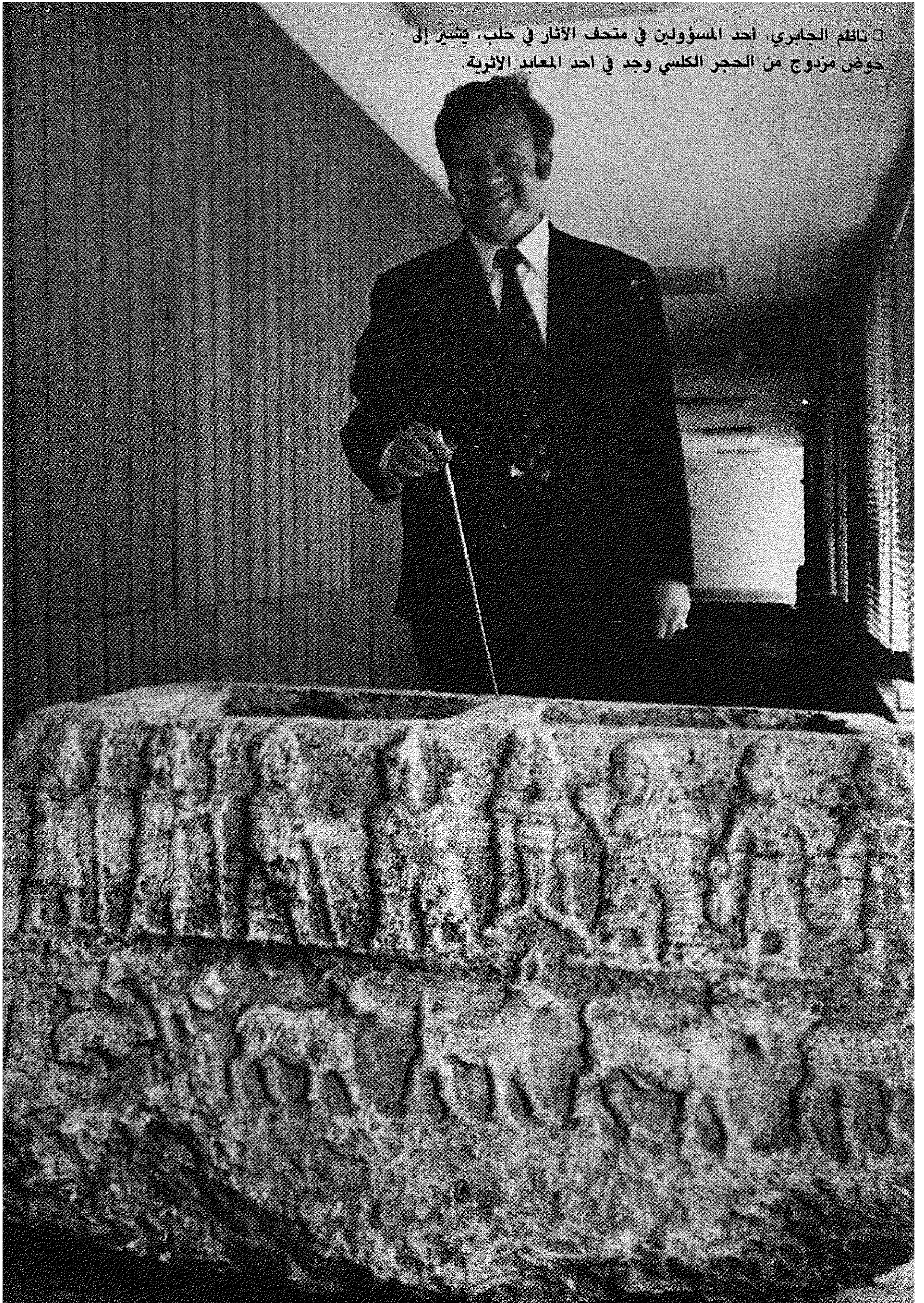
أما الغزوة التالية فقد شُرع بها عندما أعلن هـؤلاء العلماء عن اكتشافهم لـ ١٥,٠٠٠ لوحة دوّنت بالمسمارية وهي لغة سابقة مجهولة أثبتت وجود ولاية تدعى «EBLA».

إن أهمية هذا الاكتشاف قد دفع بالصحافيين وعلماء الآثار إلى القدوم إلى سوريا كي يلتقوا بأحد المشرفين على التنقيب وإجراء مقابلة معه، وقد كنت أنا من بين هـؤلاء.

لقـد أجـريت مقـابلة مـع بـاولو مـاثيـي وهو بروفسور في جامعة روما وقد أعطى الكثير من وقته ومعرفته كي يوضح منذ البداية بأن الاكتشافات التي حصلت في «EBLA» لم تكن وليدة الصدفة، بل هي نتاج أربعة عشر سنةً من العمل العلمي الدؤوب.

ذات مرة بينما كان البروفسور ماثيـي متكئاً على طاولته الخشبية البسيطة المثقلة بالأوراق والمعلومـات والمحاطة بجـدران غطتهـا لوحات وخرائط ورفوف نثرت عليها قطع خزفية صغيرة بيّن لي البروفسور بأن عمل فريقه الذي بدأ في سنة ١٩٦٤ بُني على فرضيّة ثابتة هي أن هنالك شيئاً في غاية الأهمية مدفون في تلة مـرديخ. وأضاف قائلاً: في الحقيقة نحن كنا واثقين من البداية من أهمية المكان.

منذ بداية سنة ١٩٦٤ وحتى ١٩٨٣ عملنا على الحقبة الأخيرة من ازدهار المدينة والتي امتدت ما بين ٢٠٠٠ ق.م. و ١٦٠٠ ق.م. وهي عصر السـلالة العمـوريـة العـظمى أي عصر حمورابـي بابل. منذ عام ١٩٧٣ وحتى اليوم أي في السنوات العديدة المقبلة سنباشر العمل على



□ ناظم الجابري، احد المسؤولين في متحف الآثار في حلب، يشير إلى حوض مزدوج من الحجر الكلسي وجد في احد المعابد الاثرية.



الحقبة المهمة من تاريخ هذه المدينة القديم وهي فترة ما بين ٢٤٠٠ ق.م و ٢٢٥٠ ق.م.

كما ترى فإن هذه المدينة خُطط لها وبدقة، فهناك بعض الحصون والقلاع التي تقع على الخط الخارجي بالاضافة إلى مدينة كبيرة وحصن صغير يشغلان وسط المدينة؛ وهذا المكان بالذات تشغله البنايات العامة، القصور الملكية والمباني الادارية في حين أن للمدينة السفلى ممر تتخلله أربع بوابات.

يتابع البروفسور ماثيي فيقول بلغة إنكليزية دقيقة ومدروسة بأن فريق عمله كان عليه أن يواظب العمل لسنوات عديدة دون أن يتوفر لديه دليل قاطع. لم تتوفر لنا المعلومات آنذاك ولكن تثبتنا من أهمية المكان في سنة ١٩٦٨ عندما قمنا بمقارنة وإقامة أوجه شبه بين تل مرديخ و«EBLA».

في السابق كان يعتقد بأن «EBLA» كانت تقع في ناحية من نواحي تركيا الجنوبية أو في أي مكان آخر من شمالي سوريا، في سنة ١٩٦٨ عثرنا على نصب كتب عليه إبْت ـ لِمْ وهو اسم ابن ملك «إبلا»، فيما قبل كانت لدينا معلومات عامة عن «EBLA» استقيناها من خلال نقوش ملكية في الفرات ترجع إلى ٣٠٠٠ ق.م.

وقد أعلن ملكان ينتميان إلى الفرات عن احتلالهما لـ «EBLA» في الفترة ما بين ٢٣٠٠ ق.م و ٢٢٥٠ ق.م.

وبالرغم من هذا كله فإنهم لم يتحققوا من أهمية اكتشافهم إلا في سنة ١٩٧٤ لأنه قبل هذا الاكتشاف لم نكن نتصور أن نعثر على وثائق تعود إلى ٣٠٠٠ ق.م في سوريا؛ فقد كانت الفرات وحدها مركزاً حضارياً مهماً وقد أجمع العلماء جميعهم على أن سوريا لم تعرف الحرف إلا في بداية الألفين ق.م. لم يكن أحد يعرف بوجود مدينة مهمة هنا ذات حضارة عريقة.



ولكن في سنة ١٩٧٤ تبيَّن لنا بأننا لا نملك فقط وثائق بل قصراً فخماً وليس مجرد سجلات وإنما حضارة عظيمة تكمن داخل هذا القصر. إذا كنا قد عثرنا سابقاً على لوحات خُطت بالمسمارية ففي سنة ١٩٧٥ وضعنا يدنا على غرفة مليئة بالوثائق.

لم نكن نبالغ حين قلنا بأن الغرفة التي وجدت احتوت على وثائق خاصة بولاية «EBLA» يبلغ عددها ١٦،٥٠٠ لوحة لم تكن كلها على حالها لكن قسماً كبيراً منها كان بحالة جيدة. كل هذه اللوحات كانت محفوظة على رفوف خشبية، لكن حريقاً ما لبث أن شبّ في «EBLA» ومن المحتمل أنه حصل على يد نارام ـ سِن حطّم هذه الرفوف تاركاً بعض اللوحات الخزفية عالقة على جدران الغرفة.

يتابع البروفسور ماثيي قوله بأن تلك اللوحات احتوت على ما هو مدهش كلغة محكية مجهولة. إن الكلمات التي خطت على هذه اللوحات كانت بالمسمارية التقليدية الخاصة بالفرات وبالطبع، فإن هذا النوع من الكتابة كان قد أخذ عن لغة الفرات يعتقد من ٣٠٠٠ ق.م لكن اللغة، المحكية كانت محلية.

ويعرف البروفسور «بتيناتو» العالِم المختص بهذه الكتابات بأنها لغة سامية شمال ـ غربية تُعرف بالكنعانية القديمة ويشير إلى أنها تختلف تماماً عن العمورية التي حتى ذلك الحين كان يُعتقد بأنها أقدم اللغات السامية على الاطلاق كما يدل الاسم على أنها قريبة جداً من اللغتين الفينيقية والعبرية. إذن باستطاعتنا القول أن لدينا لغة لا زالت مجهولة حتى الآن لكن مع شبه كبير بالسامية والآكادية لغتي الفرات الساميتين.

وقد ركّز البروفسور ماثيي على أهمية هذه الحقبة الشيء الذي يجعل في اللغة (ELBAN) لغة ليست بفينيقية ولا بعبرية. وتُبيِّن الوثائق

بأنها تفوق هاتين اللغتين قدماً بما يقرب ١٠٠٠ سنة، مما يجعلها معاصرة للأكادية القديمة التي عاصرت سرجون.

إن ترجمة جزء بسيط من هذه المادة الغنية قد سلّط الضوء على أشياء عديدة. قال: لقد وجدنا وثائق تتعلق بإدارة التجارة والمال تشير إلى أن النسيج كان من صادرات البلاد المهمة. وثائق عدة سُجّلت عليها الضرائب التي كانت تجمع وتُقدم للمدينة، وهناك لوحات أخرى قليلة تتعلق بشؤون سياسية كمعاهدات دولية التي من أهمها تلك التي عقدت بين «EBLA» وآشور.

وأحد أهم هذه النصوص التاريخية كان رسالة بعث بها جنرال من «EBLA» إلى ملكها على أثر نجاحه بغزوة عسكرية ضد مدينة عظيمة في سنة ٣٠٠٠ ق.م. تدعى ماري كانت مستقلة تقع بين سوريا وشمالي الفرات.

ونحن الآن نعلم بأن هذه المدينة احتلت مرتين من قبل «EBLA» أولاً في حوالي ٢٥٠٠ ق.م. وثانياً بحدود ٢٢٥٠ ق.م.

هناك بعض اللوحات التي تعد غاية في الأهمية يطلق عليها «نصوص لغوية» تشمل لوائح بمفردات سومرية، لغة الفرات، ومفردات باللغتين السومرية والإبْلية.

يبدو أن بحوزتنا حوالي ١٠٠٠ كلمة مدوَّنة باللغتين السومرية والإبْلية اللتين تعتبران الأكثر قدماً في العالم.

لقد ابتكر الأكاديون بعض المفردات، ولكن بعد مضي عدة سنوات تقريباً وفي عهد حمورابي بابل قرابة ١٨٠٠ ق.م. في حين أصبحت السومرية منسية ولم تعد متداولة غدت اللغة السومرية في عهد حمورابي لغة الاحتفالات الدينية أي لغة المعابد كاللاتينية اليوم.

من خلال هذه الانتصارات التي ورد ذكرها في النص، تابع يقول، يتضح بأن «EBLA» كانت قوة مهمة خلال تلك القرون، إذ أنها كانت مركزاً لقوة سياسية مهمة وحتماً فإنها سيطرت وبشكل مباشر على شمالي سوريا، بعض أجزاء من الفرات وعلى جزء يمتد من الأناضول حتى فلسطين، وقد وقعت يد البروفسور ماثيي على مقال كان قد كتبه بنفسه يفصّل فيه بعض الاكتشافات الأخرى التي تضمنت حسب قوله «إفريزاً» مع سلسلة من النصب الأسطورية والخيالية. فهناك مجموعة مشاهد تصور أسداً تتخذ أشكالاً وهي تنقض على بعض الماعز ممزّقةً إيّاها إرباً إرباً كما وُجدَ أيضاً بقايا لأبطال عراة يهمون بطعن أسُود عظام بالسيوف ومشاهد أخرى عن مصارعي ثيران وهم مشتبكون في معارك حامية مع أسودٍ وثيران.

في المجموعة الثانية تجد عسكريين متمنطقين بلباس قصير ضيّق، يضعون على رؤوسهم خوذاً ثقيلة يتبارزون بسيوف قصيرة، كما كان هناك أشكال رائعة الجمال تتسم بالمرونة والدقة.

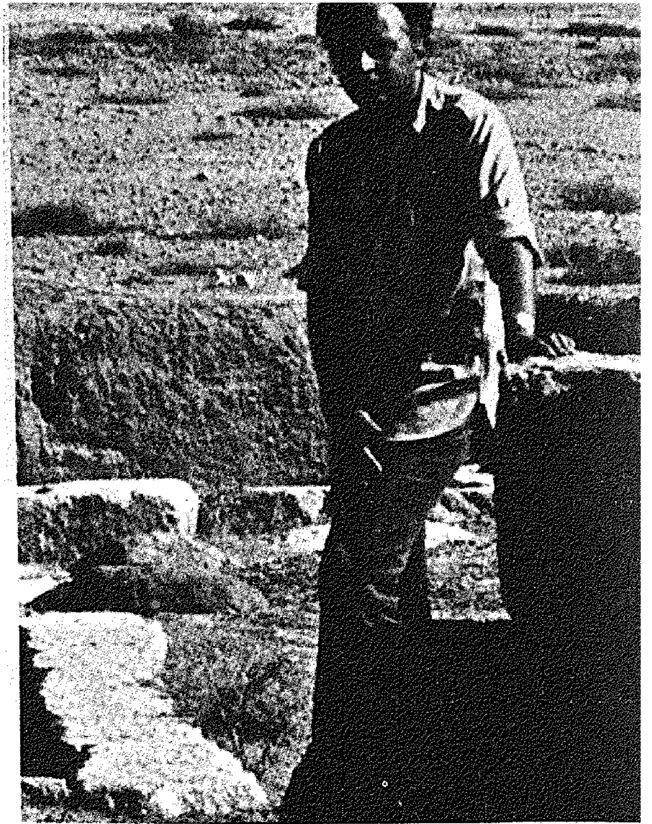
من المنطقي الافتراض، من خلال هذا الدليل وسواه أن وضع النساء الاجتماعي في «EBLA» كان يختلف عن مثيله في الفرات حيث كان في إبْلا اهم وأرقى. وبطبيعة الحال، فإن الحياة الاجتماعية بمجملها في «EBLA» كانت أكثر انفتاحاً منها في الفرات.

فالقصر على سبيل المثال، كان عبارةً عن بناء مشرَّع أو مفتوح نقيضاً لحصون الفرات المقفلة.

من ناحية أخرى، تابع يقول، من المرجح أنه كانت توجد عدة اختلافات كهذه في مختلف مدن الفرات. في العصور الحديثة اعتدنا على اعتبار الشرق الأدنى القديم كله عالماً موحداً منذ البداية وحتى عصر ملوك فارس. وهذا اعتبار خاطىء بالطبع لأنه خلال ما يقارب ٣٠٠٠ ق.م حصل تقدم ملحوظ فالسومري الذي ينتمي إلى عصر ٣٠٠٠ ق.م كان يختلف عن الآشوري في العصر نفسه. لقد كانت هناك اختلافات مهمة ومتعددة ولكن من وجهة نظر خاصة بنا نميل إلى اعتبار هذه العصور جميعها موحدة وهذا خطأ كبير.

شيء آخر ــ وهنا يبدي البروفسور ماثيي بعض الامتعاض وهو أن الصحافة كانت من حين إلى آخر تتبع خطأ يقضي بحذف أي علاقة تربط «EBLA» بالانجيل متناسية أهمية الاكتشاف الحقيقية... ولكن بعض الصحف المهمة ذكرت وبوضوح على أن أهمية إبْلا الحقيقية هي محض تاريخية.

يعود البروفسور ماثيي إلى موضوعه ليقول بأن ميل الكثيرين من الغربيين لأن يروا عصور



□ رئيس بعثة الآثار في تل مرديخ.

الشرق الأوسط القديمة مطابقة لعصر الانجيل قد يقضي على أهميتها التاريخية.

لو نظرنا إلى تاريخ الشرق الأدنى القديم بمنظار غير ديني لتبين لنا بأنه كان منطلقاً لعدة تطورات ثورية حصلت في تاريخ البشرية. على سبيل المثال «ثورة العصر الحجري الحديث» التي كانت بداية التنظيم الاقتصادي والاجتماعي لحياة العصور التي تعاقبت.

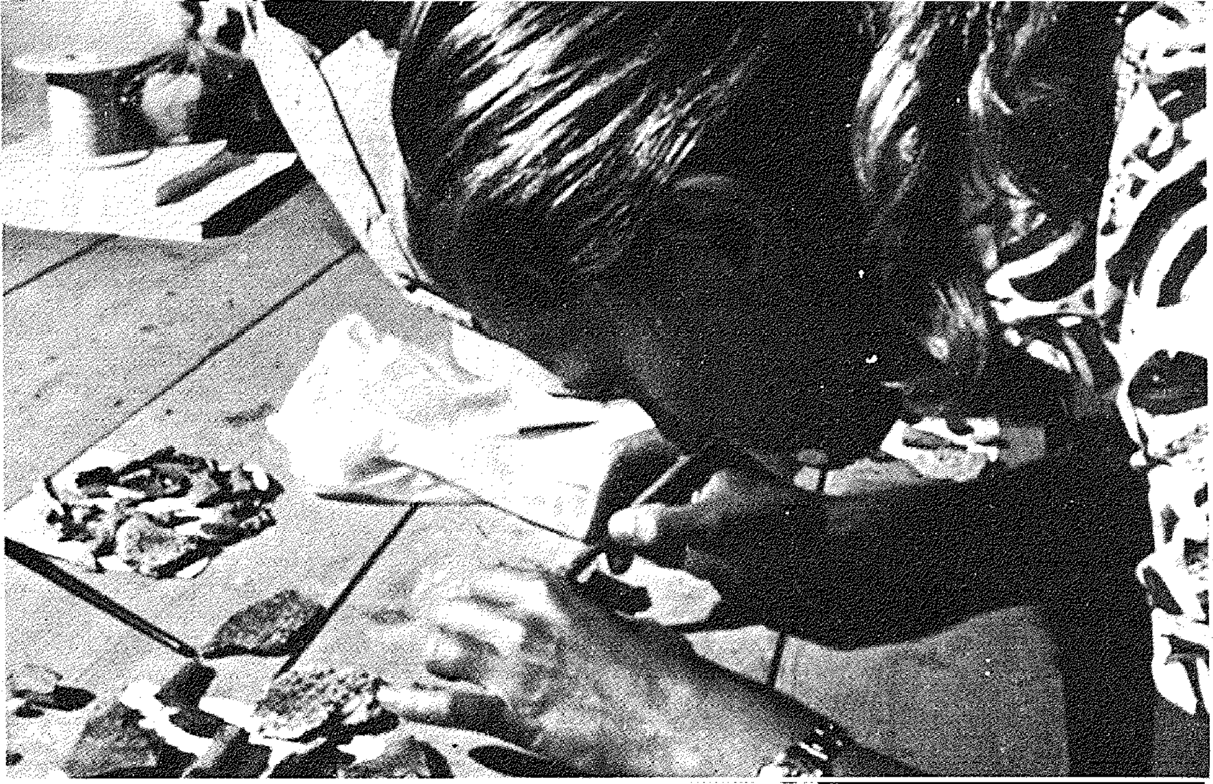
أعظم من هذا، إننا نرى نمط عيش يطابق أو يتماشى مع الذي نعيشه اليوم. فهذه الحياة الحضارية الشرقية كانت أصل حضارة ومدنية الغرب. والانجيل اليوم هو شاهد على هذه البلاد، ظاهرة واحدة لمفهوم عام عن الحياة التاريخية، الاقتصادية والاجتماعية في الشرق الأدنى القديم.

إن «EBLA» هي رمز تاريخي مهم ولأول مرة نتعرف على ثقافة سورية أصيلة في الألف الثالث للمسيح أو على حضارة عريقة. والأهم هو أنه يتوفر لدينا مصدر آخر مهم من الوثائق السورية المخطوطة وهي تتعلق فقط بشمالي سوريا وتضم الشرق الأدنى بكامله في تلك الحقبة التي تعد المنطلق الحقيقي لحضارة ومدنية شملت العالم بأسره كما سبق وأشرت.

يجب أن نحاول تغيير وجهة نظرنا بالنسبة لحقبة ٢٤٠٠ ق.م. بأن أكاد كانت القوة العالمية الوحيدة التي عرفت في الشرق الأدنى والآن نتعرف إلى أنه كان هناك قوتان عالميتان: «EBLA» في شمالي سوريا وأكاد في جنوبي الفرات.

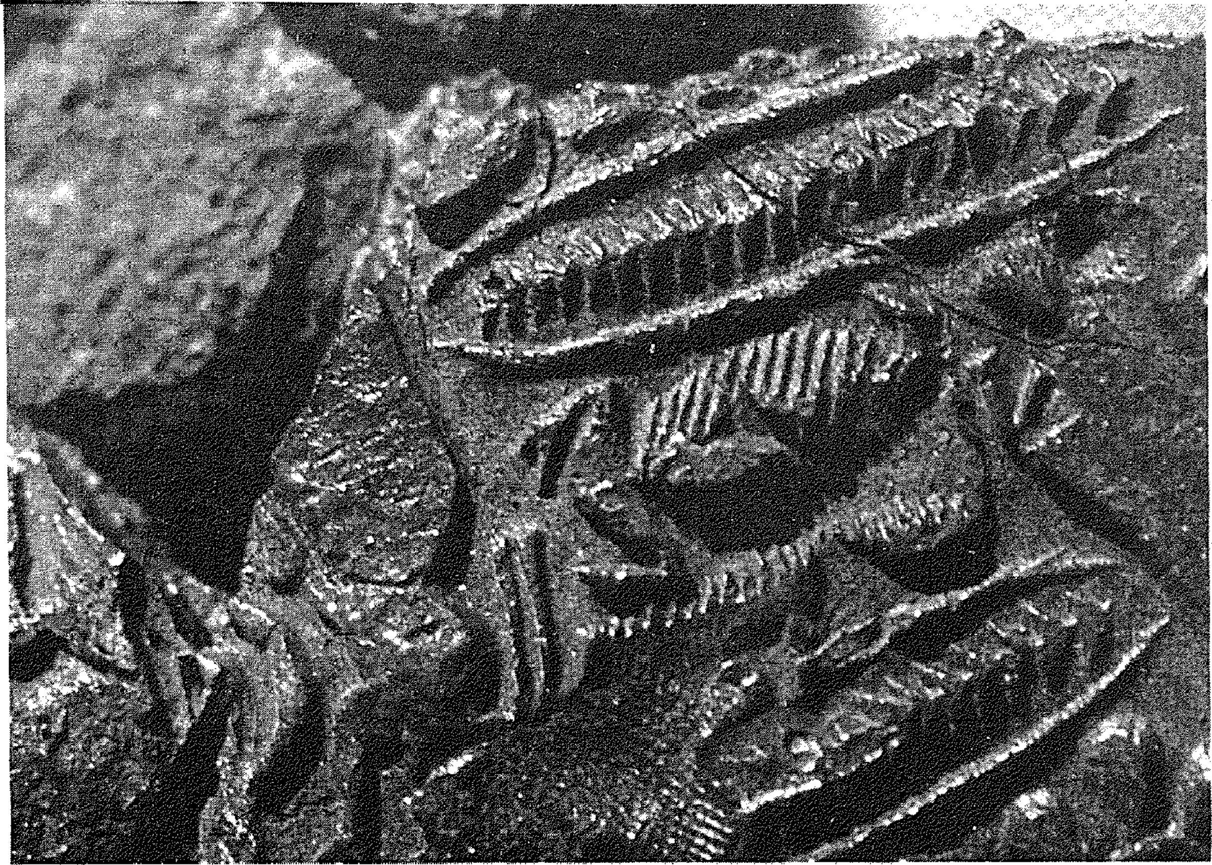
□ لوح عليه كتابة مسمارية، لا تزال غير مترجمة.

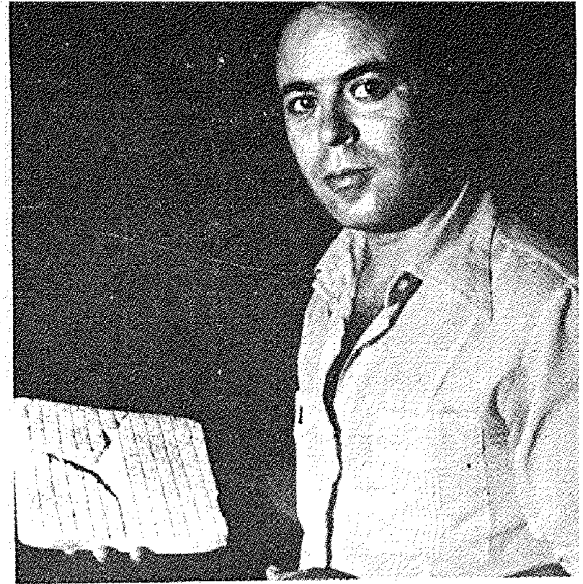




□ عالمة آثار تستعين بآلات دقيقة لتنظيف قطع من نصب أثري

□ أختام أسطوانية عليها كتابة قديمة، تدل على العلاقات الثقافية التي كانت قائمة بين الحضارات القديمة.





□ أحد القيّمين على متحف حلب الأثري، يحمل إحدى لوحات ابلا الأثرية.

نحن الآن نعلم بأن هذه الحقبة كانت حقبة صراع بين القوتين العظميين، ففي ٢٢٥٠ ق.م. دمّر نارام ــ سنْ وهو ملك أكاد العظيم الذي يذكر في كتابة له بأنه دمّر«EBLA» ومدينة أخرى في شمالي سوريا تدعى أرمان الاسم القديم لحلب ويقول نارام ــ سِنْ أنه لم ينجح أحد قبله بتدمير إبْلا وأرمان اللتين لم يقدر عليهما إنسان منذ بدء البشرية. إن كلام هذا لهو من باب المباهاة والمفاخرة ولكن بالتأكيد فهو يشير إلى قوة «EBLA» السياسية.

نحن اليوم نملك ما يساعدنا في دراساتنا عن كل الشرق الأدنى القديم لأنه بغضّ النظر عن النصوص المالية والتجارية المتوفرة لدينا نصوص مفردات، نصوص تاريخية وأدبية أي لدينا بداية ثورة حقيقية عظيمة في عملنا ودراساتنا. بينما كان البروفسور ماثيي يختم المقابلة أضاف نقطة أخرى مهمة وهي أن الاكتشاف في بدايته وقد بدىء بالحفر داخل القصر وأنجز جزء بسيط من أصل ١٦,٥٠٠ لوحة.

فالترجمة بالحقيقة عمل مهم وقد دُعي عشرة علماء ينتمون إلى عشرة بلدان مختلفة لتشكيل لجنة مهمتها إنجاز هذا العمل.

ورجاؤنا كبير بإنجاز هذا العمل وقد فكر الدكتور عاطف بهنسي «المدير العام السوري للآثار» بنشر نتائج الاكتشافات في صحيفة سيطلق عليها اسم «EBLAICA».

ويبدو أن عصراً ذهبياً آخر في طريقه إلينا.

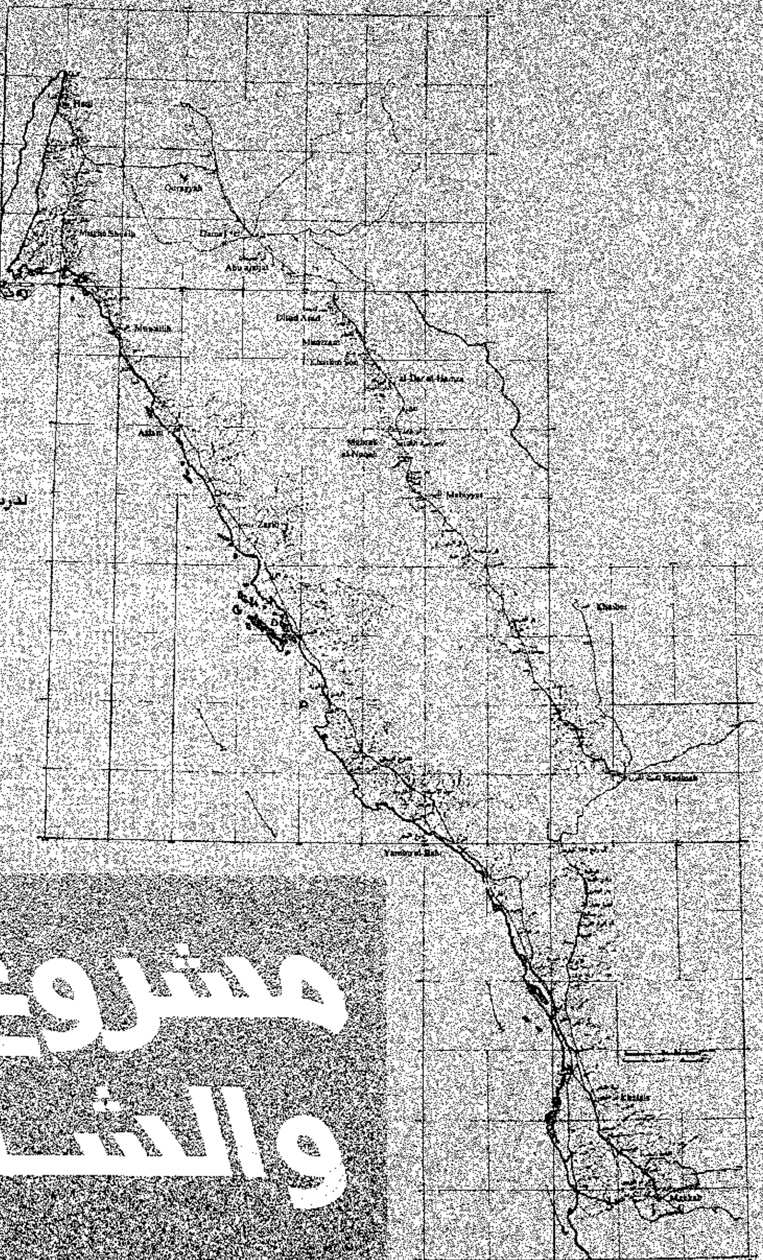


□ نصب جانبي منقوش على حوض في حجر الكلس.

مشروع درب الحج المصري والشامي

تقرير استطلاعي (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)

علي المغنم
صلاح الحلوة
جمال مرسي

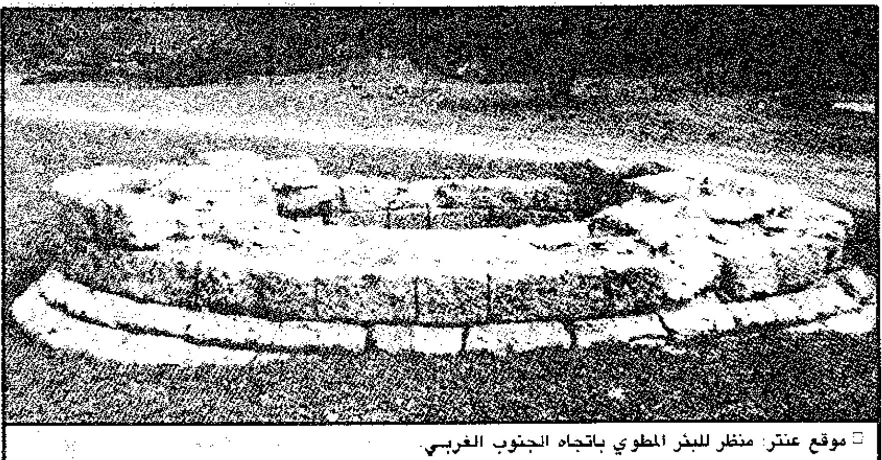


□ خريطة مفصلة لدرب الحج المصري

تم التعرف والوقوف على محطات ومنازل درب الحج المصري والشامي الذي يصل بين مصر وسوريا وفلسطين والأردن من جهة والأراضي المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة من جهة أخرى، وتم تسجيلها تسجيلاً عاماً كبداية لمشاريع اكثر شمولاً خلال المرحلة القادمة، وذلك خلال شهري ربيع الثاني وجمادي الأولى ١٤٠٢هـ (فبراير ومارس ١٩٨٢م)، بواسطة سبعة أشخاص من منسوبي الادارة العامة للآثار والمتاحف ومشاركين أجانب، لاستكشاف الدرب بكامله والوقوف على محطاته ومنازله بصفة عامة.

وقد تم تسجيل ٣٢ محطة وموقع على الدرب الساحلي (المصري) البالغ طوله نحو ٨٢٠ كم و ٢٥ محطة وموقع على الدرب الداخلي (الشامي) البالغ طوله نحو ٣٥٠ كم و ٢٥ محطة وموقع على الدرب فيما بين مكة المكرمة والمدينة المنورة والذي يبلغ طوله ٤٠٠ كم.

والواقع أن هذا الدرب يزخر بالعديد من المنشآت المعمارية المختلفة الأنواع والأغراض، فضلاً عن المخلفات الحضارية الأخرى المتمثلة في بعض القطع الفخارية والخزفية التي كانت تغطي احتياجات وفود الحجاج القادمين من كل فج عميق.



□ موقع عنتر: منظر للبئر المطوي باتجاه الجنوب الغربي.

وتشتمل هذه المحطات في الغالب على آبار معظمها مستغل حتى الآن إلى جانب برك وقنوات وأحواض لا تزال في حالة جيدة، وذلك لقوة بنائها وانخفاض مستواها عن سطح الأرض المحيطة بها، كما أن بعضها ملىء برواسب ما جرفته إليها السيول من طمى وما حملته الرياح إليها من رمال، كما أن المحطات الساحلية لا تزال مأهولة بالسكان، كما تحمى هذه المحطات والمنازل، في الغالب بحصون وقلاع، ولا تزال بحالة جيدة.

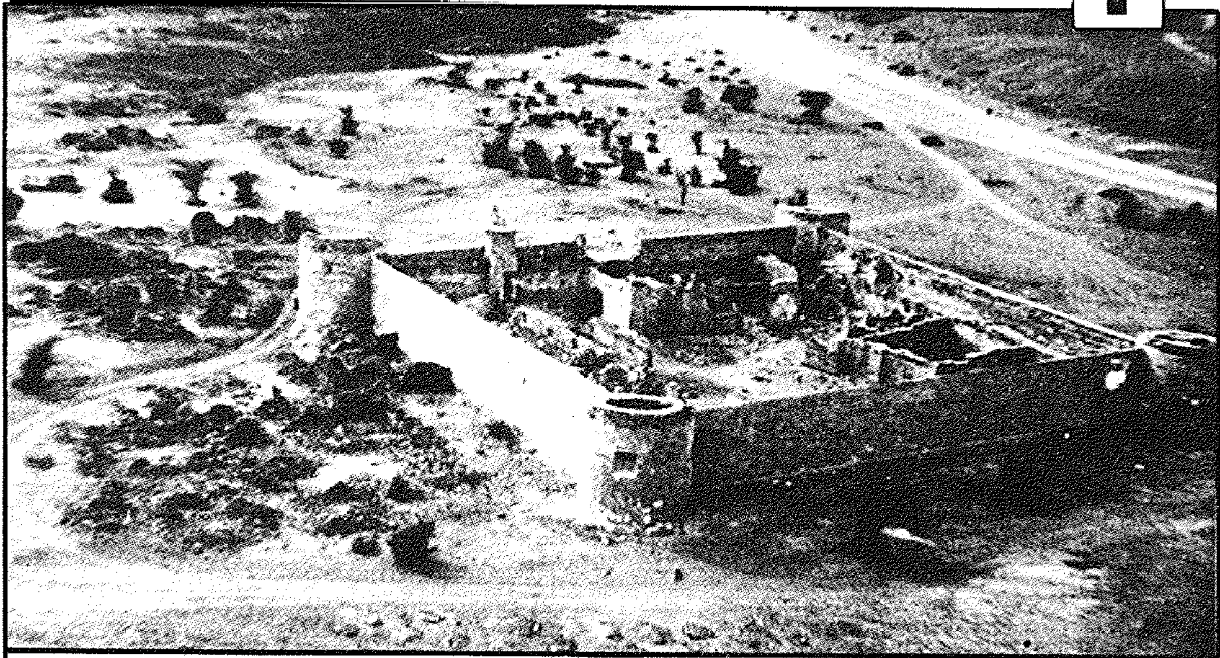
كما تشتمل بعض المحطات على وحدات سكنية مستطيلة المساحة في معظم الأحيان، ودكاكين وأماكن لتناول الأطعمة والمشروبات.

هذا إلى جانب احتواء بعض هذه المحطات على مساجد فضلاً عن الأعلام والنواطير لارشاد قوافل الحج.

ومن ثم أمكن تمييز محطات رئيسية وأخرى ثانوية كاستراحات على هذا الدرب، وفقاً لما تحتويه من مبان ومصادر مياه، وما كانت تؤديه من خدمات عظيمة للحجاج، من تأمين لسلامتهم وحفظ لودائعهم وإرشاد قوافلهم وتزويدهم بالمياه.

ونتناول فيما يلي المحطات والمواقع التي تم تسجيلها والوقوف عليها:

I درب الحاج الساحلي بين حقل وخليص



□ موقع قلعة ذريب: منظر للقلعة من الأعلى باتجاه الجنوب الشرقي.

١ ــ حقل

تقع على الضفة الشرقية من خليج العقبة، عند دائرة خط ١٨ ــ ٢٩ شمالاً، ٥٧ ــ ٣٤ شرقاً، ويتكون الموقع من بئرين قديمين (جو) داخل مزرعة بوادي المبرك.

٢ ــ البدع (مغائر شعيب)

تقع عند دائرة خط ٢٨ ــ ٢٨ شمال، ٠١ ــ ٣٥ شرق، وتشتمل على حوالي مائة وحدة معمارية مشيدة بالأحجار، وبركة وبئر مربعين كما عثر على بعض الكسر الفخارية.

٣ ــ الخريبة (عينونة) مغائر الكفار

تقع على مسافة ٥٥ كم جنوب شرق البدع في وادي عينونة، عند دائرة خط ٠٤ ــ ٢٨ شمال، ١٠ ــ ٥م شرقاً وتشتمل على مباني من الأحجار واللبن متهدمة، وبركة وقناة للمياه تمتد لنحو ٢ كم، واتساع مجراها ٣٠سم، كما يوجد بها

بعض الكسر الفخارية الاسلامية.

٤ ــ شرمــة

تقع في وادي شرمة الذي يصب في البحر الأحمر، وهي على مسافة ٦كم غرب شرمة، وتقع عند دائرة خط ٠١ ــ ٢٨ شمالاً، ٢٦ ــ ٣٥ شرقاً، وجنوب شرق الخريبة بنحو ٦ كم وهي تشتمل على نحو ٢٠ وحدة معمارية متهدمة وعين ماء في الوادي تعرف باسم «النقيرة».

٥ ــ تــريــم

تقع في وادي تريم الذي يصب في البحـر الأحمر، وهي جنوب شرق موقع شرمـة بنحو ٢٠كم، عند دائرة خط ٥٥ ــ ٢٧ شمالاً، ٢٣ ــ ٣٥ شرقاً، وتشتمل على بركة مربعة طول ضلعها حوالي ٢٠م وحوض صغير تربط بينه وبين البركة قناة ضيقة، كما توجد بعض الكسر الفخارية الاسلامية.

٦ ــ المويلــح

تقع عند دائرة خط ٤١ ــ ٢٧ شمالاً، ٢٧ ــ ٣٥ شرقاً، وبها قلعة قديمة تعرف باسم قلعة الوكيل، مبنية من الحجر والجص، هذا إلى جانب خمسة آبار مطوية بالأحجار يحتوي بعضها على ماء على عمق ٥,٥م، كما توجد مقبرة إسلامية بداخلها مسجد، وخمس وحدات معمارية بنيت من الحجر الجص. بالاضافة إلى بعض الكسر من الفخار الاسلامي.

٧ ــ العــال

يقع جنوب شرق المويلح بنحـو ٣٢كم عند دائرة خط ٢٥ ــ ٢٧ شمالاً و ٣٦ ــ ٣٥ شرقاً ويحتوي على بئرين مطويين بالحجر.

٨ ــ ضبــا

تقع عند دائرة خط ٢١ ــ ٢٧ شمال، ٤٠ ــ ٣٥ شرقاً، وبها قلعة تطل على البحر الأحمر، بالاضافة إلى ثلاثة آبار مطوية بعمق ١٠م وبها ماء صالح للشرب، كما توجد بعض كسر الفخار الاسلامي.

٩ ــ الأزلــم

تقع جنوب شرق ضبا بنحـو ٥٠كم، وعند دائـرة خط ٠٠ ــ ٢٧ و ٠٠ ــ ٣٦ شـرقاً، وتشتمل على قلعة قديمة بنيت بالأحجار، وبئرين مطويين بالأحجار أيضاً، إلى جانب كسر الفخار الاسلامي.

١٠ ــ عنتر (بركة عنتر)

توجد عند دائرة خط ٣٧ ــ ٢٦ و ١٦ ــ ٣٦ بوادي عنتر، وتوجد بها بركة مربعة طول ضلعها ١٢م تتصل بها مصفاة، وإلى الغرب من البركة توجد أربعة آبار مطوية بالحجر، بالاضافة إلى بعض الكسر الفخارية الاسلامية.

١١ ــ حرامل (بئر حرمل)

يقع عند دائرة خط ٣٠ ــ ٢٦ شمالاً، ١٩ ــ ٣٦ شرقاً، ويحتوي على بئر مطوي فيه ماء على عمق ٧ أمتار.

١٢ ــ الــرص

يقـع عند دائـرة خـط ٢٦ ــ ٢٦ شمـالاً و ٢٣ ــ ٣٦ شرقاً بوادي الرص وعلى مسافة ١٠كم جنوب غرب موقع حرامل، ويشتمل على ساحة وغرفتين.

١٣ ــ زريــب

تقع شمال شرق مدينة الوجه بنحو ٨كم، وعند دائرة خط ١٧ ــ ٢٦ شمالاً و ٣٠ ــ ٣٦ شرقاً، وتشتمل على قلعة قديمـة مربعـة طول ضلعها ٤٠م تقريباً، وسبعة آبـار محفورة في الصخر وفوهاتها مطوية بالأحجار، إلى جـانب ثلاثين وحدة معمارية مشيدة بالأحجار.

١٤ ــ بئـر اكرا
(مصب بصـارة ــ خـريم سعيد)

يقع على مسافة ٤٨كم جنوب شرق مـوقع زريب، عنـد دائـرة خـط ٥٥ ــ ٢٥ شمـالاً و ٤٥ ــ ٣٦ شرقاً بوادي بوصورة، وهو فرع من وادي الحمض، ويشتمل على بئر (جسو) وحوض صغير.

١٥ ـ بئر العمارة

يقع على مسافة ٥١كم جنوب شرق موقع بئر اكرا، وعلى ساحل البحر الأحمر، عند دائرة خط ٢٩ ـ ٢٥ شمالاً ٠٠٠ ـ ٣٧ شرقاً، ويحتوي على بئر مطوي قطره ٢,٥٠م وعمقه ٢٠م وبه ماء لسقي الماشية.

١٦ ـ الحوراء

يقع على بعد ٤٥كم جنوب شرق موقع بئر العمارة، وعلى مسافة ٧كم شمال مدينة أملج، على ساحل البحر الأحمر، عند دائرة خط ٠٨ ـ ٢٥ شمالاً و ١٢ ـ ٣٧ شرقاً. وهو عبارة عن تلال رملية تحتوي على بعض الوحدات المعمارية المبنية بحجر (الفروش) البحري والحجر الجيري، كما يوجد العديد من كسر الفخار الاسلامي، وبعض كسر من الحجر الصابوني.

١٧ ـ الدقم (أملج)

يقع جنوب موقع الحوراء بنحو ٥كم، وعلى بعد ٢كم شمال مدينة أملج، عند دائرة خط ٠٤ ـ ٢٥ و ١٣ ـ ٣٧ شرقاً وهو يشتمل على مبنى بداخله عدة غرف، كما توجد بعض كسر الفخار الاسلامي.

١٨ ـ الخنقة

يقع على مسافة ١٤ كم جنوب شرق أملج (الدقم) وعند دائرة خط ٥٨ ـ ٢٤ شمالاً، و ١٨ ـ ٣٧ شرقاً على حافتي وادي نخبة، ويشتمل الموقع على جدارين متوازيين سمك الواحد منهما ١ م، وارتفاعه يتراوح بين ١ ـ ٢ م، يحصران بينهما درب الحاج بعرض يتراوح بين ٦ ـ ١٠ م، كما يحتوي الموقع على مبنى مثلث الشكل من الحجر وأحد أعلام الدرب.

١٩ ـ نبط

يقع على مسافة ٤٠ كم جنوب شرق الخنقة وعلى بعد ٥٤ كم جنوب شرق أملج، وعند خط ٤٠ ـ ٢٥ شمالاً و ٣٠ ـ ٣٧ شرقاً بوادي نبط، ويتكون من أربعة آبار دائرية مطوية بالحجر، بها ماء على بعد ٥ م، كما يوجد حوض ماء مستطيل وبعض كسر من الفخار الاسلامي.

٢٠ ـ المقارح الشمالي

يقع على مسافة ١٧ كم جنوب شرق موقع نبط، عند دائرة خط ٣٥ ـ ٢٤ شمالاً، ٣٨ ـ ٣٧ شرقاً بوادي المقارح، وهو عبارة عن أربعة وحدات معمارية بنيت من الحجر.

٢١ ـ المقارح الجنوبي

يقع جنوب شرق المقارح الشمالي بنحو ٣ كم وعلى بعد ٢٠ كم جنوب شرق نبط، عند دائرة خط ٣٤ ـ ٢٤ شمالاً و ٥٠ ـ ٣٧ شرقاً بوادي المقارح، ويحتوي على ثلاث وحدات معمارية بنيت بالحجر.

٢٢ ـ الخاروط

يقع عند دائرة خط ٢٤ ـ ٢٤ شمالاً و ٤٤ ـ ٣٧ شرقاً عند التقاء وادي حسنة بوادي كمال، وعلى مسافة ٣٠ كم جنوب شرق المقارح الجنوبي. ويشتمل على بركة صغيرة وقناة.

٢٣ ـ سيل الأسلة

يقع جنوب شرق موقع الخاروط بنحو ١١,٥ كم بوادي الأسلة، عند دائرة خط ٢١ ـ ٢٤ شمالاً، ٠٠ ـ ٣٨ شرقاً، ويتكون من بركة دائرية قطرها ٢٢ م وعشر وحدات معمارية مبنية بالحجر.

٢٤ ـ عويص

يقع على مسافة ٨,٥ كم جنوب شرق موقع سيل الأسلة، وعند دائرة خط ١٨ ـ ٢٤ شمالاً، ٠٤ ـ ٣٨ شرقاً بوادي عويص، وهو عبارة عن ثلاثة آبار مطوية قديمة ومرممة، ومبنى مع جدار من الحجر فوق جبل، كما يوجد جدارين متوازيين والمسافة بينهما ٢٠ م، يحصران بينهما درب الحج.

٢٥ ـ الفرع (ينبع)

يقع جنوب شرق مدينة ينبع البحر الحالية بنحو ١٨ كم، عند دائرة خط ٠٠ ـ ٢٤ شمالاً و ١٤ ـ ٣٨ شرقاً في وادي الفرع (الفرعة) ويشتمل على عشرين وحدة معمارية على جانبي الوادي، وبئر مطوي مرمم في الوادي.

٢٦ ــ الجــار

يقع شمال غرب قرية الريس الحالية بنحو ٩ كم، وعند دائرة خط ٢٧ ــ ٢٣ شمالاً و ٣٣ ــ ٣٨ شرقاً، وهو من الموانى القديمة على ساحل البحر الأحمر بمنطقة المدينة المنورة، ويشتمل على بقايا معمارية وفخارية ــ غير واضحة المعالم.

٢٧. ــ الصرير

يقع على مسافة ١٧ كم جنوب شرق موقع الجار، وعلى مسافة ٨ كم جنوب شرق قرية الريس الحالية، عند دائرة خط ٣١ ــ ٢٣ شمالاً و ٣٩ ــ ٣٨ شرقاً، وهو يتكون من أكوام وجدران من الجص لأساسات مباني قديمة.

٢٨ ــ بئر غيلان

يقع على مسافة ١٩ كم جنوب شرق موقع الصرير وعلى بعد ٢٩ كم شمال غرب مستورة، عند دائرة خط ٢١ ــ ٢٣ شمالاً و ٤٤ ــ ٣٨ شرقاً، ويشتمل على بئر مطوي وأكوام من الحجارة.

٢٩ ــ مستورة

يقع على مسافة ٢٩ كم جنوب شرق بئر غيلان، وعلى مسافة ٤ كم شرق البحر الأحمر، عند دائرة خط ٠٦ ــ ٢٣ شمالاً، ٥١ ــ ٣٨ شرقاً، ويحتوي على آبار وبعض الجدران.

٣٠ ــ رابغ

يقع على مسافة ٣٨ كم جنوب شرق مستورة على وادي رابغ عند دائرة خط ٤٩ ــ ٢٢ شمالاً، و ٠٢ ــ ٣٩ شرقاً، وهو عبارة عن قلعة لم يبق منها سوى برج واحد.

٣١ ــ قضيمة

يقع على مسافة ٥٣ كم جنوب شرق رابغ، عند دائرة خط ٢٠ ــ ٢٢ شمالاً، ٠٩ ــ ٣٩ شرقاً، ويحتوي على بئرين مطويين أحدهما يحتوي على درج جانبي، هذا إلى جانب حوض صغير للماء وبعض المباني المشيدة باللبن.

٣٢ ــ خليص (الدف)

عند دائرة خط ٠٩ ــ ٢٢ شمالاً، ٢٠ ــ ٣٩ شرقاً على وادي مرواني على بعد ٢٧ كم جنوب شرق موقع القضيمة.

وهي من المحطات الكبيرة على درب الحج، وعندها يلتقي درب الحج المصري بدرب الحج الشامي ويتجهان معاً إلى مكة المكرمة، وتحتوي هذه المحطة على قلعة فوق جبل وعين ماء وقناة وثلاث برك، إلى جانب بعض الكسر الفخارية الاسلامية.



درب الحاج الشامي بين حالة عمار والمدينة المنورة

١ ــ حالة عمار القديمة

تقع على بعد ٣ كم جنوب بلدة حالة عمار الحالية الواقعة على الحدود السعودية الأردنية، عند دائرة خط ١٠ ــ ٢٩ شمالاً ٠٤ ــ ٣٦ شرقاً.

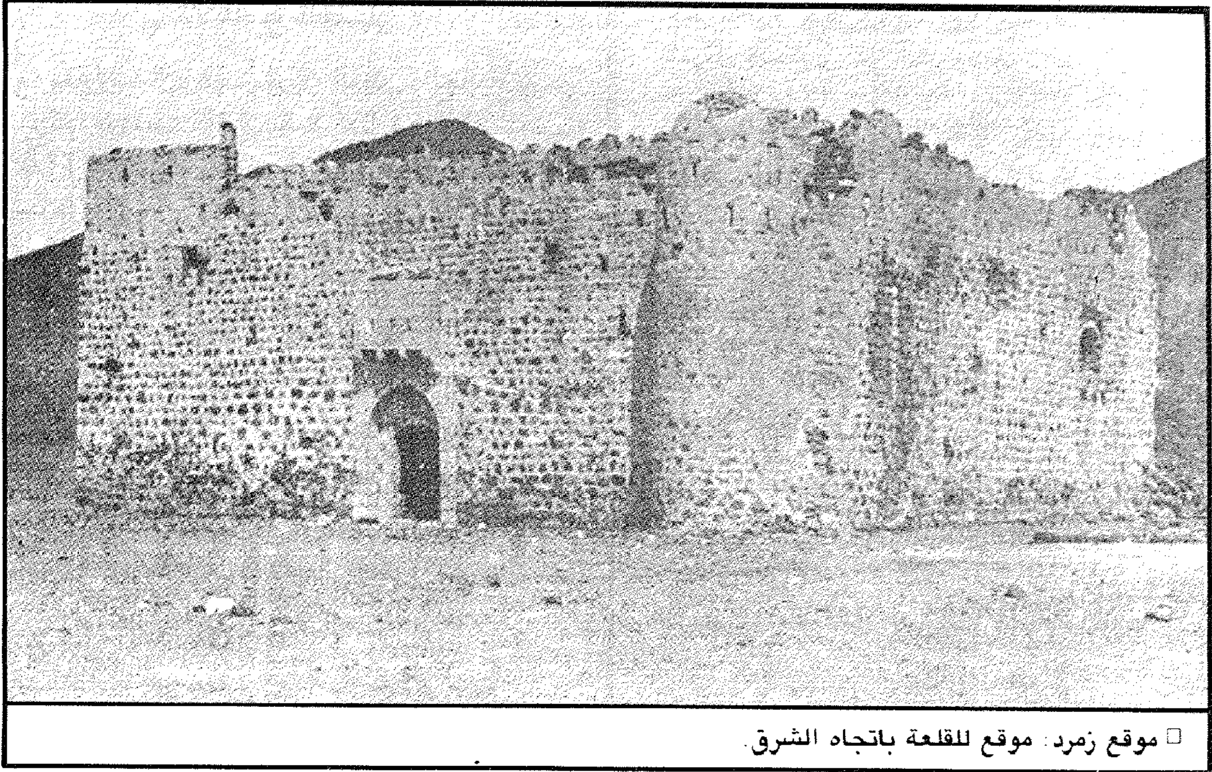
ويشتمل على مبنى محطة سكة حديد مشيد بالحجر المشذب وجزء من قاطرة، وآثار بئر وبرج مراقبة فوق جبل.

٢ ــ ذات الحاج

وهي بلدة عامرة الحالية، وتقع جنوب شرق حالة عمار بنحو ١٦ كم، عند دائرة خط ٠٤ ــ ٢٩ شمالاً، ١٠ ــ ٣٦ شرقاً ويشتمل على محطة سكة الحديد بملحقاتها إذ يوجد مبنى للسكنى وخزان للمياه وبينهما بئر ماء، كما توجد قلعة بجانبها بركة ماء وبعض الكسر الفخارية الاسلامية.

٣ ــ قاع أبو طرفاء

يقع جنوب شرق بلدة ذات الحاج بنحو ١٠ كم، وعند دائرة خط ٥٨ ــ ٢٨ شمالاً ١٣ ــ ٣٦ شرقاً، ويشتمل على عدة مباني من



□ موقع زمرد: موقع للقلعة باتجاه الشرق.

الأحجار فوق جبل على جانبي طريق سكة حديد الحجاز لمراقبة القطار وحمايته.

٤ ــ بئر هرماس

تقع جنوب شرق محطة ذات الحاج بنحو ٢٣ كم، وهي بلدة عامرة الحالية، وتقع عند دائرة خط ٥١ ــ ٢٨ شمالاً، ١٦ ــ ٣٦ شرقاً، وتشتمل على محطة سكة حديد مشيدة بالأحجار المشذبة، كما يوجد مبنيان للسكة الحديد، للسكنى بينهما خزان ماء علوي فوق برج، إلى جانب بئر ماء مربع الشكل.

٥ ــ الحزم

يقع جنوب شرق محطة بئر هرماس بنحو ٢٢,٥ كم، عند دائرة خط ٤٠ ــ ٢٨ شمالاً، ٢١ ــ ٣٦ شرقاً، وهو إحدى محطات سكة حديد الحجاز القديمة، ويحتوي على مبنى للسكنى شيد بالحجر المشذب وبئرين أحدهما مطوي بالحجر.

٦ ــ المحتطب

يقع جنوب شرق محطة الحزم بنحو ٢١,٥ كم، عند دائرة خط ٣٠ ــ ٢٨ شمالاً، ٢٨ ــ ٣٦ شرقاً، وهو إحدى محطات سكة حديد الحجاز، ويحتوي أيضاً على مبنى للسكنى مشيد بالحجر المشذب.

٧ ــ تبوك

تقع عند دائرة خط ٢٣ ــ ٢٨ شمالاً، ٢٤ ــ ٣٦ شرقاً، وهي من محطات سكة الحديد الكبيرة، إذ تشتمل على إثني عشر مبنى للسكنى كما يوجد خزان ماء علوي وبئر، وجميعها مشيد بالأحجار المشذبة. كما يوجد لها قلعة خاصة بدرب الحج وحوض ماء بينهما بركة.

٨ ــ الأثيلي

يقع على مسافة ٢٧ كم جنوب شرق محطة تبوك في وادي الأثيلي وعند دائرة خط ١٣ ــ ٢٨ شمالاً و ٤٦ ــ ٣٦ شرقاً وهو من محطات سكة الحديد القديمة المبنية بالحجر المشذب ويشتمل على خمس وحدات معمارية وجدار على شكل نصف دائرة، وبالقرب من المباني عدد (٥٠) حفرة مبنية على شكل دائري قطر كل منها ٤ م.

٩ ــ البرك

يقع على مسافة ١٠ كم جنوب شرق محطة

الأثيلي على فرع وادي الغض، عند دائرة خط ١٠ ــ ٢٨ شمالاً و ٥١ ــ ٣٦ شرقاً، وهو أيضاً من محطات سكة الحديد القديمة، التي تشتمل على مبنى من الحجر المشذب إلى جانب بعض المباني المشيدة بأحجار غير مشذبة.

وينقسم الموقع إلى أربعة أجزاء يبعد الواحد منها عن الآخر بنحو ١ كم، يشتمل كل جزء منها على ثلاث وحدات معمارية مشيدة بالأحجار فوق جبل.

١٠ ــ خشم البرك

يقع جنوب شرق محطة البرك بنحو ٨,٥ كم، عند دائرة خط ٠٧ ــ ٢٨ شمالاً و ٥٥ ــ ٣٦ شرقاً، ويشتمل على مباني وبعض الدوائر الحجرية.

١١ ــ الأوجيرية (الوجيرية)

يقع على جنوب شرق موقع خشم البرك بنحو ٤ كم، وعند دائرة ٠٦ ــ ٢٨ شمالاً، ٥٧ ــ ٣٦ شرقاً.

وهو أحد محطات سكة الحديد القديمة، ويتكون من ثلاثة أقسام أولها يتكون من محطة السكة الحديدية، وهو عبارة عن مبنى من الحجر المشذب، وأربعة مباني أخرى شيدت فوق الجبال بالأحجار وبدون مونة، والقسم الثاني يقع على بعد ٥ كم شرق المحطة ويتكون من دوائر حجرية ومباني بالحجر وبدون مونة، أما القسم الثالث فيقع على مسافة ٦ كم شرق المحطة ويتكون من بعض المباني بدون مونة.

١٢ ــ المصطبعة

يقع على مسافة ٩,٥ كم شرق محطة الأوجيرية، عند دائرة خط ٠٦ ــ ٢٨ شمالاً، ٠٣ ــ ٣٧ شرقاً على فرع من وادي الأخضر.

وهو أحد محطات سكة الحديد القديمة ويتكون من مبنى استراحة السكة وهو مشيد بالأحجار المشذبة إضافة إلى بعض المباني الأخرى وعلى مسافة ٧٠٠ م شرق محطة المصطبعة، يوجد نفق بطول ٣٠٠ م، يمر به القطار. كما يوجد درج على مسافة ٧٠٠ م، شرق نهاية النفق يعرف بطريق الجمال.

١٣ ــ البوغاز

يقع على مسافة ٥ كم شرق المصطبعة، على فرع من وادي الأخضر، عند دائرة خط ٠٦ ــ ٢٧ شمالاً، ٠٦ ــ ٣٧ شرقاً.

وهو إحدى محطات السكة الحديدية القديمة، وبجانبها يوجد حوض صغير للماء وبئر مطوي وبنيان على سفح الجبل.

١٤ ــ الأخضر

من المحطات الكبيرة وتقع بوادي الأخضر عند دائرة خط ٠٥ ــ ٢٨ شمالاً و ٠٩ ــ ٣٧ شرقاً، وتشتمل على مباني للسكة الحديد القديمة ومسجد وبركة وحوالي ٢٠ وحدة معمارية.

١٥ ــ حمية

يقع على مسافة ١٧ كم جنوب شرق محطة الأخضر بنحو ١٧ كم على وادي الأخضر، عند دائرة خط ٠٣ ــ ٢٨ شمالاً، ١٦ ــ ٣٧ شرقاً، وهو أحد محطات سكة الحديد القديمة، يحتوي على مبنى استراحة السكة الحديد المشيد بالأحجار المشذبة، وحوض صغير ومبنيين لعمل الخبز، بالاضافة إلى بعض المباني فوق الجبال.

١٦ ــ ديعد (خنزيرة الأسعد)

يقع على مسافة ٢٢ كم جنوب شرق محطة خميسة في وادي سبأ، عند دائرة خط ٥٢ ــ ٢٧ شمالاً و ١٨ ــ ٣٧ شرقاً. وهو إحدى محطات سكة الحديد القديمة، ويحتوي على مبنى من مباني استراحة السكة مشيد بالحجر المشذب، وحول المحطة توجد بعض المباني المتهدمة، كما يوجد أيضاً بعض المباني فوق جبل، على مسافة ٧٠٠ م شمال غرب المحطة بالاضافة إلى بعض الكتابات القديمة على الصخور، غرب الوادي وعلى مسافة ٨٠٠ م جنوب شرق المحطة.

١٧ ــ المعظم

من المحطات الكبيرة على درب الحاج الشامي، وتقع عند دائرة خط ٤٣ ــ ٢٧ شمالاً و ٢٧ ــ ٣٧ شرقاً، وتشتمل على قلعة قديمة بداخلها بئر مطوي وبركة كبيرة مربعة الشكل طول ضلعها ٦٠ م إلى جانب بئرين مطويين.

كما تشتمل على ثلاثة مباني للسكة الحديد (استراحات) بنيت من الحجر المشذب وخزان علوي للماء وعدة مباني بدون مونة.

١٨ ــ خشم صنع

يقع على مسافة ٢٢ كم جنوب شرق محطة / المعظم بوادي وصول، عند دائرة خط ٣٣ ــ ٢٧ شمالاً و ٣٢ ــ ٣٧ شرقاً.

وهو أحد محطات سكة الحديد، ويشتمل على استراحة مشيدة بالحجر المشذب عام ١٣٢٥هـ، ويوجد حولها إثني عشر مبنى شيدت بدون مونة، كما يوجد مبنى متأخر في شمال غرب المحطة بنحو ٥ كم.

١٩ ــ البريكة

يقع جنوب شرق محطة خشم صنع بنحو ٢٨ كم بوادي وصول، ويشتمل على بركة قديمة هدم جزء منها بالاضافة إلى جدار تحويل الماء للبركة وقلعة صغيرة هدم جزء منها أيضاً كما عثر على بعض قطع الفخار الاسلامي.

٢٠ ــ دار الحمراء

يقع جنوب شرق محطة خشم صنع بنحو ٣١ كم، وعند دائرة ٢٠ ــ ٢٧ شمالاً و ٤٤ ــ ٣٧ شرقاً، وهو أحد محطات سكة الحديد، ويحتوي على مبنى استراحة السكة وهو مبني بالحجر في عام ١٣٢٦هـ وتحيط به ثلاثة مباني متأخرة وبعض الجدران، كما يوجد بعض المباني على مسافة ٥ كم جنوب شرق المحطة.

٢١ ــ مطالع

يقع جنوب شرق محطة دار الحمراء على نحو ٢٤ كم، عند دائرة خط ٠٨ ــ ٢٧ شمالاً و ١٩ ــ ٣٧ شرقاً. وهو إحدى محطات سكة الحديد، ويشتمل على مبنى استراحة السكة، وهو مشيد بالحجر المشذب في عام ١٣٢٥هـ، بالاضافة إلى ثلاثة مباني جنوب الاستراحة، وبعض المباني المشيدة فوق جبل بالأحجار، وعلى مسافة بنحو ١٠ كم شمال شرق الموقع.

٢٢ ــ أبو طاقة

يقع جنوب محطة مطالع بنحو ١٩ كم على فرع من وادي الحمضة، عند دائرة خط ٥٩ ــ ٢٦ شمالاً و ٤٧ ــ ٣٧ شرقاً.
وهو أحد محطات السكة الحديدية، ويحتوي على مبنى استراحة السكة، مشيد بالحجر المشذب في عام ١٣٢٥هـ، كما يوجد حولها بعض المباني.

٢٣ ــ مبرك الناقة (المزحم)

يقع جنوب محطة أبو طاقة بنحو ١٦ كم، عند دائرة خط ٥٤ ــ ٢٦ شمالاً و ــ ٣٧ شرقاً، وهو أحد محطات السكة الحديدية، ويحتوي على مبنى استراحة السكة من الحجر المشذب، كما توجد بعض الجدران جنوب المبنى.

٢٤ ــ مدائن صالح

من محطات درب الحاج الشامي الكبيرة، وتقع عند دائرة خط ٤٧ ــ ٢٦ شمالاً، ٥٣ ــ ٣٧ شرقاً. يحتوي على قلعة قديمة في وسطها بئر الناقة، كما توجد بركة قديمة وخمسة آبار مطوية بالأحجار، وعلى ستة عشر مبنى من مباني السكة الحديدية بنيت بالحجر المشذب.

٢٥ ــ العذيب

يقع جنوب محطة مدائن صالح بنحو ٩ كم بوادي العذيب، عند دائرة خط ٤٣ ــ ٢٦ شمالاً و ٥٢ ــ ٣٧ شرقاً.
وهو أحد محطات سكة الحديد، ويحتوي على مبنى استراحة السكة، مبني بالحجر المشذب، كما يوجد مبنى بالحجر فوق جبل على مسافة نحو ٢ كم شمال العذيب يعرف بموقع (قويع الترك).

٢٦ ــ عكمة

يقع جنوب محطة العذيب بنحو ٤,٥ كم بوادي العلا، وعند دائرة خط ٤٠ ــ ٢٦ شمالاً، ٥١ ــ ٣٧ شرقاً، ويشتمل على جدار يمتد عبر وادي العلا، وبعض الكتابات القديمة على الجبل، ومنابع عيون الماء تغذي مزارع العلا والخريبة.

٢٧ ــ خريبة العلا (مقابر الأسود)

تقع على مسافة ٢ كم جنوب موقع عكمة، وعند دائرة خط ٣٩ ــ ٢٦ شمالاً، ٥٢ ــ ٣٧ شرقاً، وتعتبر الخريبة من المحطات الكبيرة على درب الحاج حيث أنها تحتوي على العديد من المباني القديمة، وتحتوي على محلب الناقة، وهو حوض أسطواني الشكل حفر بالحجر، وعلى حافة جبالها توجد مقابر الأسود وهي مقابر حفرت بالصخر ونقش فوقها لوحات تمثل أسد واحد أو عدة أسود.

٢٨ ــ العــلا

تقع على بعد ٤ كم جنوب الخريبة بوادي العلا (القدي) عند دائرة خط ٣٧ ــ ٢٦ شمالاً، ٥٢ ــ ٣٧ شرقاً، وهي إحدى المحطات الكبيرة على درب الحاج الشامي، ويحتوي على مدينة كبيرة قديمة محاطة بجدار شمال المدينة عبر الوادي، كما أنها إحدى محطات السكة الحديدية، ويوجد بها عدة قنوات تمتد إلى عكمة حيث عيون الماء هناك، كما توجد قلعة وبها قبر موسى بن نصير فوق جبل مرتفع يتوسط البلدة القديمة (حي الديرة بالعلا).

٢٩ ــ المابيات / البدايع / مغيرة

تقع جنوب شرق العلا بنحو ١٦ كم عند دائرة خط ٣١ ــ ٢٦ شمالاً، و ٥٨ ــ ٣٧ شرقاً، وتشتمل على أطلال مدينة إسلامية تشتمل على بعض البقايا المعمارية، وتنتشر بها بعض قطع الفخار الاسلامي المبكر والتي ترجع إلى القرن الثالث والرابع الهجري، بالاضافة إلى بعض القطع الاسلامية الفخارية والزجاجية المتأخرة.

٣٠ ــ زمــرد

تقع شمال غرب محطة السكة الحديدية بنحو ٤ كم عند دائرة خط ١٣ ــ ٢٦ شمالاً و ١٨ ــ ٣٨ شرقاً.

وتتكون من قلعة مربعة يتوسطها فناء مكشوف به بئر مستطيل المقطع (٢ × ١م)، وبئر يقع شمال القلعة بنحو ٢٠م، قطره ٦م، وعمقه نحو ١١م، كما توجد بركة تقع جنوب شرق القلعة بنحو ٣,٥م وهي مستطيلة الشكل (١٧ × ١٥,٥م).

٣١ ــ بئر أبو حديد

يقع جنوب شرق قلعة زمرد بنحو ١٢ كم، وعند دائرة خط ٠٦ ــ ٢٦ شمالاً، ٢٤ ــ ٣٨ شرقاً، وهو عبارة عن بئر به قليل من الماء، قطره (٦م) وعمقه يصل لنحو (١٢م)، يعلو فوهتها قطع من أشرطة السكة الحديدية.

٣٢ ــ بئر ضاعــة

يقع عند دائرة خط ٠٨ ــ ٢٦ شمالاً و ٢٥ ــ ٣٨ شرقاً، وهو عبارة عن بئر مهجورة قطرها ١٢م وعمقها نحو ٢٠م، وهي غير مجلدة بالأحجار.

٣٣ ــ الصــورة

تقع عند دائرة خط ٠٠ ــ ٢٦ شمالاً و ٣٢ ــ ٣٨ شرقاً، وتشتمل على قلعة مربعة الشكل طول ضلعها ٢١م، وبئر، وبركة مربعة ينزل إلى قاعها بواسطة درج.

٣٤ ــ هـديــة

تقع شرق محطة السكة الحديد بنحو ٣ كم عند دائرة خط ٣٥ ــ ٢٥ شمالاً، ٤٤ ــ ٣٨ شرقاً، وتوجد بها قلعتان الأولى مربعة وغير متكاملة (مهدمة) والثانية مستديرة.

٣٥ ــ بئر الظعيني

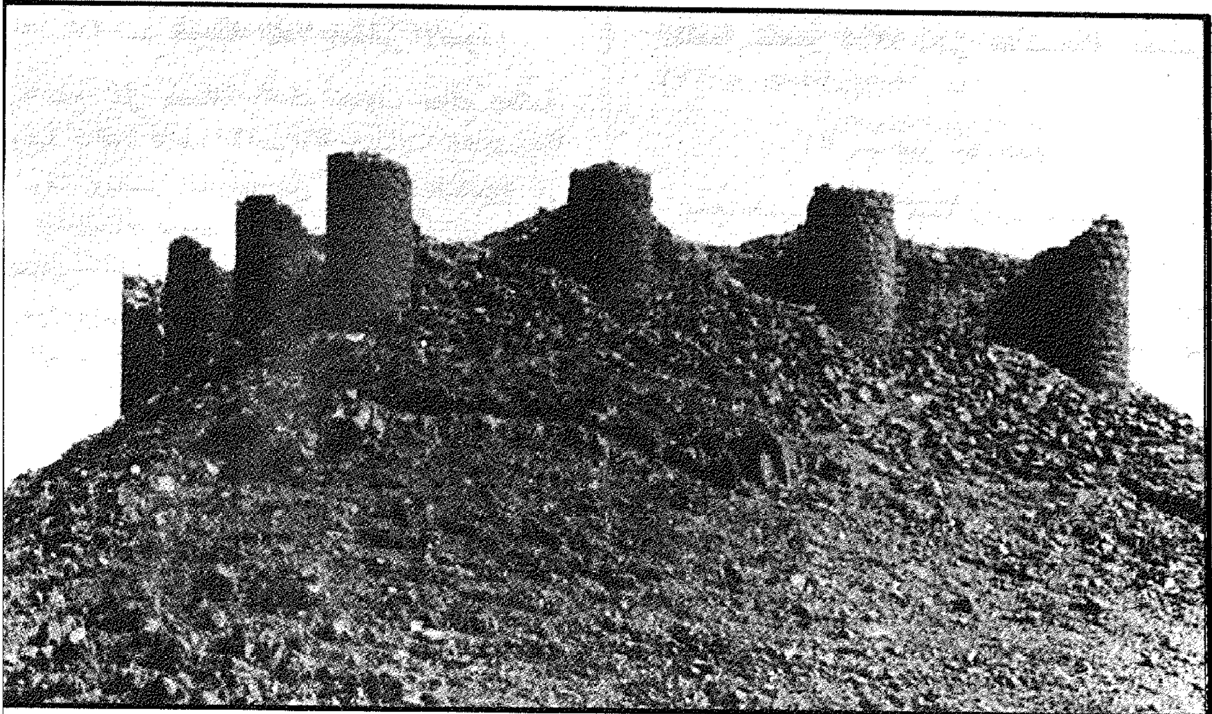
يقع غرب امارة المندسة بنحو ١ كم، وغرب الحفيرة بنحو ٩ كم، عند دائرة خط ٣٧ ــ ٢٤ شمالاً و ١٨ ــ ٣٩ شرقاً، وهو عبارة عن بئر مردومة قطرها ٨ م وعمقها ١ م، وأساسات بركة مستطيلة المقطع حوالي ٢٧ × ١٨م.

٣٦ ــ الحفيــرة

تقع عند دائرة خط ٣٦ ــ ٢٤ شمالاً و ٢٢ ــ ٣٩ شرقاً، بها قلعة مربعة، طول ضلعها ٢١ م.

٣٧ ــ جزاعــة

تقع عند دائرة خط ٢٢ ــ ٢٥ شمالاً، ٤٨ ــ



□ موقع عسفان: منظر لقلعة عسفان باتجاه الجنوب.

٣٨ شرقاً، وتشتمل على بقايا معمارية تنتشر في مساحة (١٠٠م × ٥٠م) يوجد فيها حوض للمياه مستطيل (٨ × ٤م).

٣٨ ــ شجوى

وهي إحدى المحطات الهامة للقوافل التجارية وقوافل الحجاج، وتقع عند دائرة خط ٠٩ ــ ٢٥ شمالاً، ٥٩ ــ ٣٨ شرقاً، وتشتمل على قلعة مربعة طول ضلعها ٢٤ م، تركية الطراز.

٣٩ ــ جبل المدرج

يقع شمال شرق البوير بنحو ٦ كم عند دائرة خط ٥٧ ــ ٢٤ شمالاً، ٠٧ ــ ٣٩ شرقاً، ويشتمل على أرضية مرصوفة بأحجار نارية سوداء، يحد جانبها الشرقي حائط بسمك ٠.٨٠ م، وفي شمالها بنحو ٧٠ م توجد بقايا معمارية، ترتفع عن مستوى سطح الأرض بنحو ٢ م وتقع في مساحة (١٨ × ٤م).

٤٠ ــ الحمراء

تقع عند دائرة خط ٥٥ ــ ٢٤ شمالاً و ٠٨ ــ ٣٩، شرقاً وتشتمل على بقايا معمارية لجدران وقنوات مغطاة بقطع من الأحجار في بعض المناطق تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي لمسافة ١٢٠٠ م.

٤١ ــ آبار نصيف (المليليح)

تقع عند دائرة خط ٥٠ ــ ٢٤ شمالاً و ١٢ ــ ٣٩ شرقاً وبها قلعة مربعة طول ضلعها (٢١.٢٠م).

٤٢ ــ آبار علي / ذو الحليفة

جنوب غرب حي أبيار علي الحالي بنحو ٧ كم، وتقع عند دائرة خط ٢٤ ــ ٢٤ شمالاً، ٣٢ ــ ٣٩ شرقاً، وهي تشتمل على بئر مستدير قديم قطره ٣.٥ م، وعمقه نحو ١٠ م يتصل بها من الناحية الجنوبية مساحة مستطيلة (٦ × ٤ م)، ومن الناحية الشمالية بئر مستطيل (٣ × ٢.٥ م)، وتخرج من ركنه الشمالي الغربي قناة مجلدة بالجص طولها نحو ٣ م.

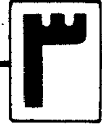
٤٣ ــ بئر عثمان

يقع حالياً داخل مشتل وزارة الزراعة والمياه بالمدينة المنورة، وكان يعرف قديماً باسم بئر رومة، ويقع عند دائرة خط ٣١ ــ ٢٤ شمالاً و ٣٦ ــ ٣٩ شرقاً قطره ٤ م وعمقه نحو ٢٠ م

يتصل به من الجهة الجنوبية درج (متهدم حاليا) كان ينزل به إلى قاع البئر، ومن الجهة الشمالية توجد بقايا لقناة، أما من الجهة الغربية من البئر وعلى مسافة نحو ٥ م توجد بركة قديمة مربعة الشكل، طول ضلعها ٨ م وعمقها ٠.٧٥ م تخرج منها قناة من ضلعها الشمالي.

٤٤ ـ الروبخيـة

تقع شمال المدينة بنحو ٥ كم، عند دائرة خط ٣١ ـ ٢٤ شمالاً، ٣٥ ـ ٣٩ شرقاً، وهي تتكون من بئر على شكل نصف دائرة (القطر نحو ٤ م)، يوجد في شماله مباشرة حوض مربع الشكل (٢ × ٢ م)، ثم يأتي حوض آخر قليل المساحة (٠.٦٠ م × ٠.٦٠ م) يخرج منه قناة بطول ١٨ م تؤدي إلى بركة مربعة (٨ × ٨م) تخرج منها قناة بعرض ٠.٥٥م مبطنة بالجص بالجهة الغربية للبركة. وجنوب غرب البركة مباشرة توجد حجرة مستطيلة الشكل (٧ × ٣.١٠ م). كما يوجد بئر آخر غرب بئر الرنجية بنحو ١ كم يعرف ببئر المناخ إلا أنه مردوم ومهجور قطره ٣.٧٠ م وعمقه يصل لنحو ١٠م ويتصل به حوض (٢ × ١.٥ م)، تتصل به قناة.



درب الحاج بين ينبع البحر والمدينة المنورة

١ ـ بئر فريج الحازمي

يقع شمال غرب بدر حنين بنحو ٢٠ كم، عند دائرة خط ٥٣ ـ ٢٣ شمالاً و ٤١ ـ ٣٨ شرقاً، وهو عبارة عن بئر مطوي بالأحجار السوداء ومونة جيرية قطره ٥.٢٠ م، واتساع فوهته ٢ م وعمقه ٢٠ م وبه ماء، ويرتفع عن مستوى سطح الأرض بنحو ٠.٤٥ م. وتتصل به ثلاثة أحواض صغيرة، ويعلوه دعامتين مسلحتين مقام عليهما عارضة حديدية بها بقايا أحبال الدلو.

٢ ـ بئـر سعيـد

شمال غرب بدر حنين بنحو ٢٢ كم، عند دائرة خط ٥٥ ـ ٢٣ شمالاً ٤١ ـ ٣٨ شرقاً. ويتكون الموقع من بئرين مشيدين بالأحجار وبقايا معمارية تنتشر في ثلاثة مناطق، ترتفع عن مستوى سطح الوادي بنحو ١ م وهي بقايا دكاكين وحجرات مساحة الواحدة منها في المتوسط ٣ × ٢.٥ م، وسمك جدرانها يصل لنحو ٠.٩٠ م، ويبدو أن هذه الوحدات كانت تغلق بأبواب من جذوع النخيل، تربط بينها أفرع أشجار مثبتة بمسامير حديدية، كما تشتمل هذه الوحدات على فتحات للتخزين.

٣ ـ بئر واسط (البئر السلطاني)

شمال غرب الحمراء بنحو ١٦ كم، عند دائرة خط ٠٢ ـ ٢٤ شمالاً، ٤٥ ـ ٣٨ شرقاً، ويتكون الموقع من بئر ضخم مشيد بالأحجار البركانية والجرانيتية (قطر الفوهة ٧.٦٠ م وعمقه ١٦ م) ويتصل به درج في الجهة الجنوبية وخزان مياه حديث بالجهة الشرقية، هذا إلى جانب بركة مشيدة بالطوب الآجر (المشوي) مثلثة الشكل، وقلعة جنوب غرب البئر بنحو ٢٠٠ م على هضبة متوسطة الارتفاع، وهي مشيدة من الأحجار الجرانيتية التي تربط بينها مونة من الرمل والجص، وهي مستطيلة الشكل (١٤ × ١٢ م) ويوجد شرق القلعة بقايا لقنوات محددة بألواح رقيقة من الأحجار تمتد لنحو ١٠٠ م (وهي مرممة حديثاً).

٤ ـ بئر أبو حصـاني

جنوب شرق بدر حنين بنحو ١٩ كم، عند دائرة خط ٤٢ ـ ٢٣ شمالاً و ٥٨ ـ ٣٨ شرقاً، وقوامها مسجد متوسط المساحة ٢٥ × ١٧.٧٠ م وبئر قطره ١.٨٠ م يتصل به حوض صغير لشرب الدواب إلى جانب مستوطنة سكنية كبيرة تشتمل على نحو ٣٠٠ وحدة معمارية عن حجرات مختلفة المساحات ودكاكين أو مخازن ومكان للسمر والراحة فضلاً عن ثلاثة مباني حديثة، كانت تستخدم كمخفر للشرطة إلى وقت قريب.

٥ ــ آبــار الشيــخ

جنوب شرق بدر حنين بنحو ٣١ كم، عند دائرة خط ٣٠ ــ ٢٣ شمالاً و ٥٦ ــ ٣٨ شرقاً، وتشتمل على بئرين وبعض الوحدات المعمارية التي تقع في مساحة مستطيلة (١٠٠ × ٥٠ م).

٦ ــ بئــر درويــش

جنوب شرق بدر حنين بنحو ١٩ كم، عند دائرة خط ٤٠ ــ ٢٣ شمالاً و ٥٤ ــ ٣٨ شرقاً، وهو بئر مشيد من الأحجار الجرانيتية والبازلتية والمونة الرملية والطينية، اتساع قطره وسمك جدارنه ١,٦٠ م وعمقه يصل لنحو ٢٠ م.

٧ ــ بينــة

جنوب شرق بدر حنين بنحو ٢٢ كم، وجنوب غرب بئر درويش بنحو ٥ كم بوادي بينة الذي يصب بوادي المعرج، عند دائرة خط ٣٧ ــ ٢٣ شمالاً، ٥٣ ــ ٣٨ شرقاً.

وهو عبارة عن بئر قطره ٦ م واتساع فوهته ٤,٢٠ م وسمك جدرانه ٠,٩٠ م، ويرتفع عن مستوى سطح الوادي بنحـو ٧٠ سم، وعمقه يصـل لنحـو ٢٠ م، وهـو مشيـد بـالأحجـار الجرانيتية، ومرمم حديثاً.

٨ ــ البديــع

تقـع عند دائـرة خط ٠٢ ــ ٢٤ شمـالاً، و ٠٣ ــ ٣٩ شرقاً وتشتمل على بركة مربعة الشكل طول ضلعها ٣٢ م يتصل بها مجرى ماء.

٩ ــ بئر الروحــاء

تقع شرق المسيجيد بنحو ٨ كم، عند دائرة خـط ٠٦ ــ ٢٤ شمالاً و ١٠ ــ ٣٩ شـرقاً، ويشتمل على بئر قطره ٣,٨٠ م وبركة مستطيلة الشكل (٢٧ × ١٨ م) يتصل بها من الضلع الشرقي قناة للمياه عرضها ٠,٤٥ م.

١٠ ــ بئر عبــاس

تقع شرق الصفراء بنحو ١٦ كم، عند دائرة خط ٠٤ ــ ٢٤ شمالاً و ٠٥ ــ ٣٩ شرقاً وبها بئر وقلعة تركية الطراز، مربعة الشكل، طول ضلعها ٤٧ م.

١١ ــ آبـار الغنم

تقع جنوب شرق المسيجيد بنحو ٢١ كم عند دائرة خط ٤٣ ــ ٢٣ شمالاً و ٠٧ ــ ٣٩ شرقاً، وتتكون من بئر قطره ٣,٨٠ م وعمقه يصل لنحو ٢٠ م، ويتصل به من الجهة الشمالية الشرقية حوض للمياه (١,٥٠ × ٠,٧٠ م)، كما يوجد حوض آخر مستدير الشكل، على حافة البئر غير عميق، ويتصل به مجرى ضيق لتصريف المياه، كما توجد وحدات معمارية جنوب شرق البئر قوامها حجرات أو دكاكـين مستطيلة المساحة (٣ × ٦ م) في المتوسط.

١٢ ــ الشفيــة

تقع جنوب شرق المسيجيد بنحو ٣١ كم عند دائرة خط ٤٨ ــ ٢٢ شمالاً و ٠٩ ــ ٣٩ شرقاً وتتكون من ثلاثة آبار مشيدة بالأحجار النارية والجرانيتية التي تربط بينها مواد الجص والرمل والطين، ويوجد جنوب هذه الآبار مجموعة من الوحدات المعمارية (دكاكـين) تقع في مسـاحة ٨٠ × ١٠ م، وفي الجهة الشمالية الغربية لهذه الآبار خمسة دكاكين تقع في مساحة ٣٠ × ٢٠ م.

١٣ ــ بئر درويش بالفريش القديمة

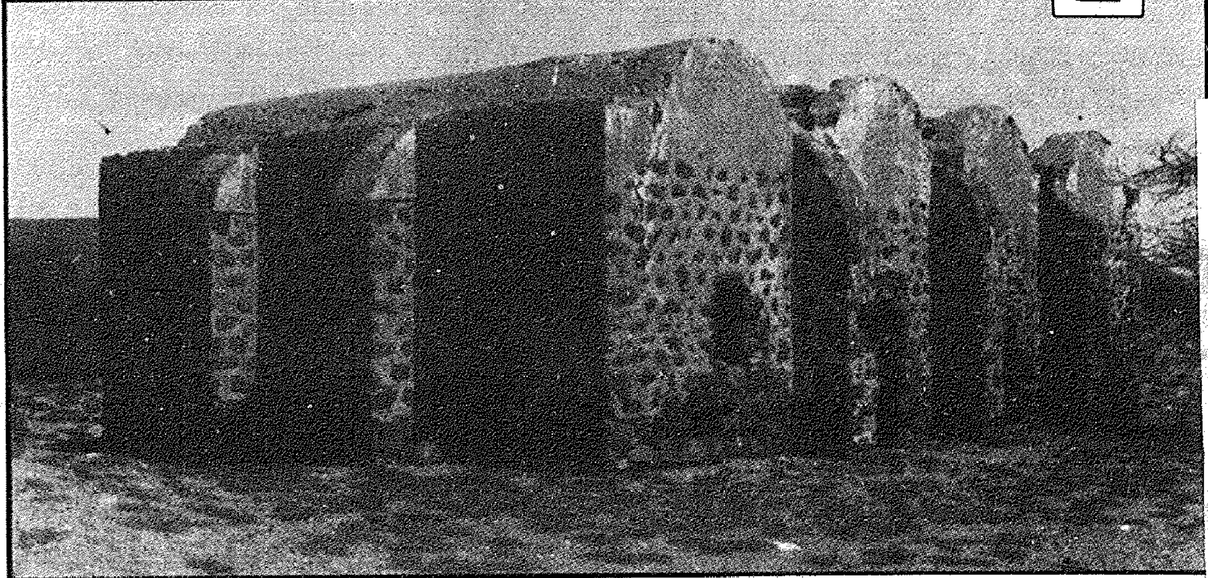
تقع شمال شرق المسيجيد بنحو ٧ كم، عند دائرة خط ١٣ ــ ٢٤ شمالاً و ١٣ ــ ٣٩ شرقاً، وتشتمل هذه المحطة على بئر يتصل به حوضان وقناة، وفي الشمال الغربـي بنحو ١٥٠ م يوجد بئر آخر قديم معاد بنائه قطره ٢ م يتصل به من الجهة الشمـالية الغـربية والجنـوبية الشرقية حوضين صغيرين، وشمال هذا البئر بنحو ٣٠٠ م يوجد بئر ثالث قطره نحو ٦ م ويحيط به سور من المباني الحديثة، وشرقه أيضاً بنحو ١٥٠ م يوجد بئر آخر قطره ٤ م، وإلى الغرب من البئر أيضاً بنحو ٢٠٠ م، وتوجد بقايا وحدات معمارية قوامها غرف ودكاكين ومقاهي قديمة.

١٤ ــ المفرحــات

تقع جنوب غرب أبيار علي بنحو ٢٢ كم عند دائرة خط ٢٣ ــ ٢٤ شمالاً و ٢١ ــ ٣٩ شرقاً،

وتشتمل على بقايا معمارية تضم أربع حجرات وسقيفة (قهوة)، وفي الجنوب الغربي لهذه البقايا المعمارية توجد بئر معاد بنائها. وإلى الغرب من البقايا أيضاً لنحو ٢ كم توجد آبار سفيان وعددهم خمسة، كما توجد بقايا جدران لحجرتين، وبالقرب منها أساس لمسجد صغير

٤ درب الحاج بين بئر الغنم ومكة المكرمة



□ مسجد الروضة شمال الجموم.

١ ـ بئر الغنم

يقع جنوب شرق محطة المسيجيد بنحو ١٨ كم، وعند دائرة خط ٥٥ ـ ٢٣ شمالاً و ٠٧ ـ ٣٩ شرقاً، وبها بئر مطوي وبقايا معمارية والعديد من كسر الفخار الاسلامي.

٢ ـ الوطية ـ بيدعة

يقع على مسافة ٢١ كم جنوب شرق بئر الغنم بوادي الجي، عند دائرة خط ٤٦ ـ ٢٣ شمالاً، ١٥ ـ ٣٦ شرقاً، ويحتوي على بعض المباني المشيدة بالحجر، وبئر مطوي به ماء على عمق ١٠ م، كما يوجد بئر مطوي آخر يدعى بئر الرصفة، على مسافة ١,٥ كم جنوب الوطية وبنفس الوادي.

٣ ـ بئر الحفاء

يقع على مسافة ٦ كم جنوب شرق موقع بئر الوطية بوادي القحا، وعند دائرة خط ٤٤ ـ ٢٣ شمالاً و ١٦ ـ ٣٩ شرقاً.

ويحتوي على وحدات معمارية بنيت بالحجر وبئرين مطويين، وجنوب الموقع بنحو ١,٥ كم وبنفس الوادي بئر يعرف باسم بئر النقوية وهو مطوي بالأحجار، وحوض دائري صغير وبئر مندفنة وخمسة مباني، كما يوجد بئر آخر مطوي جنوب بئر النقوية بنحو ٣,٥ كم يعرف باسم بئر الجيحيجة.

٤ ـ بئر فيضي

يقع جنوب محطة الحفاء بوادي القحا بنحو ١١ كم، عند دائرة خط ٣٨ ـ ٢٣ شمالاً، ١٧ ـ ٣٩ شرقاً، ويحتوي على بئر مطوي وبعض الوحدات المعمارية مشيدة بالحجر.

٥ ـ عليان (طليسان)

يقع جنوب موقع بئر فيضي بنحو ٩ كم، وعند دائرة خط ٣٣ ـ ٢٢ شمالاً، ١٧ ـ ٣٩ شرقاً، ويحتوي الموقع على بئر مطوي وبعض الوحدات المعمارية المشيدة بالحجر.

٦ ــ بئر صالح

يقع جنوب غرب موقع عليان بوادي المياه، عند دائرة خط ٢٩ ــ ٢٣ شمالاً، ١٥ ــ ٣٩ شرقاً، ويحتوي على بئر وبعض الوحدات المعمارية المبنية بالحجر، وعلى مسافة ٢ كم جنوب الموقع يوجد حجر كبير (ويدعى صغنون) وهو على الدرب.

٧ ــ أم البرك (قرية)

تقع عند دائرة خط ٢٥ ــ ٢٣ شمالاً، ١٣ ــ ٣٩ شرقاً، وتشتمل على بركة صغيرة تتصل بها قناة إلى جانب بعض الوحدات المعمارية المبنية بالأحجار، كما توجد بعض الكسر الفخارية الاسلامية.

٨ ــ الثبرة

يقع جنوب محطة أم البرك (قرية) بنحو ١٠ كم بوادي القحا، عند دائرة خط ٢٠ ــ ٢٣ شمالاً و ١٣ ــ ٣٩ شرقاً. ويحتوي على عين قديمة، جافة حالياً، وبعض الوحدات المعمارية المبنية بالحجر.

٩ ــ بستان

يقع جنوب موقع الثبرة بنحو ٩ كم في وادي القحا، عند دائرة خط ١٦ ــ ٢٣ شمالاً، ١٢ ــ ٣٩ شرقاً ويحتوي على ستة آبار، كما توجد بعض الأساسات الحجرية على بعد ٣ كم شمال بستان، وتدعى ياي.

١٠ ــ بئر مبيرك

يقع جنوب غرب بستان بنحو ١١ كم في وادي القحا، وعند ملتقى وادي فرع وادي النخيل بوادي القحا، وهو عبارة عن بئر مطوي قطره ٥ م، وبه ماء إلى جانب بعض الوحدات المعمارية المشيدة بالحجر، بالاضافة إلى بعض كسر الفخار الاسلامي.

١١ ــ الأبواء

يقع على مسافة ٣ كم جنوب غرب موقع بئر مبيرك بوادي الأبواء، وعند دائرة خط ٠٨ ــ ٢٣ شمالاً، ٠٨ ــ ٣٩ شرقاً، ويحتوي على قنوات وعيون ماء قديمة وبئر مطوي، كما يوجد قبر أم النبي محمد عليه الصلاة والسلام على مسافة ١٤ كم جنوب غرب الأبواء فوق أحد الجبال.

١٢ ــ قبيلة

يقع على مسافة ٥ كم جنوب غرب الأبواء، وعند دائرة خط ٠٦ ــ ٢٣ شمالاً، ٠٧ ــ ٣٩ شرقاً، ويشتمل على العديد من الوحدات السكنية المبنية بالحجر وبئرين مطويين ومسجد مرمم.

١٣ ــ حرشة

يقع على مسافة ٩ كم جنوب شرق موقع قبيلة في وادي هرشة، عند دائرة خط ٠١ ــ ٢٣ شمالاً، ٠٨ ــ ٣٩ شرقاً، ويحتوي على حوض ماء مسقوف مرمم، ووحدات معمارية بنيت بالحجر ومسجد قديم وآخر حديث.

١٤ ــ عليا ــ حصن الجفا

يقع على مسافة ٣٢ كم جنوب موقع هرشة، وعلى مسافة ١٢ كم جنوب شرق مدينة رابغ، وعند دائرة خط ٤٥ ــ ٢٢ شمالاً و ٠٧ ــ ٣٩ شرقاً، ويحتوي على حصن مربع طول ضلعه ٢٠ م، ويحيط به بعض الوحدات المعمارية المبنية بالحجر والجص، كما توجد بعض كسر من الفخار الاسلامي.

١٥ ــ بئر الجفا

يقع على مسافة ٤ كم جنوب شرق موقع عليا بوادي الحيق، وعند دائرة خط ٤٣ ــ ٢٢ شمالاً، ٠٧ ــ ٣٩ شرقاً، ويحتوي على بئرين مطويين وبعض الوحدات المعمارية المشيدة بالأحجار، إلى جانب مسجد حديث.

١٦ ــ حمد السبيل

يقع على مسافة ٢٢٫٥ كم جنوب شرق بئر الجفا، وعند دائرة خط ٣٠ ــ ٢٢ شمالاً، ١٢ ــ ٣٩ شرقاً ويشتمل على حوض ماء صغير وبعض الوحدات المعمارية المبنية بالحجر ومقبرة إسلامية.

١٧ ــ ثنية خليص

يقع على مسافة ٣٣ كم جنوب شرق موقع

صمد السبيل، وعند دائرة خط ١٣ ــ ٢٢ شمالاً، ١٩ ــ ٣٩ شرقاً ويحتوي على بعض الوحدات المعمارية المبنية بالحجر فوق كثبان الرمل، وجدارين متوازيين يحصران بينهما مسافة تبلغ نحو ٢٥ م.

١٨ ــ عسفان

تقع عند خط ٥٥ ــ ٢١ شمالاً، ٢١ ــ ٣٩ شرقاً وتحتوي على قلعة وأربعة آبار مطوية بالحجر إلى جانب بعض الوحدات المعمارية المبنية بالحجر وبعضها باللبن.

١٩ ــ المصينع

يقع على مسافة ١١ كم جنوب شرق عسفان بوادي السوقة، وعند دائرة خط ٥٠ ــ ٢١ شمالاً و ٢٥ ــ ٣٩ شرقاً، ويحتوي على بعض الوحدات المعمارية المبنية بالحجر.

٢٠ ــ المحيسنة

يقع على مسافة ١٤ كم جنوب شرق موقع المصينع، وعلى مسافة ٢٥ كم جنوب شرق محطة عسفان، وعند دائرة خط ٤٥ ــ ٢١ شمالاً، ٣١ ــ ٣٩ شرقاً ويحتوي على بئر مطوي وبجانبه حوض صغير للماء.

٢١ ــ الجموم

تقع عند دائرة خط ٣٦ ــ ٢١ شمالاً، ٤١ ــ ٣٩ شرقاً وتشتمل على بعض المباني والمساجد المرممة والمستغلة حالياً مثل مسجد الفتح ومسجد أبو عروة ومسجد الروضة وبعض الآبار المطوية بالحجر مثل بئر أبو عروة.

٢٢ ــ قبر أم المؤمنين (ميمونة)

يقع على مسافة ٩,٥ كم جنوب شرق الجموم، وعند دائرة خط ٣٤ ــ ٢١ شمالاً، ٤٦ ــ ٣٩ شرقاً. ويحتوي على قبر أم المؤمنين (ميمونة) إحدى زوجات النبي محمد صلوات الله عليه وسلم، كما يوجد بناء قد يكون بئر مطوي وبعض المباني القديمة.

٢٣ ــ الزهراء (الشهداء)

يقع جنوب شرق الجموم بنحو ٢٨ كم، وعلى مسافة ٥ كم شمال مكة المكرمة، وعند دائرة خط ٢٩ ــ ٢١ شمالاً و ٤٧ ــ ٣٩ شرقاً، ويحتوي على بعض الوحدات المعمارية المشيدة بالحجر.

٢٤ ــ الفاجة

تقع على مسافة ١٤ كم شمال شرق محطة الجموم بوادي علف، وعند دائرة خط ٤٣ ــ ٢١ شمالاً، ٤٥ ــ ٣٩ شرقاً.

وهي من المحطات الكبيرة، وتحتوي على بركة دائرية، طول قطرها ١٠٠ م، وهي أكبر ما تم مشاهدته في دروب الحاج بما في ذلك درب زبيدة، وهي مشابهة إلى برك درب زبيدة في البناء ولكن بدون دعائم داخلية أو خارجية، ويتوسطها أسطوانة، ويحيط بها جدار مربع وفي زاويته الجنوبية دعامة خارجية، هذا إلى جانب بعض المباني والقنوات. ●

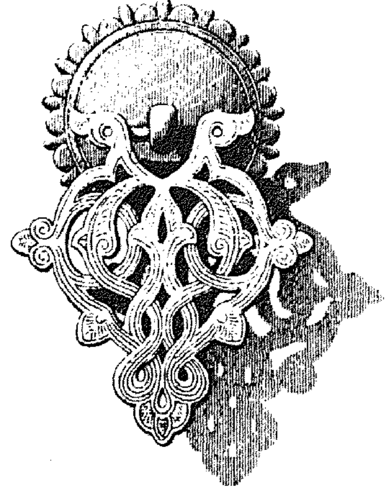
● المقالة من مجلة «أطلال» العدد (٧) ١٩٨٣.



«...فليعصم الجيل الجديد نفسه من الغرور، لأنه ظلام يحجب حقائق الأشياء، وليخرج من هذا الظلام إلى النور مفتوح العينين، فيرى الطريق السوي. ومن رأى الطريق السوي استطاع أن يصل وإن طالت المسافة وشق المسير».

عباس محمود العقاد

تاريخ الدواوين في العصور الإسلامية



■ خالد بن محمد القاسمي

«ماهية الديوان وأنواع الدواوين ونشأتها»[1]

ماهية الديوان



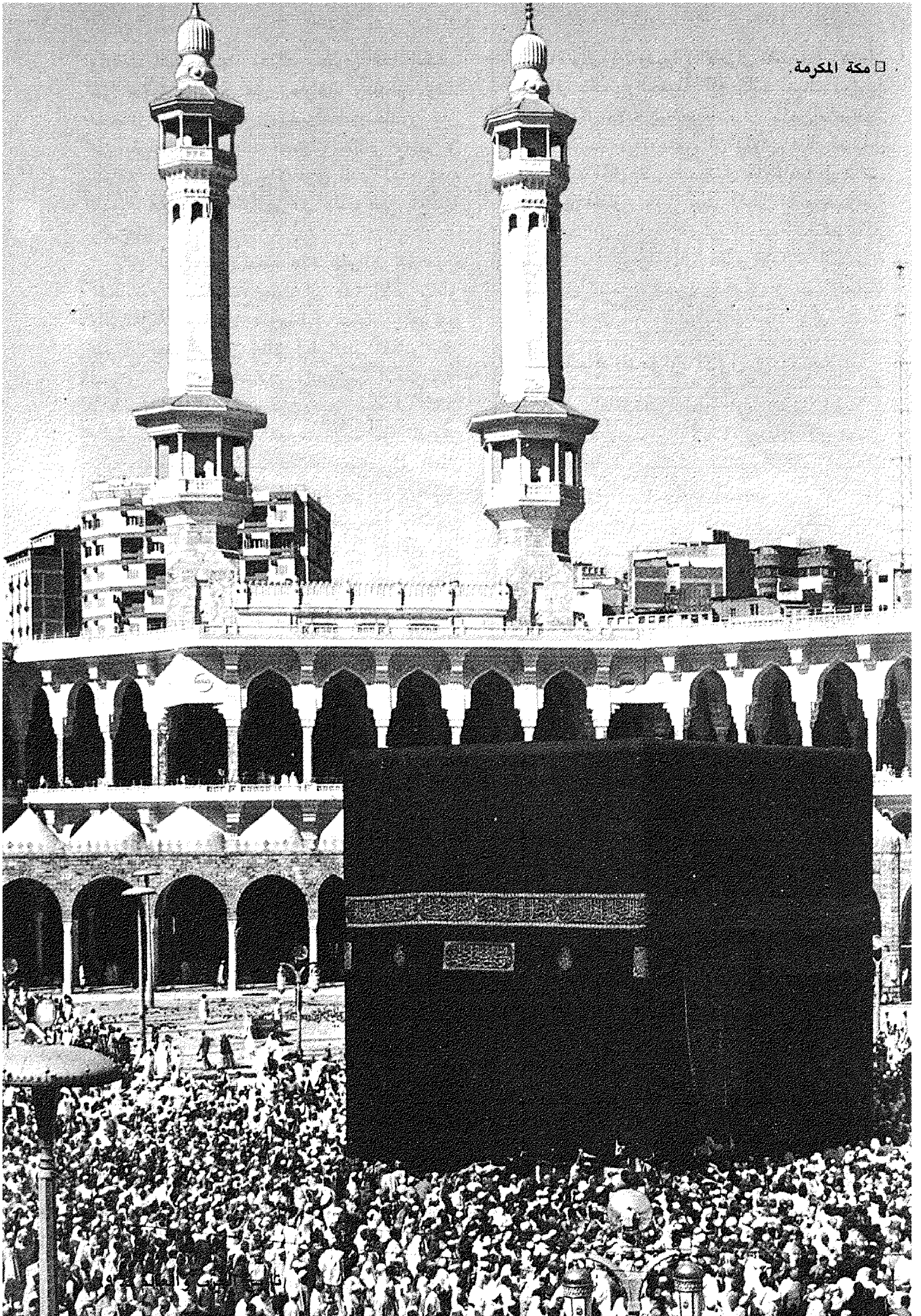
ذكر القلقشندي: أن الديوان «اسم للموضع الذي يجلس فيه الكتّاب وهو بكسر الدال، وأصله دوّان فأبدلت إحدى الواوين ياء فقيل ديوان، ويجمع على دواوين، واختلف في أصله فذهب قوم إلى أنه عربي.

ويعرف الماوردي الديوان بقوله «الديوان موضع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال، والأموال، ومن يقوم بها من الجيوش والعمال».

ويقول محمد كرد علي «الديوان الدفتر أو مجتمع الصحف، والكتاب يكتب فيه أهل الجيش وأهل العطية... وأطلق بعد حين على جميع سجلات الحكومة وعلى المكان الذي يجلس فيه القائمون على هذه السجلات والأضابير والطوامير»، وذكر الكتاني أن الديوان: «دفتر يكتب فيه أسماء العطاء والعساكر على القبائل والبطون».

أما ابن خلدون فلقد ذكر عند كلامه عن ديوان الأعمال والجبايات ما يلي: «أعلم أن الوظيفة، أي هذه الوظيفة، من الوظائف الضرورية للملك، وهي القيام بأعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة في الداخل والخارج (أو الدخل والخرج) وإحصاء العساكر بأسمائهم، وتقرير أرزاقهم، وصرف أعطياتهم في إبانتها، والرجوع في ذلك إلى القوانين التي يرتبها قومه تلك الأعمال وقهارمة الدولة وهي كلها مسطورة في كتاب شاهد بتفاصيل ذلك في الدخل والخرج مبني على جزء كبير من الحساب لا يقوم به إلا المهرة من أهل تلك الأعمال، ويسمى ذلك الكتاب بالديوان، كذلك مكان جلوس العمال المباشرين لها».

يستخلص مما سبق أن لفظ الديوان يطلق على الكتاب الذي يحوي مجموعة القوانين التي تنظم علاقة الدولة برعاياها من حيث حقوقهم المالية،



□ مكة المكرمة.

وأوقات استحقاقها، وكذلك يحتوي هذا الكتاب على حقوق الدولة على رعاياها، ومقدار ووقت تحصيل هذه الحقوق، ويخبرنا ابن خلدون بأن من يقوم بإعداد هذا الديوان والذي يعتبر في الواقع الدستور المالي والاداري الذي تسير عليه الدولة هم أئمة المفكرين في النواحي المالية وغيرها.

وأن الذي يتولى تنفيذ هذه القوانين هم مهرة المحاسبين، والكتاب، حيث إن هذا الأمر يتعلق بالدولة فلا يستعان بمتوسطي المهارة أو غيرهم، على أن لفظ الديوان يطلق أيضاً على المكان الذي يحتوي على السجلات والدفاتر الحكومية، والأشخاص الذين يعملون فيها، ويعرف كاتب مادة «ديوان» في دارة المعارف الإسلامية الديوان بأنه «سجلات الحساب العامة» ويذهب إلى القول بأن هذه الكلمة مشتقة من كلمة إيرانية، ويضيف بأن كلمة ديوان في العربية والفارسية والتركية تدل أيضاً على مجموعة قصائد شاعر من الشعراء، كما يدل لفظ ديوان أيضاً على بناء كبير يجبى فيه المكوس وينزل به الأغراب، ويستعمل أيضاً مخزناً للبضائع، وداراً للمقاصة، ومن ثم فإن هذه الكلمة ترادف في الواقع كلمة خان وهي تستعمل بهذا المعنى خاصة في المغرب . ويذكر كثير من المؤرخين والمصنفين أن سبب تسمية الديوان ترجع إلى وجهين: أحدهما: أن كسرى اطلع ذات يوم على كتّاب ديوانه، فرآهم يحسبون مع أنفسهم فقال ديوانه أي مجانين فسمي موضعهم بهذا الاسم ثم حذفت الهاء تخفيفاً فقيل ديوان. والثاني: أن الديوان بالفارسية اسم للشياطين فسمي الكتاب باسمهم لحذقهم بالأمور وقوتهم على الجلي والخفي وجمعهم لما شذ وتفرق، ثم سمي مكان جلوسهم باسمهم فقيل ديوان.

ديوان المال

وينبغي التفريق بين الديوان بصورة عامة، وديوان المال، فالديوان لم يكن أول الأمر إلا سجلاً أو سجلات تدون فيها البيانات الخاصة بهذه أو تلك من نواحي الإدارة، فديوان الجند، هو سجل الجند المقيدين الذين تجب عليهم الخدمة العسكرية، وما يستحق لهم من العطاء والرزق، وديوان الأموال تقيد فيه الأموال وما إلى ذلك، والحقيقة أنه كانت هناك دواوين أموال، لكل ولاية إسلامية ديوان خاص بأموالها. كذلك لا بد من توضيح أن ديوان المال لم يحل محل بيت المال، لأن بيت المال ظل قائماً إلى جانب ديوان المال، ولأن بيت المال هو خزانة — أو خزائن — المال، وكان الخليفة يحتفظ به في مقره، أما ديوان المال فهو الادارة الخاصة بتسجيل الدخل والخرج ولم يكن في بيت الخليفة وإنما كان في الغالب أن يكون بيت الوزير.

نشأة الديوان الأول في الاسلام

يذكر القلقشندي: «أن أول ديوان وضع في الإسلام هو ديوان الانشاء. وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكاتب أمراءه وأصحاب سراياه، ويكاتبونه وكتب إلى من قرب من ملوك الأرض يدعوهم إلى الاسلام... وكتب كتاب القضية بعقد الهدنة بينه وبين قريش عام الحديبية وكتب الأمانات أحياناً... وهذه المكتوبات كلها متعلقها ديوان الانشاء بخلاف ديوان الجيش فإن أول من وضعه ورتبه أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب، على أن القضاعي قد ذكر في تاريخه «عيون المعارف» أن الزبير بن العوام وجهيم بن الصلت كانا يكتبان للنبي صلى الله عليه وسلم أموال الصدقات، وأن حذيفة بن اليمان كان يكتب له خرص النخل، وأن المغيرة بن شعبة، والحصين بن نمير كانا يكتبان المداينات والمعاملات، فإن صح ذلك فتكون هذه الدواوين أيضاً قد وضعت في زمانه صلى الله عليه وسلم إلا أنها ليست من الشهرة وتواتر الكتابة في زمانه صلى الله عليه وسلم كما تقدم من متعلقات ديوان الإنشاء».

ويذكر المقريزي: «أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس فكتبنا له ألفاً وخمسمائة رجل، ذكره البخاري في باب كتابه الإمام الناس وللبخاري من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني أكتتبت في غزوة كذا وكذا وامرأتي حاجة، قال، ارجع فأحجج مع امرأتك».



□ دمشق

غير أن الجهشياري يذكر في كتابه «الوزراء والكتّاب» وكان عمر أول من دون الدواوين من العرب في الإسلام . ويتفق معه الماوردي، وكثير من المؤرخين، والحقيقة أن ما ذكره القلقشندي لا يتعارض مع ما ذكره الجهشياري وغيره، فالقلقشندي بعد أن أورد الخطابات والرسائل والمعاهدات... ذكر أن هذه الأشياء متعلقها ديوان الانشاء ــ أي ديوان الرسائل والمكاتبات حيث أنه لم يعرف بهذه التسمية إلا في عهد الفاطميين ــ ولكن ليس معنى هذا أن الديوان كان موجوداً، إذ لم يرد ما يثبت وجود صور للخطابات والرسائل التي أرسلت، هذا بالاضافة إلى أن القلقشندي يعتبر من المتأخرين بالنسبة لغيره ممن ذكرت، وعلى ذلك فإن أول ديوان وضع في الإسلام هو ما وضعه سيدنا عمر بن الخطاب وقد اختلف المؤرخون في سبب نشأة أول ديوان في الاسلام، فلقد ذكر الماوردي «واختلف الناس في سبب وضعه له، فقام قوم سببه أن أبا هريرة قدم عليه بمال من البحرين فقال له عمر ماذا جئت به؟ فقال خمسمائة ألف درهم فاستكثره عمر فقال له أتدري ما تقول؟ قال نعم مائة ألف خمس مرات.. فصعد عمر المنبر.. وقال: أيها الناس قد جاءنامال كثير فإن شئتم كلنا لكم كيلًا، وإن شئتم عددنا لكم عداً، فقام إليه رجل وقال: يا أمير المؤمنين قد رأيت الأعاجم يدونون ديواناً فدون أنت لناديواناً، وقال آخرون: بل سببه أن عمر بعث بعثاً وكان عنده الهرمزان، فقال لعمر هذا بعث قد أعطيت أهله الأموال، فإن تخلف منهم رجل وأخل بمكانه فمن أين يعلم صاحبك به فأثبت لهم ديواناً فسأله عن الديوان حتى فسره له.. وقال له خالد بن الوليد ــ في بعض الكتب أنه الوليد بن هشام بن المغيرة ــ قد كنت بالشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديواناً وجندوا جنوداً، فدون ديواناً وجند جنوداً فأخذ بقوله».

ومن تتبع سياسة الفاروق يمكن تصور أن كل هذه الأمور حدثت في عهده، وأنها سببت له كثيراً من المشاكل، فأعمل فكره وأخذ يستشير أصحابه

ـ كعادته دائماً عند كل أمر جلل ـ ولا يميل الباحث إلى ترجيح رواية أو سبب على آخر، لأن طبيعة عصر عمر كانت تقتضي ظهور هذه المشاكل، وكان عليه أن يتصدى بالحلول لها ومن هنا جمع كبار الصحابة واستشارهم فكان رأي الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يقسم كل سنة ما اجتمع من مال، أما عثمان بن عفان رضي الله عنه فقد قال: أرى مالاً كثيراً يسع الناس، فإن لم يحصوا حتى يعرف من أخذ ممن لم يأخذ خشيت أن ينتشر الأمر. ومن العرض السابق يتضح أن القلقشندي يذكر أن أول ديوان هو ديوان «الانشاء» وأنه نشأ في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ويتفق معه المقريزي غير أن الجهشياري والماوردي وابن طباطبا والنويري وابن خلدون وغيرهم يذكرون بأن عمر أول من دوّن الدواوين ويقولون بأن أول ديوان هو ديوان الجيش (الجند)، والباحث يميل كما سبق إلى أن ديوان الإنشاء ليس أول ديوان في الإسلام، وأن أول من نظم الدواوين هو عمر بن الخطاب، غير أنه لا يجب إغفال أثر التنظيمات التي قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد ساعدت على ظهور الدواوين بالشكل الذي قام به عمر بن الخطاب.

كذلك فإن سيدنا عمر هو أول من أنشأ ديوان الخراج أو ديوان الجباية لمعرفة ما يرد إلى بيت المال، وما يفرق لكل مسلم من العطاء.

وعندما دخل العرب الأقاليم التي افتتحوها، وجدوا بها دفاتر ونظماً إدارية لجمع الأموال من أهل البلاد، ونظراً لانشغال العرب بالفتوحات، فلقد تركوا هذه السجلات كما هي، كما تركوا القائمين عليها يباشرون عملهم وفقاً للأوضاع والنظم الجديدة التي استحدثها العرب، وعلى ذلك كان في الشام الديوان يكتب فيه بالرومية، وفي العراق بالفارسية وفي مصر بالقبطية وكانت هذه الدواوين يقال لها دواوين الخراج والأموال، واستمر الحال على ذلك طوال أيام الراشدين، فالنظام الذي وضعه عمر لم يتم فيه تغيير أو تبديل ـ باستثناء مقدار العطاء فلقد سار عثمان على رأي عمر في التفضيل (أي تفضيل المؤمنين الأوائل على الأواخر في العطاء) ولكن الإمام علياً سوّى بين الناس.

الدواوين في العصر الأموي[٢]

لقد أتيح للأمويين من الاتصال بالفرس والبيزنطيين أكثر مما أتيح للراشدين، فاتسعت في عصرهم مرافق الدولة واحتاجت إلى دواوين جديدة تنظم إدارتها وتتلاءم مع تطورها، لكن هذه الدواوين مع ذلك ظلت تمر بدور انتقالي، ولم تستقر ولم تأخذ صيغها النهائية إلا في العصر العباسي. وأهم الدواوين في هذا العصر الأموي:

ديوان الخراج

وهو الذي يتولى تنظيم أمور الخراج والنظر في مشكلاتها، وهو كديوان الخراج الذي عرف منذ عصر عمر بن الخطاب، إلا أن بعض المشكلات الجديدة طرأت في العصر الأموي، فلم يكن بدّ من معالجتها بروح جديدة يتلاءم ووثبة الحضارة في العصر الجديد.

ديوان الرسائل

وهو الدائرة الرسمية التي كانت تشرف على مراسلات الخليفة في أول الأمر مع الولايات والأمصار، وفي بعض الأحيان مع الدول الأخرى التي تفاوض في بعض الشؤون ذات الصيغة السياسية تارة والاقتصادية تارة أخرى.

ديوان المستغلات

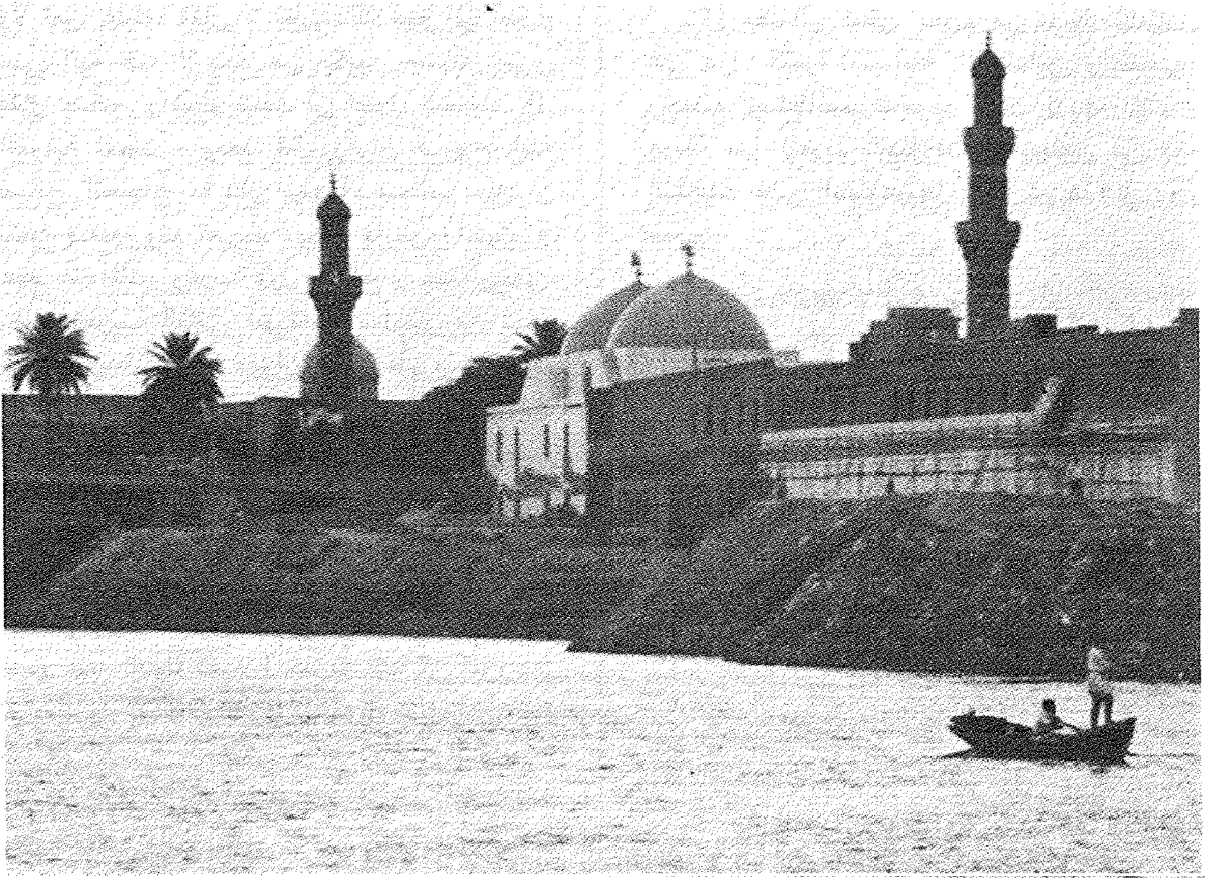
ويمكن أن يسمى أيضاً بديوان الايرادات المتنوعة، إذا لم يكن يقصد من المستغلات إلا تلك الموارد المختلفة التي تؤول إلى الدولة من أملاك غير منقولة كالأراضي والأبنية الحكومية.

ديوان النفقات

وكانت مهمته الكبرى تتمثل في صرف ما ينفق على تسليح الجيش ورواتبه وألبسته، والادارة المركزية التي توزع مرافق الدولة على الدوائر المختلفة.

ديوان الصدقات

واسمه مأخوذ من آية الصدقات في قوله تعالى: «إنما الصدقات للفقراء والمساكين»، فكان يقصد به توزيع موارد الزكاة على أصحاب الحقوق فيها على النحو الذي صرّح بتوزيعه القرآن.



□ بغداد.

ديوان الجند

ولا يقصد به الديوان السابق الذي هو ديوان النفقات لأن ذلك يتعلق بالصرف والانفاق، أما هذا فيراد به إحصاء أسماء الجنود وتحديد عطاياهم ورواتبهم.

ديوان الطراز

ويعتني، إن صح التعبير، بالمعامل التي كانت تنتج الأزياء الرسمية والأعلام في الحرب، والشارات والشعارات في جميع الأحوال.

ديوان البريد

لتنظيم الاتصالات وضروب التنقل وآلات التنقل بين العاصمة وأجزاء المملكة، ولنقل الأخبار الدينية والسياسية والادارية من ولاية إلى أخرى.

ديوان الخاتم

وهو الذي أنشأه معاوية بن أبي سفيان لينسخ له كتّابه أوامره وبلاغاته، ويودع هذا الديوان مكاناً أميناً بعد حزمه بخيط وختمه بالشمع الأحمر بخاتم صاحب الديوان أو رئيس الديوان. ويمكن أن يقارن اليوم بينه وبين ما نسميه «بالأرشيف» والسجلات والأضابير.

تعريب الدواوين

ظلت لغة الدواوين كما هي حتى عهد عبدالملك بن مروان حيث تم تعريب السجلات والمعاملات داخل الدواوين، ولقد أفاض المؤرخون القدامى وتابعهم المحدثون في أسباب تعريب الدواوين، وأرجعها كثير منهم إلى أن بعض الكتّاب الروم إحتاج ماء لدواته فبال فيها، وبلغ ذلك عبدالملك بن مروان فأمر بتعريب الدواوين، وأما ديوان الفارسية بالعراق فكان سبب نقله — كما يرويه معظم المؤرخون — أن كاتب الحجاج كان يسمى زادان فروخ وكان معه صالح بن عبدالرحمن يكتب بين يديه بالعربية والفارسية فوصله زادان فروخ فخف على قلبه فقال صالح لزادان إن الحجاج قد قربني

ولا آمن عليك، فقال لا تظن ذلك فهو إلي أحوج مني إليه لأنه لا يجد من يكفيه حسابه غيري فقال صالح: والله لو شئت أن أحول الحساب إلى العربية لفعلت.. وبعد قتل زادان فروخ أبلغ صالح الحجاج ما دار بينهما، فطلب منه أن ينقله فنقله، وتم تعريب ديوان فارس والشام في عهد عبدالملك. وعرب الأول صالح بن عبدالرحمن، وقام بتعريب الثاني أبو ثابت سليمان بن سعد كاتب الرسائل. أما ديوان مصر فلم يتم تعريبه إلا في سنة ٨٧هـ في خلافة الوليد بن عبدالملك على يد عبدالله بن عبدالملك بن مروان أمير مصر في ذلك التاريخ غير أن الباحث يود مناقشة الأسباب التي أوردها المؤرخون في سبب تعريب الديوان، فالحقيقة أنها أسباب واهية لا تدعو الحاكم إلى المخاطرة بتغيير النظام الذي كانت تسير عليه الدولة تغيير ا جذرياً، كما أن المؤرخين لم يذكروا لنا سبباً في تحويل ديوان مصر فما هو السبب الحقيقي وراء تعريب الدواوين؟ ولماذا لم تعرب الادارة بمجرد أن تم للعرب فتح هذه البلاد؟ لماذا انتظر العرب أكثر من خمسين عاماً حتى تمكنوا من تعريب الدواوين؟ كل هذه الأسئلة وغيرها جالت في ذهن الباحث وكان عليه أن يصل إلى تفسير علمي مقبول لهذه الظاهرة الخطيرة ألا وهي ظاهرة تعريب الادارة في كافة مناحيها ودروبها، ولقد توصل الباحث إلى النتائج التالية في هذا الخصوص:

(١) واضح أن كثيراً من العرب الفاتحين إن لم يكن كلهم كان لا يعرف القراءة والكتابة، بل أن منهم من كان لا يعرف أن هناك أرقاماً تزيد على الألف، ومن هذه الحقيقة يستطيع الباحث أن يفسر ترك العرب الدواوين في البلاد التي افتتحوها على ما هي عليه.

(٢) إن المسلمين الأول من العرب كان اخلاصهم لدينهم كبيراً، الأمر الذي جعلهم يبتعدون عن ترف المدينة وبالتالي أقبلوا بكل ما يملكون من طاقة على الجهاد في سبيل الله ابتغاء مرضاته وبهذا تمكنوا في وقت يعدّ من عمر التاريخ قليلاً من دك إيوان كسرى ومن تحطيم عرش قيصر وامتدت حدود الدولة الاسلامية حتى جبال البرانس في فرنسا وإلى قلب الهند وحدود الصين.

(٣) بعد أن تمكن العرب من بسط سلطانهم على دول كثيرة متباينة الأجناس والثقافات وخضع لسلطانهم شعوب كانت لديهم ثقافات عريقة بدأ العرب شيئاً فشيئاً ينهلون من هذه الثقافات حتى استوعبوها ولقد تم هذا في وقت قصير.

(٤) بعد ذلك لا يمكن أن نتغاضى عن الأثر النفسي السيء الذي كان يتركه في نفس العربي ـ حاكماً كان أو غيره ـ احتكار الموالي من غير العرب لادارة الدواوين ولا يمكن لهذا الاحساس أن يظهر إلا إذا نال الشخص قدراً كبيراً من الثقافة والمعرفة. ومن هنا جاء أمر عبدالملك بن مروان بتحويل الديوان إلى العربية، ويؤيد هذا ما رواه ابن خلدون في هذا الصدد، فهو لم يذكر الأسباب التي ذكرها غيره وإنما قال «ولما جاء عبدالملك بن مروان واستحال الأمر ملكاً وانتقل القوم من غضاضة البداوة إلى رونق الحضارة ومن سذاجة الأميّة إلى خدمة الكتّاب وظهر في العرب ومواليهم مهرة في الكتابة والحساب أمر عبدالملك ابن مروان بتعريب الدواوين.

الدواوين في العصر العباسي(٣)

على أن الدواوين كثرت وتنوعت اختصاصاتها في العصر العباسي بعد أن استعان العباسيون بخبرة الفرس الادارية في تنظيمها وتوسيع صلاحياتها.

ولئن احتفظ العباسيون ببعض تنظيمات الدولة الأموية في الدواوين والدوائر الرسمية فإنهم وجدوا من الحكمة أن يستكملوا النقص فيما احتفظوا به وفيما آثروا إبقاءه، وأن يجدّدوا الكثير في موضوعات تلك الدواوين وأشكالها وما تتناوله سلطات أصحابها المشرفين عليها. ومن أهم ما أحدثوه أن الدواوين في خلافة أبي العباس جمعت في دفاتر أو سجلات بدلاً من أن تكون صحفاً مبعثرة. ومن أبرز ما حدث في عهد المنصور أنه أنشأ ديواناً خاصاً لحفظ أسماء من صودرت أمواله، وسمّاه ديوان المصادرات، ولعل هذا يشير إلى كثرة من صودرت أموالهم في عصر هذا الخليفة العباسي، إذ لولا

ذلك لما فكر أولو الأمر بإنشاء ديوان خاص بمثل هذه الظروف.

كما أن من أهم ما استحدث في عصر المهدي دواوين الأزمة التي كانت عبارة عن دواوين أو دوائر صغيرة تشرف على أعمال الدواوين الكبيرة حتى كأنها دواوين محاسبة، إذ كانت تعنى بالدرجة الأولى بالتدقيق في الحسابات والشؤون المالية التي يتصرف بها كل ديوان من الدواوين الصغيرة على حدة، وأنشىء في عهد المهدي أيضاً زمام الأزمة لينتظم في آن واحد جميع دواوين الأزمة. ويلاحظ هنا التعبير عن الديوان بالزمام، لأنه كان قواماً لكل أمر عالجه ديوان ما على حدة في كل مرفق من مرافق الحياة المدنية.

ومن الدواوين التي أنشئت في عهد المهدي ايضاً ديوان النظر في المظالم أي الشكاوى والدعاوى لمعرفة ما تتشكى منه الرعية من ظلم بعض ولاتها وجورهم وعسفهم، وقد كان يغلب على هذا الديوان أن ينظر في غلاء الأسعار إذا زاد عن حده، أو في كثرة إيداع الناس السجون من غير نظر دقيق في دعاويهم، وأحياناً كان ينظر فيما وقع ظلماً من مصادرة أملاك بعض الناس زعماً منهم بأن تلك المصادرة جاءت بغير حق.

أما أبرز ما استحدث في عصر الرشيد فكان ديوان الصوافي، وهي الأراضي التي تملكها الخزينة الرسمية، وعندما يقال هنا «خزينة رسمية» إنما ينصرف التعبير إلى خزينة الخليفة التي استصفاها لنفسه.

وكان للمعتصم ميل غريب لابتياع الغلمان الأتراك، وكان هذا موضع استنكار لدى الرأي العام كله ولا سيما العلماء الأتقياء، وقد حمله ولوعه الشديد بابتياع أولئك الغلمان والموالي، لم يكن الغرض منه يتعدى النظر في الاستكثار منهم وفي انتقاء من يبتاعه منهم بشروط كان يستجيدها على طريقته الخاصة.

وقد ظهر في العصر العباسي الثاني ما سمّي بديوان الاستخراج، وقد يظن قارىء اللفظة للوهلة الأولى أنّ لها علاقة بالخراج، والواقع أن هذا الديوان لم يكن يراد به أي شيء ذي علاقة بالخراج، فإنما كان عبارة عن دائرة رسمية تسعى إلى تتبع أخبار الوزراء والكتّاب والحجاب والعمّال والولاة المتهمين «بالمحسوبية» والرشوة لكي تحصى أسماؤهم وتحدّد أوضاعهم، ثم تصادر بأمر من الخليفة أموالهم التي جمعوها من الحرام.

وديوان الخاصة أيضاً ظهر في هذا العصر العباسي الثاني، وهو الذي كان ينظر في أموال الخليفة وأملاكه وعقاراته المكتوبة باسمه الراجعة إليه وإلى ورثته.

خاتمة البحث

وبحمد الله وعونه وصلنا إلى نهاية بحثنا هذا، والذي كان يدور الحديث فيه عن موضوع «الدواوين» خلال العصور الاسلامية ولقد تناولنا الدواوين من حيث ماهيتها، ونشأتها، وتعريبها، وأنواعها وأعدادها على حسب العصور الاسلامية، من عصر الرسول الكريم والخلفاء الراشدين، ثم العصر الأموي والعباسي. راجين من الله تعالى كل إفادة وتوفيق لنا ولكل من سيطلع على هذا البحث بإذن الله.

«والله ولي التوفيق»

الهوامش

(١) محمود مرسي لاشين: كتاب التنظيم المحاسبي للأموال العامة في الدولة الاسلامية، ص ٥٠ — ٥٧.
(٢) الدكتور صبحي الصالح: «في كتاب النظم الاسلامية» ص ٣١٣ — ٣١٨.
(٣) د. صبحي الصالح: المرجع السابق.



● **«ينبغي أن يزول ويمحى كل نظام يجعل من الميسور أن يسيطر الميت على الحي».**

إبراهيم عبد القادر المازني



اسبانيا و بريطانيا تحتلان المغرب في القرن التاسع عشر

■ ترجمة د. رياض العالي



□ مؤتمر «الجزيرس» الذي فرضت فيه معاهدة الحماية على المغرب.



احتلت اسبانيا ـ التي كانت سيدة مليلة وسونا ـ جزر شفارين عام ١٨٤٨. في الشرق، حلت القوات الفرنسية محل القوات التركية، إثر اتفاق لالا ـ مارينا (١٨٤٥) الذي منح فرنسا حق إلحاق المنطقة بها، وقد نفذت ذلك (بحملة مارتنبري) ١٨٥٩ «لتراقب» المناطق الشرقية من المملكة الشريفية. في الغرب، وعلى طول السواحل الاطلسية، كانت البواخر التجارية البريطانية والدانمركية والبرتغالية والسردينية، والفرنسية والاسبانية، تجوب البحر محملة بالبضائع. ولم يبق من المملكة إلا قسم من الصحراء في الجنوب، منفتح على العالم، منفذاً إلى العالم. ولكن الاختراق الفرنسي القادم من الشرق، والاسباني القادم من الغرب، طوق المملكة تطويقاً تاماً، مع نهايات القرن التاسع عشر.

على أن كل قوة كانت تطمح إلى أن تحظى وحدها بالغنيمة، ووضع اليد على المملكة الشريفية، دون اقتسامها مع القوى الأخرى. ولما لم يكن ذلك مستطاعاً، فقد عزمت اسبانيا وبريطانيا على مسلك آخر للاحتلال، ذي وجهين: الوجه العسكري وتقوم به اسبانيا، والوجه الاقتصادي وتقوم به بريطانيا.

اسبانيا تحتل تطوان

رغبت إسبانيا في قمع الأحداث قريباً من مدينة سوتا، فقامت بحملة عسكرية قادها الماريشال أودونيل، الذي اجتاحت قواته (تشرين الأول ١٨٥٩) المغرب واستولت على تطوان وأعلنها «دوقية التاج». جرت محاولة للصلح في شباط ١٨٦٠، وفشلت. بعد شهر من ذاك اضطر السلطان سيدي محمد الذي لم يستطع مجابهة القوات الغازية، أن يقبل شروط الصلح الاسبانية: أن لا ترد تطوان إلى المملكة إلا بعد دفع فدية مائة مليون بيزيتا، خلال ثمانية أشهر. وحسب نصيحة الوزير البريطاني في طنجة

دروموند هيْ، رأى الملك أن يستعيد تطوان، حيث بدأ الجمهور يتعاطى تجارة مربحة، هي تقديم المؤن للغزاة، لقاء مبالغ كبيرة. فالتجارة مع الجنود الاسبان أكثر ربحاً من الضرائب الشريفية في نظر القبائل الريفية. لذلك قرر السلطان دفع الفدية.

كان على السلطان دفع الفدية على أربعة أقساط. وحدد موعد القسط الأول في ٢٨ كانون الأول من السنة نفسها. وكانت خزائن الدولة قادرة على توفير القسط الأول (٢٥ مليون بيزيتا)، ولكن بجمع كل المدخرات في طنجة وفاس ومراكش. وبذلك فرغت الخزينة من كل ما فيها.

في هذا الوقت كان صوف المغرب المصدَّر لا يساوي الكيلو منه أكثر من بيزيتا. وهيكتوليتر القمح عشر بيزيتات. مع العلم أن التجارة الخارجية المغربية كانت في عجز. فتعويضات الحرب تعادل خمسين ضعف الصادرات ثم إن ما كان يستورده المغرب يكاد يساوي ما تصدر (١٩,٥ مليون صادرات ــ ١٧,٥ واردات). وفي الوقت ذاته يجب أن يسدد كامل المبلغ المتفق عليه مع اسبانيا فدية لتطوان قبل نهاية عام ١٨٦١.

اعتمد المغرب على إنكلترا لتساعده. فقد كانت المتعامل الأول معه اقتصادياً، والمصدر الأول إليه. وقد فتح السير دروموند الباب أمام استيراد أكبر كمية من قمح المغرب وحبوبه. وتجاه إلحاح السلطان فقد أقرضت بريطانيا المغرب عشرة ملايين بيزيتا، (أضيفت إليها الفوائد والكومسيون). وهكذا بلغ الدين تسعة عشر مليون بيزيتا.

وجه السلطان نداء إلى المحسنين في المغرب فجمعوا خمسة عشر مليون بيزيتا، وهكذا دفع القسط الثاني. وعقد اتفاق جديد مع الاسبان حررت بموجبه تطوان، في الثاني من أيار ١٨٦٢، رغم أن الفدية لم يدفع إلا نصفها.

على أن المغرب الموحد من جديد، لم يكن مليئاً مالياً. كانت خزانته فارغة وعليه دفع ٦٩ مليون بيزيتا: ٥٠ لاسبانيا و ١٩ لبريطانيا.

وكان فقدان السيولة، في نظام مالي يتعامل بالعملة المعدنية، والذهبية والفضية، عقبة في طريق التجارة الداخلية والخارجية.

وقد ظل أثر هذه الأزمة أكثر من عشرين سنة، فعندما جاب الفيكونت شارل دوفوكو المغرب، بعد هذا الزمن، وجد أثرها ما يزال شديداً: فالتبادل التجاري، والزراعة وهما الثروة الوحيدة، أصبحا منعدمين. في هذا الوقت كانت إنكلترا، القوية بعد مساعدة المغرب، تشرف على الخدمات الجمركية، وتحفز السلطان على القيام بتوظيفات في المجال الاقتصادي. وكان يمثل بريطانيا في طنجة، الوزير السير دروموند هيْ. وكانت تتوقع أن تلعب دور المحرك الاقتصادي في المغرب، وهو الدور الذي لعبته في افريقيا وآسيا. وكان أول ما فعلته بناء المنارة عند رأس سبارتل.

وصنعت جسراً معدنياً يجعل طريق الدار البيضاء الجديدة تعبر فوق نهر أم الرابية. وقد بني بإشراف المهندس كريغ، في لندن. وحين نقل الجسر إلى المغرب، وجد أنه قصير جداً، ولا يمكن استخدامه.

وأخذ المهندس نفسه على عاتقه تحسين مرافئ صافي (حيث نصف التجارة يسيطر عليها الانكليزي لويس فورد) والسويرة. وكلفت شركة إنكليزية ببناء رصيف جديد، ولكن أعمالها لم تنته أبداً.

ولاستخراج السكر من القصب المزروع في منطقة مراكش، وأوصيت بريطانيا على الآلات، عام ١٨٦١. وقدم المهندس الانكليزي غاي للاشراف على عملها عام ١٨٦٢، ولكن المصفاة لم تصبح جاهزة للعمل أبداً.

ثم زرع القطن في منطقة مراكش، وأتي بآلات لحلج القطن من بريطانيا، وأشرف عليها المهندس الانكليزي فيرلي، ولكن الانتاج لم يستطع الصمود أمام المستورد من أوروبا.

وأقام الانكليزي كورتيس في السويرة مصنع ورق عام ١٨٦٢. واشترى الآلات من إنكلترا. ولكن الورق المصنوع من الحلفاء المحلية، لم يجد سوقاً محلية له.

وأنشأت شركة إنكليزية، في الفترة ذاتها، مشروع بنك الدولة. ولكن المشروع فشل.

وثمة مجالات كانت إنكلترا مضطرة إلى التعاون فيها مع دول أوروبية أخرى. فالسلاح كان يستورد من بريطانيا وبلجيكا ومملكة بيمونت ــ ساردينيا. واشتريت المحاريث



□ بعض المندوبين الروس والفرنسيين في مؤتمر «الجزيرس» في إسبانيا.

الحديثة، لتحل محل المحاريث البسيطة، من بلجيكا.

وقد شهد المراقبون الأوروبيون فشل معظم المشاريع. ويعلل دروموند الفشل برغبة السلطان بالاصلاح السريع. وهو ادعاء غير صحيح. فالوزير الفرنسي المفوض يشير إلى أن المشاريع التي طرحها الانكليز لم تنظر أبداً إلى حاجة البلاد، ولا إلى إمكانيات هذه البلاد...

على أن هذا الاضطراب الاقتصادي بدأ ينحسر تدريجياً منذ ١٨٦٥، ذلك أن بريطانيا اكتفت بمراقبة التجارة الخارجية، وتنفيذ دفع ديونها على المغرب. ورغم أنه كان فارغ اليدين من العملة في الداخل، فقد بدأ يتقدم تدريجياً، خاصة وأن الحرب الفرنسية ــ الالمانية شغلت دول أوروبا الغربية بقضايا أهم لديها من «تحضير!» المغرب.

مع ذلك لم يعد المغرب سيد مصيره، ففي عام ١٨٨٠ اجتمع ممثلو الدول الكبرى في مدريد، ليدولوا المغرب.

واستطاعت فرنسا الحصول على «عدم اكتراث» الدول التي كانت راغبة في وضع يدها على المغرب. فقد بادلت إيطاليا عام ١٩٠٠ ــ ١٩٠٢ بمنطقة طرابلس الغرب، ثم بريطانيا عام ١٩٠٤ بمصر واتفقت مع اسبانيا على اقتسام المناطق.

ولكن الامبراطورية الالمانية الجديدة رفضت هذا التدبير. ففي ٣١ آذار ١٩٠٥ زار الامبراطور غليوم الثاني طنجة، وألقى فيها خطاباً دافع فيه عن المصالح المغربية. وكان يتوقع أن يزور الدار البيضاء، ويلقي فيها خطاباً آخر، ولكن الرحلة إلى هناك لم تتم.

ولم تستطع المانيا فرض وجهة نظرها في مؤتمر «الجزيرس» (من كانون الثاني إلى نيسان ١٩٠٦). وتقاسمت فرنسا واسبانيا السلطة الكاملة على الاقتصاد المغربي. وتبع ذلك معاهدة حماية. ذلك أن فدية تطوان، استنفدت موارد المغرب، ومشاريع بريطانيا الاقتصادية شلت الاقتصاد المغربي، فلم يعد المغرب قادراً على رفض الحماية.

على أن المقاومة لم تهدأ منذ تلك المعاهدة. ففي الجبال، والمدن، والقرى، تشكلت جماعات، راحت تقلق المحتلين، وتكبدهم خسائر في الرجال والمال، وتحولت مع الأيام إلى ثورة منظمة قادها إلى النصر السلطان محمد الخامس، فتحرر المغرب بعد نصف قرن تقريباً، ونال استقلاله. ●



استجابةً لرغبة المجلة في تعريف العرب بتاريخهم عبر دراسات علمية ومسؤولة، واستجابةً لدعوتها الأساتذة والمؤرخين وطلاب الدراسات العليا لنشر موجز عن رسائلهم الجامعية فقد وصلنا من الأستاذ «محمد حسن ضيا» عرض لرسالته الماجستير بعنوان: «ملامح عن الحياة الفكرية في جبل عامل»، ونحن في فتحنا هذا الباب نتمنى أن نزيد من اطلاع قرائنا على نتائج باحثينا مؤملين سد ثغرة في مكتبتنا العربية وفهارسها المعتمدة، لما يفيد المجتمع.

ملامح من الحياة الفكرية في جبل عامل

■ محمد حسن ضيا

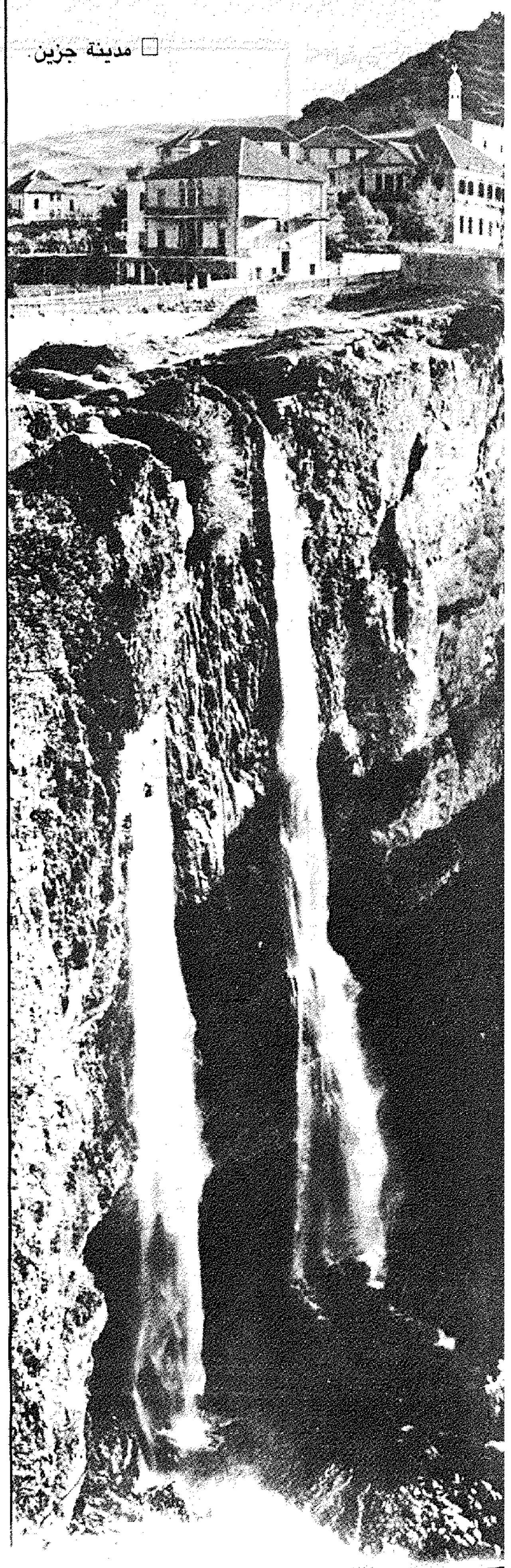
- رسالة ماجستير في التربية والتعليم ـ كلية التربية ـ الجامعة اللبنانية عام ١٩٨٣.
- اللجنة مؤلفة من: الدكتور أحمد حطيط، الدكتور منذر جابر، الدكتور أحمد سرور.
- التقدير: جيد جداً.

لم تكن الحركة العلمية التي عرفها جبل عامل عملاً إفرادياً، اطلع به نفر قليل من الناس. احتكروا العلم كما ولم تكن هذه الحركة عملاً هامشياً اقتضته ظروف معينة، فغدى محدوداً في أفقه ومضمونه ونتائجه.. بقدر ما كانت هذه الحركة نهضة شاملة توزعت القرى والمدن مدارس ومعاهد ومكتبات، أخرجت عدداً وافراً من أهل العلم والفضل وذوي الثقافة العالية. وكانت إنجازاً رائداً رافق مسيرة الفكر العاملي الذي نهل من منابع الفقه والأصول والمنطق منذ المراحل المبكرة للثقافة العربية والاسلامية، وكان غنياً بمواضيعه، عميقاً في محتواه، وغزيراً في نتائجه.



يصعب الحديث عن حركة فكرية خصوصية في جبل عامل، قبل القرن الثامن هـ / ١٤م أي قبل القرن الذي عاش فيه محمد بن مكي الشهيد الأول[١]، مؤسس المدرسة الأولى في جبل عامل بكل ما تحمله كلمة مدرسة من معنى في تلك الفترة.

لقد عرفت فترة ما قبل الشهيد الأول، دوراً للتدريس الديني وبعض المحافل الفكرية إذ تنقل لنا كتب التراجم الشيعية أسماء علماء دين قبل الشهيد الأول ومن هؤلاء والد الشهيد نفسه



□ مدينة جزين.

مكي بن محمد بن حامد، وهو كما يرى صاحب «أمل الآمل» من فضلاء المشايخ في زمانه ومن أجلاء مشايخ الاجازة ومنهم نجم الدين «طمآن» العاملي المتوفي سنة ٧٢٨هـ، وكان هذا «عالماً فاضلاً محققاً وعلى يديه قرأ والد الشهيد الأول، ومنهم كذلك جد الشهيد الأول واسمه «طه» وكان «عالم فقه زاهد، ونورد أخيراً اسم الشيخ عزالدين الحسن... بن الحسام العاملي وكان فقيهاً جليلاً»[٢].

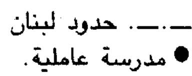
ويبدو أن بلدة جزين، كانت المركز الديني الأهم في تلك الفترة، وفضلها في هذا المجال «غير خفي» كما يباهي في تلك الفترة شاعر عاملي يقول راثياً أحد رجال الدين في القرن الثامن الهجري:

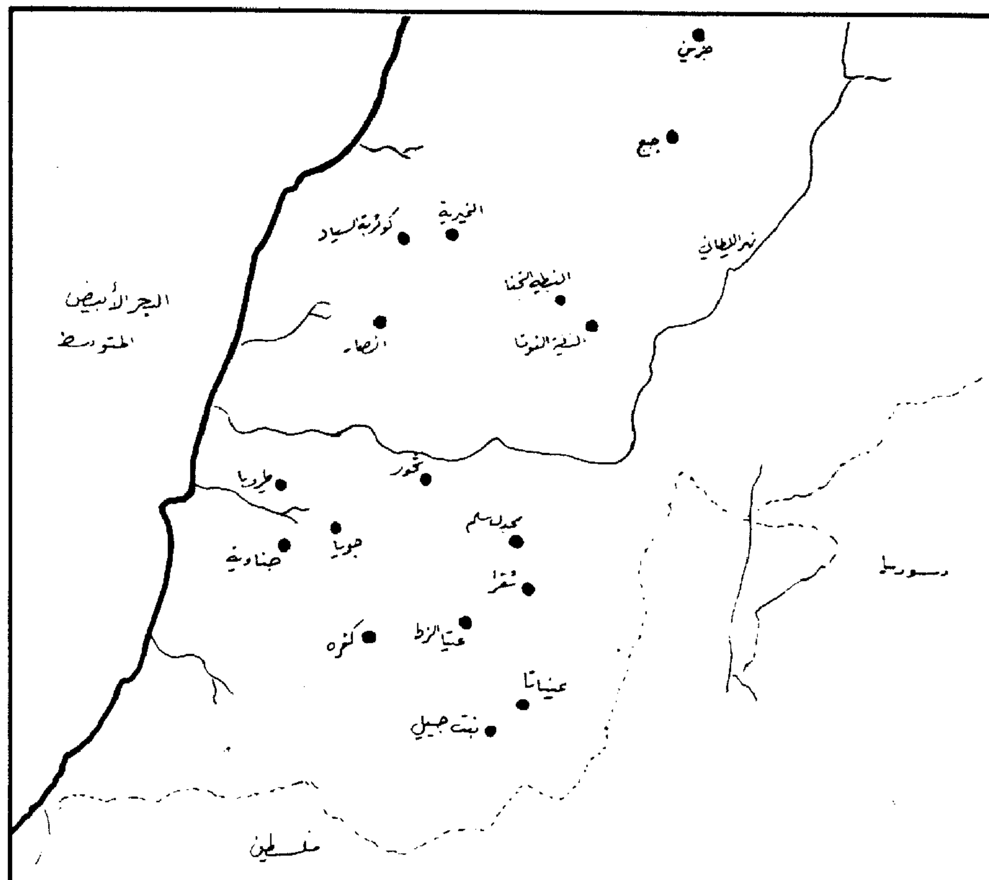
عرج بجزين يا مستبعد النجف
ففضل من حلها يا صاح غير خفي[٣]

دور الشهيد الأول في الحركة الفكرية آنذاك كان تنظيمها «ومدرستها» فتأسيس المدرسة المنتظمة في جزين لم يكن إلا على يدي الشهيد الأول ويبدو أنه أنشأها بعد عام ٧٧١هـ / ١٣٧٠م. عندما عاد من النجف بعد تعطل الدراسة واضطراب أمور الجامعة العلمية فيها إثر غارات التتار، ونكبة بغداد. فبات أمر الهجرة إلى النجف عسيراً إذ ذاك أنشأ الشهيد الأول مدرسة جزين. وطبيعي أن يكون تجوال محمد بن مكي في حواضر الدولة المملوكية والمراكز العلمية الاسلامية ودراسته فيها ومعايشته حياتها العلمية وراء خطوته الآنفة «مدرسة التعليم الديني» في جبل عامل وتجدر الاشارة في هذا المجال إلى أن التعليم الديني الاسلامي عموماً بشكله المدرسي الذي ابتدأ مع الفاطميين وترسخ زمن السلاجقة تكرس نهائياً مع المماليك. وفي هذا السياق تكون مدرسة جزين واحدة من مئات المدارس الدينية المنشأة في سوريا ومصر.

المعلم الثاني في الحركة الفكرية في جبل عامل، هو الشهيد الثاني، الشيخ زين الدين العاملي الجبعي[٤] الذي ترك قائمة طويلة من المؤلفات ترد بالكامل في «تاريخ جبع» منها ما هو المطبوع ومنها المحفوظ ويبلغ تعدادها ٧٩ أثراً بين مؤلف ورسالة. وهي تتفاوت في مواضيعها بين كتب

□ **المدارس في جبل عامل في العهد العثماني.**





عن رسالة محمد حمادة: التعليم في جبل عامل في العهد العثماني ـــ كلية التربية بيروت ص ٦٦.

الفقه وكتب الشريعة، وكتب التراجم والنسب وكتب في التربية والتعليم. والملفت في بعض مؤلفات الشهيد الثاني أنها جاءت رداً على أسئلة واردة إليه من خارج جبل عامل (أجوبة المسائل الثلاث الخراسانية):

أجوبة المباحث النجفية، أجوبة المسائل الهندية، أجوبة المسائل الشامية[٥].

الفترة الثالثة التي عرفت ازدهاراً فكرياً هي فترة حمد البك في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي (دون أن يعني هذا التقسيم انقطاعاً فكرياً تاماً بين الفترات المنوه عنها) ويفرد السيد حسن الأمين كتاباً خاصاً حول هذه الفترة «عصر حمد البك والحياة الشعرية في جبل عامل» وفيه يحاول أن يرسم خطوطاً تفصيلية لقضايا الحياة الشعرية، ونحن وإن كنا لا نذهب مع السيد حسن في بعض حديثه عن الحياة الفكرية في تلك الفترة فإننا لا ننكر الغبن الأدبي والشعري الذي عرفته في القرن التاسع عشر[٦]. وقد استمرت هذه الحركة الفكرية الناشطة في النصف الأول من القرن العشرين ويكفي لأخذ فكرة عن ذلك مراجعة كتاب: «الشعر العاملي الحديث»، حيث يعالج فيه مؤلفه[٧]. الحركة الشعرية التي سادت جبل عامل في النصف الأول في القرن العشرين هذه النهضة الفكرية المتواصلة بدءاً من الشهيد الأول مع نتوآتها البارزة المنوه عنها لا تمثل برأينا تفرداً خصوصياً لجبل عامل، في بلاد الشام بقدر ما تعني عدم تخلف جبل عامل عن مسايرة السياق الفكري والثقافي العام الذي كان يتحرك في بلاد الشام سواء في صعوده أم انحداره.

وقد كانت أدوات الحركة الثقافية ومحركها في جبل عامل متعددة الجوانب، فمن المدارس إلى الحلقات الدينية إلى الندوات الفكرية المستمرة بمعناها الضيق (مناظرات ثنائية) أو الواسع (اللقاءات بين أطراف عدة)، إلى المكتبات العامة أم الخاصة التي كانت متواجدة في المنطقة العاملية. ونكتفي هنا بالحديث عن ثلاث من هذه الأدوات (المدارس والمكتبات، والمطبوعات ـــ

□ **المكتبات في جبل عامل في العهد العثماني.**

ـــ.ـــ. حدود لبنان.

● مكتبة عاملية شهيرة.

عن رسالة محمد حمادة: التعليم في جبل عامل في العهد العثماني - كلية التربية بيروت ص ٦٦.

الصحف والمجلات)، انطلاقاً من المعلومات الغزيرة التي توفرها المصادر والمراجع التي تتحدث في هذه الناحية مع الاشارة سلفاً إلى المبالغة التي يصطبغ بها أحياناً الحديث في هذا المجال.

المدارس

كان في جبل عامل، هذه الرقعة الضيقة، في عصور متقاربة من مدارس[٨] العلم ما يربو على العقود وكان فيها ما هو أشبه بالكليات من حيث النظام ومن حيث تعميم الدروس[٩]. وفي هذه المدارس كان يدرس الفقه والكلام والتوحيد والمنطق والفلسفة القديمة عدا العلوم العربية كالنحو والصرف والبيان.

وأهم هذه المدارس حسب التسلسل الأبجدي[١٠]:

١ ـــ مدرسة انصار

أنشأها في القرن ١٤هـ السيد حسن علي إبراهيم، نجل الفقيه السيد علي إبراهيم المعاصر للسيد علي الأمين، وأهم من تتلمذ على مؤسس هذه المدرسة، السيد علي إبراهيم والسيد محمد إبراهيم (نجل السيد حسن) والشيخ أحمد عبدالمطلب مروة، والشيخ باقر بن الشيخ الحافظ محمد حسين مروة، والشيخ طالب سليمان البياضي، والشيخ حسن بن الشيخ محمد علي قبيسي والشيخ خليل كوثراني...

٢ ـــ مدرسة بنت جبيل

أنشأها سنة (١٢٩٧هـ / ١٨٨٠م) العالم الفقيه الشيخ موسى شرارة (١٢٦٧هـ ـــ ١٣٠٤هـ) وانتقل إليها طلاب مدرسة حنوية، التي سيأتي ذكرها، في سياق هذه الدراسة، وقد جمعت مدرسة بنت جبيل عدداً وافراً من أفاضل الطلاب. وتخرج منها الكثيرون، منهم العلامة

محسن الأمين صاحب أعيان الشيعة، والشاعر محمد دبوق، والعلاّمة الكبير الشاعر الأديب الشيخ عبدالحسين صادق، والشيخ عبدالكريم الزين، والشيخ حسين فقيه، والسيد نجيب فضل الله، والسيد يوسف شرف الدين، والسيد حيدر والسيد جواد مرتضى، والشيخ موسى مغنية. وقد استمرت مدرسة بنت جبيل في دورها الكبير حتى أفل نجمها سنة ١٣٠٤هـ. وهي السنة التي توفي فيها مؤسسها.

٣ ــ مدرسة جزين

لم يكن تأسيس المدرسة المنتظمة في جزين إلا على يد الشهيد الأول محمد بن مكي[١١] ويبدو أنه أنشأها بعد عام (٧٧١هـ ــ ١٣٧٠م) عندما عاد من النجف بعد تعطل واضطراب أمور الجامعة العلمية فيها إثر غارات التتار ونكبة بغداد. ونبغ في جزين عدد من العلماء وكان من بينهم المجتهدة فاطمة أم الحسن أخت الشهيد الأول التي أولاها أخوتها العلماء الفتوى بكل ما يختص بالنساء من أمورهن الدينية. ولم يبق من آثار ماضي هذه المدرسة، العلمي غير جبانة وقد درست اليوم وجامع خراب كان بعضه باقياً ثم درس كله.

٤ ــ مدرسة جويا

أسسها الشيخ محمد علي خاتون في القرن ١١هـ، وهي مدرسة قديمة عاشت زماناً طويلاً وتخرج منها جماعة من العلماء وهي الآن عبارة عن مجموعة من الأطلال.

٥ ــ مدرسة جبع

أنشأها الفقيه الشيخ عبدالله نعمة المتوفي سنة (١٣٠٢هـ ــ ١٨٨٥م). وكانت حافلة بالطلاب مدة طويلة، وتخرج منها عدد من العلماء منهم حسن يوسف مكي مؤسس المدرسة الحميدية في النبطية، وموسى شرارة مؤسس مدرسة بنت جبيل. ولم يستفد الطلاب من هذه المدرسة كثيراً لأن رئيسها قد أوكل إدارتها والتدريس فيها إلى غيره. وكان يقتصر على إعطاء درس الفقه فيها يلقيه على شيوخ الطلبة فقط. ويقول السيد محسن الأمين[١٢] ان طريقة التدريس فيها كانت عقيمة قضى الطلاب فيها عمرهم في تدريس النحو والصرف ومع ذلك فقد تخرج منها جملة من أهل العلم.

٦ ــ مدرسة حنوية

أنشأها الفقيه الشيخ محمد علي عزالدين المتوفي سنة ١٣٠٤هـ، وقد كانت هذه المدرسة عامرة بالطلاب، وقد تخرج منها الكثيرون منهم: العلاّمة السيد نجيب فضل الله، والعالم البحاثة السيد محمد بن علي بن إبراهيم الحسيني المتوفي سنة (١٣٢٧هـ ــ ١٩٠٨م) وهو أحد مؤسسي النهضة العلمية في النبطية ورئيس مدرستها الأهلية، ومن بين طلاب مدرسة حنوية أيضاً العلاّمة مهدي شمس الدين. وقد تابعت هذه المدرسة دورها العلمي والثقافي بعد وفاة مؤسسها سنة ١٣٠٤هـ، إذ تولاها حفيده إبراهيم عزالدين، وهي اليوم أثر بعد عين.

٧ ــ المدرسة الحميدية في النبطية التحتا

أسسها السيد حسن ابن السيد يوسف الحسيني المعروف بالمكي، بعد رجوعه من العراق من سنة (١٣٠٩هـ ــ ١٨٩١م) ونعتها بالحميدية نسبة إلى السلطان العثماني عبدالحميد الثاني تيمناً باسمه. وقد لمع اسم هذه المدرسة وذاعت شهرتها فقصدها طالبوا العلم والثقافة من سائر البلدان وضمت ما يزيد على ثلاثماية طالب. وقد أدت هذه المدرسة خدماتها العلمية طيلة أربعة عشر عاماً من جياة مؤسسها حتى سنة (١٣٢٤هـ ــ ١٩٠٦م) فأغلقت المدرسة وتفرق طلابها. ثم أعيد تعميرها على يد الحاج حسين الزين وأخيه يوسف «بك» الزين، وتولى التدريس فيها إذ ذاك العلامة الشاعر الشيخ محمد رضا الزين، وبعد ذلك انقلب اسم هذه المدرسة، إلى المدرسة «الدينية العاملية». وبشكل عام، تعتبر المدرسة الحميدية في النبطية التحتا، ركيزة كبرى في أساس النهضة العلمية الحديثة في جبل عامل فقد قدمت كبار العلماء والفقهاء كالشيخ محمد علي نعمة، والشيخ علي حلاوة، ومن اللغويين والمؤرخين، أحمد رضا وسليمان ضاهر، والمؤرخ محمد جابر آل صفا، كما تخرّج منها صاحب مجلة العرفان وجريدة

جبل عامل الشيخ أحمد عارف الزين.

٨ ـــ مدرســة شقــرا

أسسها في أواخر القرن الثاني عشر الهجري، السيد أبو الحسن موسى الحسيني (الأمين). وكانت تضم ما يزيد على ٤٠ غرفة. وتحوي نحواً من ٤٠٠ طالب، تخرج منها صاحب مفتاح الكرامة والشيخ إبراهيم يحيى والمحقق السيد حسين ابن السيد أبي الحسن وغيرهم وبقيت عامرة مدة حياة مؤسسها وبعد موته (١١٩٥هـ ـــ ١٧٨٠م) خمد ضوءها فترة من الوقت حتى تولاها حفيده العلامة السيد علي الأمين الذي أعادها إلى سابق أهميتها.

٩ ـــ مدرســة شحــور

أنشأها العالم السيد يوسف شرف الدين. في القرن ١٣هـ.

١٠ ـــ مدرسة طيردبا

أنشأها العالم الفقيه الشيخ حسين مغنية استمرت زماناً، استفاد خلاله طلابها ثم ما لبث ان أفل نجمها وبطلت.

١١ ـــ مدرسة عيتا الزط

أنشأها العالم السيد جواد مرتضى، ثم «ركدت انفاسها برجوع منشئها إلى العراق ثم أعادها أخوه العالم السيد حيدر مرتضى ثم ما لبثت أن أصبحت في خبر كان».

١٢ ـــ مدرســة عيناتــا

أنشأها العالم الفقيه السيد نجيب ابن السيد محي الدين فضل الله ثم أفل نجمها بوفاته.

١٣ ـــ مدرســة كفـرة

أسسها العلامة الشيخ علي بن محمد السبيتي. ودرس فيها الشيخ محمد علي عزالدين قبل مدرسة حنوية.

١٤ ـــ مدرســة الكوثريــة

أنشأها الشيخ حسن قبيسي المتوفي سنة ١٢٥٨هـ، بإيعاز من علماء النجف في العراق، وكانت هذه المدرسة عامرة بالطلاب، ومن بين طلابها: حمد البيك النصار، الذي أصبح زعيم جبل عامل فيما بعد، والعالم اللغوي علي السبيتي، وعلي إبراهيم الحسيني والشيخ عبدالله نعمة ومحمد علي عزالدين مؤسس مدرسة حنوية.

١٥ ـــ مدرســة مجدل سلم

أنشأها العالم الشيخ مهدي شمس الدين.

١٦ ـــ مدرســة ميس الجبــل

أسسها علي عبدالعالي الميسي المتوفي سنة (٩٣٣هـ ـــ ١٥٢٦م). وقد بلغ عدد طلاب هذه المدرسة زهاء ٤٠٠ طالباً وقرأ فيها كثير من العلماء منهم العلامة الكبير الملقب بالشهيد الثاني (٩٦٦هـ ـــ ١٥٥٨م). ويبدو أن هذه المدرسة قد بقيت بعد وفاة مؤسسها ردحاً من الزمن يشير إلى ذلك تراجم خريجيها.

١٧ ـــ مدرسة النبطية الأهلية (الحديثة)

أسست عام (١٣٠٠هـ ـــ ١٨٨٢م) برعاية رضا بك الصلح متولي حكومة النبطية برئاسة السيد مصطفى العكاري من طرابلس. وكانت هذه المدرسة تحت رعاية جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية وانتقلت بعدها لوزارة المعارف. وبعد استقالة مديرها مصطفى العكاري تولى التدريس فيها محمد علي إبراهيم أحد تلامذة مدرسة حنوية، الذي درس الأدب والشعر والمنطق والبيان وفلسفة ابن سينا وبعض الطبيعيات وكتاب «النقش في الحجر» للمفكر كرنيليوس فانديك.

١٨ ـــ مدرســة النبطيــة الصغــرى المعروفة بالفوقا (أو النورية)

وهي تعرف بالمدرسة النورية نسبة لآل نورالدين. وهي مدرسة قديمة العهد. وكان من بين من تولى التدريس فيها السيد محمد علي نورالدين. وعاشت المدرسة النورية زمناً طويلاً وأنجبت فريقاً كبيراً من العلماء والأدباء نذكر منهم: العلامة السيد عبدالحسين بن السيد إبراهيم نورالدين مؤلف كتاب الكلمات وغيره

من الكتب القيمة والعلامتان الشيخ عبدالله والشيخ محمد الحر والعلامة الشيخ معتوق الزبديني المتوفي سنة (١٣١٧هـ ــ ١٨٩٩م) في النجف الأشرف والعلامتان الشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق والشيخ علي مروة والشيخ جواد سبيتي وكان أحد المدرسين فيها والشيخ حسين محمد صفا والسيد علي جواد فحص. وقد توفي السيد محمد نورالدين في سنة (١٣٢٠هـ ــ ١٩٠٧م) وقبل وفاته انتقل التدريس إلى النبطية الكبرى (التحتا) حيث أنشئت المدرسة الحميدية كما رأينا.

١٩ ــ مدرسة النميرية

انشأها الفقيه السيد علي إبراهيم المعاصر للسيد علي الأمين، جد السيد محسن الأمين.



المكتبات

كانت مكتبات جبل عامل «مملوءة بالكتب القيمة ونفائس المخطوطات من مؤلفات علمائه وغيرهم»[١٣]. ومن مميزات هذه المكتبات انها لم تكن عامة بقدر ما كانت خاصة بأهلها. وكثيراً ما تعرضت للضياع والتلف والنهب. ولعل أسوأ وأعظم حادثة أتلفت معظم كتب جبل عامل كما يذكر السيد محسن الأمين هي «حادثة الجزار فقد نقلت منها الأحمال الكثيرة إلى عكا على ظهور الجمال وغيرها أياماً عديدة ومعظمها كان من كتب أجدادنا في شقرا وكتب آل سليمان في مزرعة مشرف وآل خاتون في جويا وكان بين هذه الكتب كثيراً من كتب الأخبار عن أئمة أهل البيت عليهم السلام النفيسة الخط على ورق الترم، بجداول الذهب وكان يكفي سبباً لاتلاف هذه الكتب كونها مختصة بالشيعة كونها من كتبهم وإن لم تختص بهم فأوقدت بها الأفران في عكا أياماً وسرق منها الكثير واشترى أهل جبل عامل بعد ذلك جملة منها ومن أهل عكا وأخذ الذين هربوا إلى العراق وإيران والهند وغيرها ما قدروا على حمله منها وكثير منهم سكن هناك فبقيت كتبه في مسكنه»[١٤].

ولعل أهم المكتبات الخاصة التي تأسست في جبل عامل أثناء العهد العثماني[١٥]:

ــ مكتبة الشيخ عبدالله نعمة في جبع وكانت حافلة بنفائس المخطوطات.

ــ مكتبة آل الحر في جبع أيضاً تقاسمها الورثة.

ــ مكتبة السيد علي الأمين تقاسمها الورثة أيضاً.

ــ مكتبة السيد محمد الأمين وكلها مخطوطة.

ــ مكتبة السيد علي مرتضى العاملي الشقراني التي ضمت مجموعة قيمة من المخطوطات.

ــ مكتبة آل السبيتي في كفرة.

ــ مكتبة آل سليمان في البياض اشتملت على عدد من المخطوطات الثمينة والنادرة.

ــ مكتبة آل خاتون في جويا.

ــ مكتبة الشيخ محمد علي عزالدين في حنوية.

ــ مكتبة الشيخ أحمد رضا في النبطية التحتا.

ــ مكتبة الشيخ سليمان ضاهر في النبطية.

ــ مكتبة السيد علي محمود الأمين في شقرا.

ــ مكتبة السيد محمد محمود الأمين في شقرا.

ــ مكتبة السيد محسن الأمين في شقرا وفي دمشق.

وهناك مكتبتان نهبتا بعد الحرب العالمية الأولى إحداهما مكتبة الشيخ موسى شرارة في بنت جبيل والثانية مكتبة السيد عبدالحسين شرف الدين في صور.

أما أبرز المكتبات العاملية العامة في عهد النهضة والتي قامت بجهود جمعيات أو أفراد، فهي[١٦]:

ــ مكتبة التهذيب العاملية في بنت جبيل وقد اسسها جماعة من الشباب المتوثب للنهضة سنة (١٣٤٩هـ ــ ١٩٣٠م).

ــ ثم المكتبة الانجيلية في صيدا أنشأتها جمعية الخدمة الوطنية الانجيلية في صيدا (عام ١٩٠٢م) ومكتبة عامة أخرى في صيدا جمع ثمنها من أهالي المدينة وقد تأسست سنة ١٩٢٩م.

المطبوعات (الصحف والمجلات)

رغم دخول أول مطبعة إلى لبنان سنة ١٩١٠ على أيام الأمير فخرالدين الثاني فقد تأخر دخول المطابع إلى جبل عامل حتى سنة ١٩١٠، إذ عرفت هذه المنطقة أول مطبعة فيها على يد أحمد عارف الزين الذي أسس له أول مطبعة في صيدا ثم أنشئت أول جريدة اسمها جريدة «جبل عامل» سنة ١٩١١م، بعد إنشاء مجلة العرفان. وبعد ذلك أنشئت جريدة اسمها «المرج» في جديدة مرجعيون وثم أنشئت جريدة «القلم الصريح» لالفرد أبو سمرا ثم جريدة «صدى الجنوب» التي أنشأها راضي دخيل وذلك سنة ١٩٣٧م هذا فضلاً عن عدد من المجلات وأهمها: مجلة «الأرواح» للسيد عبدالحسين شرف الدين ومجلة «النهج» وكانت تصدر عن الكلية الجعفرية في صور. وقد شكلت المجلات والجرائد العاملية، منبراً واسعاً لجمهور كبير من كتاب العربية من خارج جبل عامل نذكر منهم خليل الهنداوي وقدري قلعجي، وشكيب ارسلان. ومن داخل جبل عامل أيضاً، حيث تشكل مساهمات الشيخين أحمد رضا وسليمان ضاهر بالاضافة إلى مساهمات الشيخ محمد جابر، والشيخ عارف الزين ــ الحيز الأكبر من نتاج هذه المطبوعات، ولا ننسى هنا أن هذه المطبوعات كانت كذلك منبراً للقلم المهجري العاملي (محمد يوسف مقلد، نجيب صعب، زينب فواز...). ●

الهوامش

(١) راجع ترجمة الشهيد الأول (محمد بن مكي) في **أمل الآمل** ــ القسم الأول، ط ١، مكتبة الأندلس، بغداد ١٣٨٥هـ، ص ١٨١ ــ ١٨٢.

(٢) بخصوص تراجم هـؤلاء الرجال، راجع الحر العاملي، **أمل الآمل**، مرجع مذكور، ج ١ على التوالي ص ١٨٥ ــ ١٨٦، ١٠٣ ــ ١٠٤ ــ ١٠٥ ــ ٦٦ ــ ٦٧.

(٣) الأمين محسن، **أعيان الشيعة**، ج ٧، ص ٣٣٥، نقلاً عن محمد كاظم مكي **الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل**، مرجع مذكور ص ٢٩.

(٤) ولد الشيخ زين‌الدين عام ٩١١هـ، ارتحل إلى ميس فقرأ على الشيخ علي بن عبدالعال الميسي ثم ارتحل إلى الكرك ودمشق ومصر ثم عاد إلى جبع فدمشق ثانية ثم إلى العراق فبيت المقدس ثم إلى القسطنطينية، ثم عاد إلى بعلبك مدرساً في المذاهب الخمسة في المدرسة النورية، قتل عام ٩٦٥ في طريقه إلى القسطنطينية راجع سيرة حياته كاملة لدى: مروة علي، **تاريخ جبع**، دار الأندلس، بيروت ط ١، ١٩٧٣، ص ٤٣ ــ ٤٩.

(٥) مروة علي، **تاريخ جبع**، مرجع مذكور، ص ٦١ ــ ٦٧.

(٦) راجع الأمين حسن، **عصر حمد المحمود والحياة الشعرية في جبل عامل**، دار التراث الاسلامي، بيروت ١٩٧٤.

(٧) مصطفى، قيصر: **الشعر العاملي الحديث من جنوب لبنان** ــ دار الأندلس، بيروت، ط ١، ١٩٨١.

(٨) انظر خريطة رقم ٢.

(٩) راجع: فرحات هاني، «الجنوب اللبناني في الجغرافيا وفي التاريخ» ــ **مجلة الباحث**، عدد (٢٠ و٢١) ص ١١٧.

(١٠) راجع آل صفا، محمد جابر، تاريخ جبل عامل، مرجع سبق ذكره، ص ٢٣١ ــ ٢٥٠، وراجع مكي، **محمد كاظم**، الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل، مرجع سبق ذكره، ص ٢٩ ــ ٣٨ وص ١٩٨ ــ ٢٠٥ وراجع الأمين، السيد محسن، خطط جبل عامل، مرجع سبق ذكره، ص ١٥٠ ــ ١٥٣.

(١١) للحصول على تفاصيل حياته راجع مكي محمد كاظم، الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل، مرجع سبق ذكره، حاشية رقم ٢، ص ٢٩.

(١٢) راجع الأمين، السيد محسن، **خطط جبل عامل**، مرجع سبق ذكره، ص ١٥١.

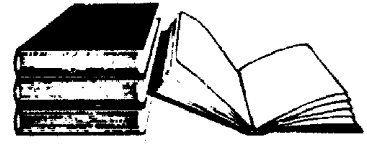
(١٣) الأمين، السيد محسن، **خطط جبل عامل**، ص ١٥٨.

(١٤) المرجع السابق، ص ١٥٨.

(١٥) انظر خريطة رقم ٣.

(١٦) راجع: مكي، محمد كاظم، **الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل**، ص ٢١٧ ــ ٢١٨.





الإسلام في الحاضر

■ إعداد فرنر إنده و أودو شتاينباخ ■ عرض ن. نجيب



عديد من العوامل ساهمت في العقد الأخير في بعث الاهتمام بحاضر الشرق الأوسط، وقد تلخصت هذه العوامل من منظور الغرب في مفهوم «نهضة الاسلام» أو «انبعاث الاسلام الجديد» — وهو ترجمة غير دقيقة لتعبير غير دقيق (Re-Islamisierung) وقد طغى هذا المفهوم بحيث نرى البعض يلخص ما حدث ويحدث منذ الخمسينات — وهو عقد الاستقلال — تحت هذا المفهوم الغامض الذي يحمل الكثير من الايحاءات المتناقضة. ونقصد «بالبعض» ذلك الحشد من المراسلين والكتّاب الذين يكتبون بسرعة الآلات الكاتبة الحديثة، والذين يعرفون حاجات الجمهور ويتقنون تلك اللغة الميسرة التي توحي بالمعنى وهي لا تحمل أي معنى. وأغلبهم لا يعرف من لغات هؤلاء القوم الذي يتحدث عنهم غير بعض التعابير العامية (وأصدق مثال على هؤلاء «بيتر شولاتور» وكتابه «الله مع الصامدين»، ١٩٨٣).

أما الاستشراق الالماني فقد ظل طويلاً بعيداً عن الحاضر، محصوراً على الأغلب في دائرة الدراسات الفيلولوجية والتاريخية الأكاديمية، والمجلد الحالي الذي نقدمه هنا هو أشبه بوثيقة هامة تشير إلى مدى انفتاح الاستشراق الالماني على حاضر العالم الاسلامي في المرحلة الحالية.

عنوان الكتاب هو «الاسلام في الحاضر»، ويقع في ٧٧٤ صفحة، وهو من إعداد وإخراج مستشرقين معروفين هما فرنر انده وأودو شتاينباخ، الأول هو أستاذ الدراسات الاسلامية بجامعة فرايبورج والثاني هو مدير «معهد الشرق» في هامبورج، وهو معهد متخصص في الأبحاث المعاصرة.

Werner Ende u. Udo Steinbach (Herausgeber): «Der Islam in der Gegenwart», Verlag C.H. Beck, München 1984, 774S.

يتوجه هذا الكتاب — وهذا هو الجديد — إلى القارىء العام الذي يريد أن يتعرف على «الاسلام»، وليس إلى المتخصص فحسب. الهدف هو تقديم معلومات إضافية عن العالم الاسلامي، وعن الاسلام والمسلمين في الاتحاد السوفييتي وفي أوروبا وأميركا، وذلك بأسلوب موضوعي علمي ميسر، لا يستغلق على غير المتخصص، هذا مع الالتزام بما توصل إليه البحث العلمي في الموضوعات المختلفة. ولتحقيق هذا الهدف يستعين مخرجا الكتاب بعدد كبير من الدارسين والباحثين الأكاديميين. ومن الطبيعي رغم هذا الاطار الواضح أن تتفاوت الأبحاث المقدمة وأن تختلف المناظير، وأن تتكرر المقولات.

الاسلام والتطور التاريخي في العالم الاسلامي مدخل ضروري لفهم الحاضر في تشعبه وترابطه، وهذا هو موضوع الجزء الأول من المجلد، أما الجزء الثاني فهو مخصص لدراسة «الدور السياسي للاسلام في الحاضر»، وهو بوضوح محور الكتاب من حيث المادة والحجم، أما الجزء الثالث فيتناول موضوعات

متفرقة في اللغة والأدب والتراث المحلي، ويندرج تحت عنوان «حضارة وثقافة الاسلام في الحاضر»، وهو عنوان كبير لا يتناسب مع الطابع السطحي الانتقائي الذي تتسم به مقالات هذا الجزء المخصص للمعمار والفنون التشكيلية والتراث المحلي و«صورة الاسلام في آداب الشعوب الاسلامية المعاصرة» و«الاسلام والحفاظ على الذات الحضارية»، هذا بالاضافة إلى الطابع الأيديولوجي الواضح الذي تنضح به لغة المقالين الأخيرين.

يوضح أودو شتاينباخ نسق التطور العام منذ اللقاء بالغرب في القرن الماضي حتى مرحلة «انبعاث الاسلام» الجديدة في السبعينات.

فمع التوسع الأوروبي الاستعماري، فقدت اجزاء كبيرة من العالم الاسلامي استقلالها، ومع الازدهار الصناعي في الغرب اندثر الاقتصاد التقليدي في البلدان الاسلامية وأصابه التهميش. وأصبحت قضية «التفوق الغربي» و«التأخر» و«التبعية» الذاتية بمثابة اتهام موجه إلى المسلم في ذاته أو في عقيدته، أو هكذا استوعبها كثيرون. ومنذ ذاك يعيش العالم الاسلامي حلقات متتابعة من الصدام أو الصراع بين التصور المثالي للمجتمع الاسلامي وبين الواقع المعاش، بين ما يجب أن يكون وبين ما هو قائم. ومنذ ذاك تختلف الاستجابات لهذا التحدي. فالمسلمون المصلحون ــ كالأفغاني ومحمد عبده ــ سعوا إلى الانفتاح على قيم العلم الحديث ومنجزاته مع المحافظة على التراث الاسلامي. على أن حركة الاصلاح والتحديث هذه في القرن التاسع عشر ظلت حركة ثقافية فكرية في المقام الأول. هذا على خلاف حركة البعث الاسلامية ــ الحركة الوهابية في شبه الجزيرة العربية ــ التي استطاعت أن تنفذ أهدافها كحركة سياسية. يصف شتاينباخ المرحلة ما بين ١٩١٨ و ١٩٦٧ بأنها مرحلة «التأقطب ــ Polarisierung».

في أعقاب الحرب العالمية الأولى شغلت قضية الاستقلال، وبالتالي القضية القومية، الدول الاسلامية على ما عداها، بعد أن خابت الآمال في وعود «تقرير المصير» واندرجت قضية «التأخر» تحت مفهوم ضرورة «التنمية الاقتصادية»، وبالتدريج بدا واضحاً أن التنمية عسيرة أو مستحيلة، طالما ظلت البنى الاجتماعية والمؤسسات السياسية على ما هي عليه، ومن ثم بدأت المطالبة بالتغيير الشامل. لنحو نصف قرن استرشدت «النخبة الجديدة» في البلاد الاسلامية بالفكر الاجتماعي والسياسي الغربي، على أن هذه «النخبة» بدأت تتعرض منذ نهاية العشرينات لمنافس، يتهم حركة التحديث أو المجددين (مصلحين وعلمانيين...) ببذر بذور التفرقة والشقاق في المجتمع الاسلامي، وزعزعة ثقة المسلم في نفسه، والخضوع لثقافة عدائية غريبة، تمثل هذا المنافس في حركة الأخوان المسلمين التي نادت بالعودة إلى الأصول والتقليد. هذا هو «التأقطب» الأساسي حتى نهاية الستينات. استهدفت البدايات الأولى لحركة «الانبعاث الاسلامي الجديد» مواجهة التحدي الناصري، وفيما بعد ساهمت عوامل كثيرة في تقوية هذا التيار: الزيادة السريعة في عوائد النفط في بداية السبعينات بعد تكوين «منظمة الأوبيك»، وتأميم مصادر النفط، والنجاح النسبي في حرب اكتوبر ١٩٧٣، وصعود العالم العربي كعامل اقتصادي وسياسي دولي ذي ثقل، والاحساس بالقوة الذاتية والقدرة وبدء مرحلة جديدة من التنمية. «فالانبعاث الاسلامي» ــ كما يذهب اشتاينباخ ــ يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأطر السياسية والاقتصادية الجديدة... وأخيراً وليس آخراً تمثل هذا الانبعاث «في الثورة الايرانية» (١٩٧٨/٧٩) ونجاح النخبة الدينية في تولي السلطة الدنيوية. ولكن ماذا يعني «انبعاث الاسلام» حتى الآن؟ وكلمة «انبعاث» هي كما ذكرنا ترجمة غير دقيقة لتعبير غير محدد. حتى الآن هو محاولة لفرض أو تطبيق الشريعة الاسلامية بمفهومها اللفظي فحسب، وليس اجتهاداً عقلياً أو إبداعياً من أجل فهم الواقع والعالم الحاضر بما يتسم به من ترابط وتشعب وتطلعات ومنجزات وحاجات ومُثل وقيم إنسانية لا يمكن إغفالها أو إسقاطها من الوعي والوجود.

يقدّر عدد المسلمين في الاتحاد السوفييتي بنحو ٤٠ مليوناً وفي الصين بنحو ١٠ ملايين. ويوضح هنز بريكر في دراسته عن الاسلام في هاتين الدولتين كيف تبلورت صيغة التعايش

السلمي في الاتحاد السوفييتي بين الدولة والاسلام. لم يأت هذا عن تدبير أو سياسة واضحة إزاء الاسلام، وإنما لأسباب تاريخية.

ارتبطت مؤسسات الكنيسة الأرثوذكسية الروسية بالنظام الهيراركي للدولة القيصرية قبل ثورة ١٩١٧، وتركزت جهود الثورة وسياستها في مكافحة الكنيسة والقضاء على مؤسستها ونفوذها وفي محاربة «الوعي الديني». وقد نجحت في ذلك إلى مدى بعيد، ولكن هذه الاجراءات لم تستطع أن تؤثر على الاسلام، فليس لديه — مثل هذه المؤسسات والتنظيمات، بل إن الوجود الفعلي للاسلام وممارسة الشعائر الدينية في الاسلام لا يرتبطان بالضرورة «بالجامع» أو «المسجد». ولأسباب مرحلية وبرجماتية أخر تبلورت العلاقة بين الدولة السوفيتية وبين المسلمين بصورة إيجابية يتعذر معها الحديث عن المواجهة بين الاثنين.

من المقالات الجديرة بالتنويه في هذا الكتاب نذكر عروض خالد دوران عن الاسلام في افغانستان وباكستان وبنجلادش و «الاسلام في المنفى: في أوروبا وأميركا» وهو في هذا العرض الأخير يُعرف بتوجهات المجموعات الاسلامية العديدة، وأيضاً بجاذبية التصوف الاسلامي على الشباب في أوروبا. وبإيجاز نستطيع أن ننوه بهذا الجهد الكبير الذي يمثله إصدار هذا المجلد «الاسلام في الحاضر»، فهو أشبه بمرجع جامع للاسترشاد.

●

السينمائي الفرنسي جان لوك غودار

إسرائيل خليّة سرطانية

● إن هواة السينما في بلد كفرنسا كثر، والنخبة بوسعها أن تشكل جمهوراً يقبل على أعمال غودار ويحبها (أي أن تصبح الأقلية، أكثرية نسبية). من هنا إن قاعة «المكتبة السينمائية الوطنية» (السينماتيك) كانت تغص بالجمهور، عندما دعي قبل أسابيع إلى ندوة بمناسبة صدور كتابه «غودار بقلم غودار» (عن دفاتر السينما)، ويضم خلاصة تجربته السينمائية وأعماله النقدية منذ البدايات.

ولم يفت غودار في مطلع حديثه أن يذكر أنه انطلق من هذا المكان نفسه قبل ربع قرن، حين أسس مع رفاق له بينهم فرنسوا تروفو وكلود شابرول، ما عرف لاحقاً بالموجة الجديدة في السينما. ولكي يكون غودار أميناً للصورة التي يملكها الجمهور عنه، ولشخصية هي على درجة من الطرافة والخصوصية، اقترح على الجمهور المحتشد لمناقشته، شريطاً سينمائياً غريباً بعنوان «تاريخ السينما ألف على باء». والفيلم عبارة عن توليف لسبعة عشر فيلما من المحطات البارزة في تاريخ السينما منذ بداياته الصامتة إلى اليوم. اختار غودار الدقائق الخمسة الأولى من البكرة الثانية لكل فيلم، متوصلاً إلى مزيج على درجة من الغرابة والاثارة.

أما جديد غودار، فهو مقابلة الغلاف التي خص بها مجلة غلوب الشهرية (Globe) في عددها الثاني، واختار لها التحرير عنواناً عدائياً: «غودار هل هو عدم شرعي؟». يتحدث صاحب «الاسم كارمن» و «الاحتقار» و «بيارو المجنون» عن إسرائيل فيقول «إسرائيل موجودة، بدون شك، لكن أحداً منا لم ينكب حتى الآن جدياً على دراسة هذه المسألة. لم تراود أحداً مثلاً فكرة تشبيه هذا الكيان، بخلية سرطانية في نمو متزايد. لم يقارن أحد بين الصهيونية والسرطان...».

وهذا الرجل المجنون المهاجر عكس التيار بصورة مستعمرة، يعبر عن رأيه دون حسابات مسبقة، أو خضوع للعبة خبيثة هي سياسة معظم وسائل الاعلام الغربية. فالموضة للكلام المكثف الذي لا ينقطع (وفي كل منبر صحافي أو إذاعي وتلفزيوني)، عن مجازر «أوشفيتز»، عن النازية وضحيتها الوحيدة: الشعب اليهودي. ولا شك أن التعرض لاسرائيل يعتبر بطولة كبيرة ونزاهة قصوى. لا يتوافران عند الجميع.



دراسة تاريخية ـ عن انطاكية مدينة التاريخ والآثار

■ محمد الفاكياني

هذه المدينة العظيمة التي سلبها الافرنسيون عن الوطن الأم سورية وضمها إلى تركيا هي واسكندرون، وأطلق عليها الاسم الحزين اللواء السليب.

انطاكية: المسماة انطوخيا عند القدماء: وهي مدينة تقع في شمال سورية وسط سهل خصيب وجميل في الحوض الأدنى لنهر العاصي، وهي تكون على بعد يسير من مصبه.

بناء انطاكية

إن الذي شيد انطاكية هو (سلوق الأول) عام ٣٠٠ ق.م. مكان مستعمرتين قليلة الشأن. هذا ما تبين لليونان، كانت انطاكية مقراً هادئاً يقصدونه الحكام الذين يحبون الفن والراحة، كما كانت مركزاً هاماً للتجارة. فلم تلبث أن اصبحت حاضرة سورية، وصارت بعد ذلك تعد من أهم المدن الامبراطورية الرومانية بأسرها، وكانت اكثرها سكاناً بعد رومية والاسكندرية، كما كانت تعد حاضرة الولايات الآسيوية قاطبة. وبعد انحطاطها التاريخي منذ قيام امبراطورية الساسانيين التي قضت على نفوذ انطاكية السياسي والاقتصادي في بلاد الفرات ودجلة شيئاً فشيئاً، ثم أعقب ذلك انفصال الكنيسة النسطورية الفارسية عن الكنيسة الغربية انفصالاً تاماً في عام ٤٩٩م. وكان من أثر ذلك فقدان انطاكية لسيادتها على المسيحيين في بلاد بابل.

سياسة ملوك الفرس تعمل على إضعاف المركز الآسيوي للامبراطورية الرومانية

كانت سياسة ملوك الفرس دائبة على إضعاف المركز الآسيوي للامبراطورية الرومانية. ومنذ تاريخ مبكر يرجع إلى عام ٢٦٠، حاصر سابور الأول انطاكية واستولى عليها ونقل عدداً كبيراً من أهلها إلى جند يسابور في خوزستان، هذا ما أورده الطبري ج ١ ص ٨٢٧. وكانت انطاكية في القرن السادس الهدف الأكبر الذي صوبت إليه حملات الفرس، فاستولى عليها كسرى أنوشروان ودمرها عام ٥٣٨، ونقل عدداً كبيراً من أهلها إلى مدينة طيسفون القريبة من انطاكية، وأقام لهم مدينة خاصة على نسق مدينتهم الأصلية تماماً وسميت الرومية. وقد أصاب انطاكية من تخريب على يد ملوك الفرس فدمروها مرتين كما عجل على اضمحلالها الزلازل المروعة التي تتابعت عليها بكثرة غير مألوفة، ويروا المؤرخون أن في القرون الخمسة الأولى من الميلاد لحق بها ما لا يقل عن عشرة زلازل ذهب ضحيتها حوالي مئتان وخمسون ألف نسمة.

الامبراطور بوستيانوس أعاد بناء المدينة

لقد أعاد بناء المدينة الامبراطور (بوستيانوس) على الأنقاض التي بقيت منها بعد تخريب كسرى لها، ولكنها عادت أصغر بكثير من ذي قبل، ثم احتلتها العرب عام ١٧هـ / ٦٣٨م، هذا ما أورده البلاذري، ص ١٣٢.

ظلت مدينة انطاكية في قبضة العرب بالرغم مما أصاب أهلها من هزيمة منكرة على يد البيزنطيين عام ٦٩هـ / ٦٨٨م، حتى انتزعت من يد الحمدانيين في أواخر عام ٣٥٥هـ / ٩٦٦م، كما يقول كدرينوس، أو في عام ٣٥٨هـ / ٩٦٩م، على الأكثر كما يقولوا مؤرخو العرب. والذي انتزعها من قبضتهم قائد من قواد الامبراطور اليوناني (نقفور فوكاس) وأعانه على

ذلك الانتزاع خائن من العرب، بعد أن فشلت الحملة الأولى التي كان يقودها ذلك الامبراطور (بورترس) نفسه. وكان في ربيع الأول عام ٣٥٥هـ / ٩٦٦م.

انطاكية أقوى معقل للامبراطورية البوزنطية في وجه المسلمين

ظلت انطاكية أكثر من قرن أقوى معقل للامبراطورية البوزنطية أمام المسلمين، ولكنها منذ عام ٤٧٣هـ / ١٠٨٠م، أخذت تؤدي الجزية إلى مسلم العقيلي أمير الموصل، وفي عام ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م، وقعت نهائياً تحت سلطان المسلمين، إذ فتحت أبوابها أمام سليمان الأول السلجوقي صاحب قونية، بمساعدة حاكمها اليوناني. ثم أن مسلماً العقيلي حارب السلطان سليمان لاستيلائه على انطاكية، فقتل مسلم عام ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م في موقعة قرب انطاكية.

ومات سليمان أيضاً في عام ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م، فاستعان الوالي الذي كان معيناً من قبل مسلم بملكشاه، فأعاد الأمر إلى نصابه بتعيين (ياغي بصان) أميراً لانطاكية.

كان من أشق الأعباء على المسيحيين أن يحاصروا هذه المدينة التي يحميها موقعها الجغرافي كما تحميها معاقل قوية واسعة، ثم افلحوا بعد أربعة أشهر في تطويقها، ولكن لم يتيسر فتحها هذه المرة أيضاً إلا عن طريق الخيانة كما حدث من قبل. وفي ٢ حزيران عام ١٠٩٨م استولى الصليبيون على انطاكية بعد مذبحة مروعة، وبعد ثلاثة أيام ظهر جيش إسلامي عظيم على رأسه (كربوقا) أمير الموصل لاستخلاص المدينة من الصليبيين فأحاط جيش كربوقا بالصليبيين كما أحاطوا هم بانطاكية من قبل، وبقيوا في موقف محرج، ولكن الصليبيين اشتد حماسهم عندما زعموا أنهم اكتشفوا حربة مدفونة قيل أنها حربة المسيح، فاستطاعوا بهذه الخدعة التخلص من كماشة كربوقا. وكان ذلك في ٢٨ / حزيران، هذا وقد أقدم الصليبيين على الخروج في شجاعة أعقبها انتصار تام على جنود كربوقا التي تزيد عليهم في كثيراً من العدد.

انطاكية تحكمها المسيحية مائة وتسعة وسبعون عاماً

ظلت انطاكية مائة وتسعة وسبعون عاماً في قبضة المسيحيين، وتحولت عاصمة لولاية تابعة لبيت المقدس تشمل الاقليم الساحلي من شمال سورية تبدأ من نهر جيحان في الشمال إلى النهر الكبير (قرب اللاذقية) في الجنوب، وكذلك سهل العمق المنخفض، ووادي نهر العاصي إلى شيزر، (لارستة شمالي غرب حماة). وفي هذه المدة انتعشت انطاكية بالرخاء والاستقرار فشيدت فيها أبنية جديدة، كما زاد عدد سكانها وازدهرت تجارتها وعم الرخاء بأرجائها.

السلطان بيبرس قضى على السيادة المسيحية في انطاكية

جاء السلطان بيبرس أحد مماليك مصر فأعد عدته وقضى على السيادة المسيحية في شمالي الشام قضاء سريعاً، وقد خرب أطراف ولاية انطاكية بهجماته المتكررة وكان في عام ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م، ووطد العزم على أن يقوم بعمل حاسم وجذري، وكان عام ٦٦٦هـ / ١٢٦٨م، فأغار على المدينة بغتة وداهم فرسانها الذين حاولوا أن يصدوه في العراء، وقد فشلت المفاوضات التي طلب بيبرس فيها خضوع المدينة له، فارتد عليها مرة أخرى في ١٩ / أيار فسقطت في يده من غير قتال ولا مقاومة، ويقول بعض المؤرخون انه لما دخل المدينة كان ستة عشر ألفاً من المسيحيين او ما يزيد وقد أسر مائة ألف، وأحرقت المدينة وقلعتها، وغنم بيبرس من الغنائم ما لا يحصى، ولم تقم لانطاكية بعد هذه المعركة قائمة، حتى ولم تستعيد مكانتها القديمة مدة السيادة الاسلامية التي خضعت لها منذ ذلك الحين.

انطاكية السياحية

إن مدينة انطاكية حسنة الموقع وافرة المياه، فهي تقع في وادي نهر العاصي الذي يبلغ عرضه في هذا المكان ٤٨ متراً. ولها من خصوبة أرضها واعتدال جوها مما جعلها من أجمل بلاد الشرق، ويعدها الشرقيون أجمل من بلاد الشام بعد دمشق، ان الأمطار الغزيرة التي لا يقف

هطولها — والتي لقبت هذه المدينة بالخير والعطاء بحيث أنها تهطل بها الأمطار وينبت فيها النبات. وتمتد انطاكية إلى سفح جبل حبيب النجار الذي يبلغ ارتفاعه ١٥٢٥ قدماً عن سطح البحر، وهو جزء من سلسلة جبال كازيوس، ويكتنف انطاكية من الشرق حدائق غناء حيث أن الأراضي الخصبة البهيجة التي تقع جوار الجبال العارية مما يكسبها جمالاً رائعاً.

انطاكية الأثرية

إن أهم الآثار القديمة الموجودة فيها هي (طرا) هي النطاق الضخم من القلاع التي لا تزال أجزاء عظيمة منها باقية لوقتنا هذا، وان هذه الآثار تشبه قوساً واسعاً يكتنف المدينة الصغيرة القائمة في الشمال الغربي منه. وأن الأسوار الهائلة المحصنة والممتدة فوق الجبال والقلاع الكبيرة التي كانت تعتبر عند أهل الفن الحربي في العصور الوسطى حصوناً منيعة لا يستطيع العدو أن يجتازها أو يكاد — كل هذه لا تزال تبعث الاعجاب في نفس من يراها. ويبلغ طول الأسوار على الستة عشر ميلاً، كما تعلوها ابراج ضخمة للدفاع عن المدينة.

هذا ويبعد السور عن الآخر حوالي خمسون متراً. ويروى أنه كان عدد أبراجها يبلغ حوالي الثلاثمئة برج، وقد تسرب الخلل إلى هذه الأسوار منذ الثلث الأخير من القرن التاسع عشر إذ أبيح لأهل انطاكية أن يأخذوا منها ما يعيدون به بناء دورهم التي هدمها زلزال عام ١٨٧٢. أما القلعة التي أقامها الامبراطور (نقفور فوكاس) فقد بقيت أنقاضاً منذ أن خربها الظاهر بيبرس.

هذا وجاء في الاصحاح ١١ — الآية ٢٨ — أن هناك قبر الحواري حبيب النجار الذي مات شهيداً (أي آغابوس) هذا ما ورد في سفر أعمال الرسل، ويقال أنه هو أول من آمن بالمسيح عليه السلام في انطاكية. والمسلمون أيضاً يقدسون هذا الضريح ويزورونه، ويسمى هذا الجبل (بجبل سيليوس) ويطلق عليه في وقتنا هذا جبل حبيب النجار، كما يوجد على منحدرات الجبل آثار قديمة، ومن أشهرها أطلال لقناطر معلقة، التي لا تزال بعض أبوابها القديمة باقية على شيء من حالها الغابر.

الخلاصة

كانت انطاكية تمثل أكبر مركز للتجارة بين الشرق والغرب، لوقوعها عند ملتقى الطرق الموصلة بين نهر الفرات وبين البحر بالطرق التي تؤدي من الشام إلى آسيا الصغرى، أما اليوم فالتجارة والصناعة في حالة ركود وانحطاط شديد، والأسواق قليلة ومهملة والتي لا يقصدها إلا القليلون. وان أكبر الصناعات المحلية هي صناعة الصابون التي انتقلت إليهم من مدينة حلب. وكان تسمية المدينة باسم انطاكية — معناه غطاء أو بساط — وهذا مما يدل على اهميتها منذ القدم بحيث كانت مركزاً لصناعة النسيج.

هذا وقد احتلت انطاكية بعد الحرب العالمية الأولى الجيوش الفرنسية التي دخلتها في فبراير عام ١٩١٩م، وضمت إلى سورية حينما كانت سورية تحت الانتداب الفرنسي. ولما أقيم حكم مستقل في سنجق اسكندرونة (عرفت فيما بعد بجمهورية خطاي) وكان في عام ١٩٣٨م. حيث اختيرت انطاكية قصبة له.

لقد نزلت فرنسا عن السنجق إلى الجمهورية التركية في ٢٣ حزيران عام ١٩٣٩م. وكان هذا السنجق التي أهدته فرنسا لتركية كأنه ملك لها أو ورثته عن أمجادها، وأرادت من وراء هذا العطاء والكرم أن تعلو على أكتاف غيرها. وأن تفاخر فرنسا بهذه المنحة لأن انطاكية ليست بلدها لذلك كان كرمها على أمجاد غيرها.

هذا وقد بلغ سكان انطاكية في عام ١٩٣١، حوالي ٩٩٣٤٧ نسمة منهم ٣٦٥٠٠ من التركمان، ٣٢٦٠٢ من العلويين، ٢١٩٢٦ من العرب، ٨٣١٩ من الأرمن. ●

الهوامش

(١) جمع ج. سترانج: فلسطين تحت حكم المسلمين.
(٢) يحي ابن سعيد الانطاكي المتوفي عام ٣٢٨هـ / ٩٣٩م. تاريخ النيل.
(٣) المسعودي: مروج الذهب. يصف ما شاهده بنفسه عن انطاكية.
(٤) حاجي خليفة: جهانتما. طبع الآستانة عام ١١٤٥هـ / ١٧٣٢م، ص ٥٩٥، وما بعدها.
(٥) ياقوت الحموي: معجم البلدان.

العثور على أثر فني هام ضمن مخطوطات المقاصد في بيروت



عثر مؤخراً على نسخة كاملة من ديوان الشاعر الجاهلي الحادرة بخط أحد أشهر الخطاطين العرب ياقوت المستعصمي المتوفي عام ٦٩٨هـ / ١٢٩٨، والملقب بـ «**قبلة الكتاب**». وكان آخر أثر فني بيع لهذا الخطاط العظيم هو مصحف جميل لمالكه ف. هيلل (Mr. V. Hillel) وعرضه بائع الآثار والتحف سوذبي (Sotheby) في لندن وبيع بالمزاد بمبلغ ٦٢ ألف جنيه استرليني وذلك عام ١٩٧٧. ولقد عثر على المخطوط الأخير الباحث أحمد عبيدلي العامل بالمعهد العالي للدراسات الاسلامية التابع لجمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت اثناء عمله في تصنيف مجموعة مخطوطات الجمعية.

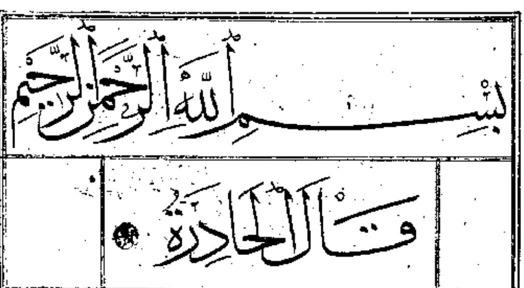
والحادرة هو الشاعر الجاهلي قطبة بن أوس الذبياني عاش في آخر الجاهلية القريبة من الاسلام وكان من الشعراء الفحول المقدمين إلا أنه كان مقلاً. ولقد اهتم قدماء الخطاطين بديوانه فعنوا به واهتموا بنسخه. ومن بينهم ياقوت المستعصمي الذي ترك نسخاً عدة منه، إلا أنها تقع خارج البلاد العربية. وهذه أول نسخة أصلية تكتشف من ذلك الديوان في بلد عربي، احتفظت بها بيروت وجمعية المقاصد الخيرية الاسلامية فيها، نسخة يتيمة من بين ما كتبه هذا الخطاط المبدع.

ويعرف ياقوت بأبي الدر ياقوت بن عبدالله جمال الدين المستعصمي الرومي الطواشي. وقد نشأ في دار آخر خلفاء بني العباس المستعصم بالله المقتول على يد هولاكو عند استيلائه على بغداد عام ٦٥٦ / ١٢٥٨. ونسبته إلى هذا الخليفة الذي اشتراه صغيراً. وتعود تسميته بالرومي لأنه من بلاد الروم أي من بلاد الأناضول. وقد اعتنى بتعليمه الخط صفي الدين عبدالمؤمن ثم كتب على ابن حبيب وحظي عند علاء الدين الجويني صاحب الديوان. وكان هولاكو قد عين علاء الدين الجويني على جميع العراق وجعله رئيس ديوان الممالك.

سبق ياقوت في دنيا الخط خطاطون كثيرون اشهرهم واهمهم الوزير أبو علي محمد بن مقلة المتوفي عام ٣٢٨ / ٩٤٠. وأبو الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب المتوفي عام ٤١٣ / ١٠٢٢. ولقد عرف عن ياقوت أنه حصّل خطوطاً لابن البواب وكان يعرفها بخزانة الخلفاء فجوّد عليها وقويت يده وكتب أسلوباً جدياً في غاية القوة. ولقد شهر عنه براعته في خط الثلث والنسخي. ولقد نظم ياقوت شعراً رقيقاً كما الف رسالة في الخط لم تصل إلينا. وكان هذا الخطاط محباً للكتابة والأدب ورئيساً وافر الحرمة كثير التجمل والحشمة. وقيل إنه كان إذا وقف عليه الفقير وسأله، كتب له حرفاً واحداً، ودفعه إليه فيبيعه بما يريد.. وكانت المصاحف المكتوبة بخط ياقوت ترسل هدية. ولقد قام أمير مكة والحجاز حسن بن أبي نميّ محمد بن بركات المتوفي سنة ١٠١٠هـ بإهداء مصحف بخط ياقوت إلى الخليفة العثماني السلطان مراد.

ويتميز خط ياقوت بالرشاقة والتوازن والتناسب، وتنتصب الألفات ض من كلماته برشاقة باهرة متشكلة مع بقية الحروف حسب مقياس دقيق لا تخطئه العين ناشرة متعة وبهجة غامرة في نفس الناظر. ولقد أثر خطه كثيراً على الأتراك العثمانيين الذين لقبوه بـ «**قبلة الكتاب**». وبلغت طريقته حداً من الكمال والحسن جعلت منه رائداً لمن جاء بعده من الخطاطين فساروا على نهجه وطريقته وكانت كتابته في الثلث والنسخ الأساس الذي جرى عليه كبار الخطاطين العثمانيين. ويبوئه الباحثون والخطاطون المحدثون موقعاً يتفوق فيه على ابن البواب دون أن يبخسوا حتى سلفه في الابداع، ولقد تراث ياقوت مجموعة وافرة من الآثار لا تزال تحتفظ برونقها وجمالها الباهر وقدرتها المتجددة على التأثير: فتخلب لب المتأمل العادي وتقدم له وعاءاً جميلاً لألفاظ العربية وتأخذ بيد الخطاط المتمكن لتفتح له أبواب تسام لا تحد. ولقد حذا حذو ياقوت في طريقته وأسلوبه عدد من الخطاطين جاؤوا بعده، وانتسبوا إليه. ثم جاء بعض الخطاطين الدماشقة والمصريين والعثمانيين فحسنوا طريقة ياقوت، وأبدعوا فيما كتبوا.

وفيما يخص نسخة ديوان الحادرة التي عثر عليها مؤخراً، فهي نسخة تقع في أربع وثلاثين صفحة لا تزال



□ صفحة الغلاف وبداية الصفحة الأولى من الديوان.

تحتفظ برونقها وبهائها إلى يومنا هذا. وهي بمقياس ١٩,٥ × ٢٩ سم. وقد خطت بخط الثلث والنسخ وكتب بآخرها نجز ديوان الحادرة وخطه جمال الدين ياقوت. إلا أن النسخة قد جلدت بتجليد حديث قبل أن تستقر في المقاصد، وكتب على الغلاف أنها لقبلة الكتاب ياقوت المستعصمي. ويلفت الانتباه في نهاية المخطوط شريط متصل على هيئة حرف (T) اللاتيني مقلوباً يقع تحت عبارة إنجاز الديوان المذكورة ويفصل بين كلمتي الحادرة وخطه. ولقد طلست هذه البقعة بتذهيب حديث غير متقن لعله أريد به ليطمس كتابة ما ، مما قد يلقي شيئاً من الشك حول نسبة المخطوط. وأما فيما عدا ذلك فجمال الخط وقدم الأوراق وعبارة التذييل واللقب وإشارة المجلد كلها أمور تؤكد صحة النسبة.

وقد أهديت نسخة الديوان للمقاصد عام ١٩٥٢ من بين مجموعة مخطوطات قدمتها السيدة الفاضلة صفية المرتضى الحسني الجزائري زوجة الشيخ محمد سعيد أياس (١٨٧٤ ــ ١٩٥٣) وذلك بعد وفاة زوجها خدمة لطلاب العلم وإحياء لذكرى هذا العالم البيروتي الفاضل. وكان والده من كبار تجار بيروت وقد ابتنى بها اسواقاً سميت باسمه. وقد درس الشيخ محمد سعيد أياس على شيوخ العصر وترك مؤلفات عدة في التاريخ والفقه والتصوف. كما ابتنى جوامع ومدارس عدة، ونال اوسمة من الدولة العثمانية والحكومة اللبنانية. ●



كتب وردتنا

□ **أعراس الجنوب**
دار الخلود ــ بيروت ــ لبنان .... أحمد حرب
تقديم: الأستاذ نبيه برّي

□ **مقدمة في مناهج البحث التاريخي**
والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات
«بين النظرية والتطبيق»
دار النهضة العربية للطباعة والنشر ــ بيروت .... د. حسان حلاق.

□ **وثائق مقدسية تاريخية (المجلد الثاني)**
المؤسسة العربية للدراسات والنشر ــ الطبعة الأولى ١٩٨٥ .... د. كامل جميل العسلي.

□ **The Architecture of the Mamluk City of Tripoli,** ....Hayat Salam — Leibich.

□ **صحافي من فلسطين... يتذكر** .... كنعان أبو خضرا.

□ **العمليـات الاستشهاديـة ــ (وثائق وصور)**
المقاومة الوطنية اللبنانية ١٩٨٢ ــ ١٩٨٥
المركز العربـي للمعلومات ــ الطبعة الأولى ت ٢ ١٩٨٥ ــ بيروت ــ لبنان ....

□ **آراء ودراسات في:**
الفكر القومي
العدد الثامن ١٥ يوليو ١٩٨٥م
سلسلة فصلية تصدرها مجلة العربـي ....

□ **مناهج المستشرقين**
في الدراسات العربية الاسلامية (الجزء الأول والجزء الثاني)
إصدار: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
مكتب التربية العربـي لدول الخليج ــ الرياض
١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م
صدر في إطار الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري ....

□ **مشروع مرفأ صيدا**
وأهميته الاقتصادية والاجتماعية
والعمرانية والسياسية
المركز الثقافي للبحوث والتوثيق
صيدا ــ ١٦ تموز ١٩٨٥ ....

□ **مجلة «الوعي الاسلامي» (المجلد الأول)**
السنة الحادية والعشرون ١٤٠٥هـ
العدد ٢٤١ ــ ٢٤٦
تصدرها وزارة الأوقاف والشـؤون الاسلامية
بالكويت في غرة كل شهر عربـي ....



□ خشب محفور من عهد الطولونيين ــ مصر. من كتاب: عبقرية الحضارة العربية مركز الوثائق والدراسات ــ أبو ظبي